اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر عبد الوهاب الشعراني

وبالحاشية الكبريت الأحمر عبد الوهاب الشعراني

الجزء الأول

في بيان علوم الشيخ الأكبر
محيي الدين بن العربي المتوفى سنة 638 هـ

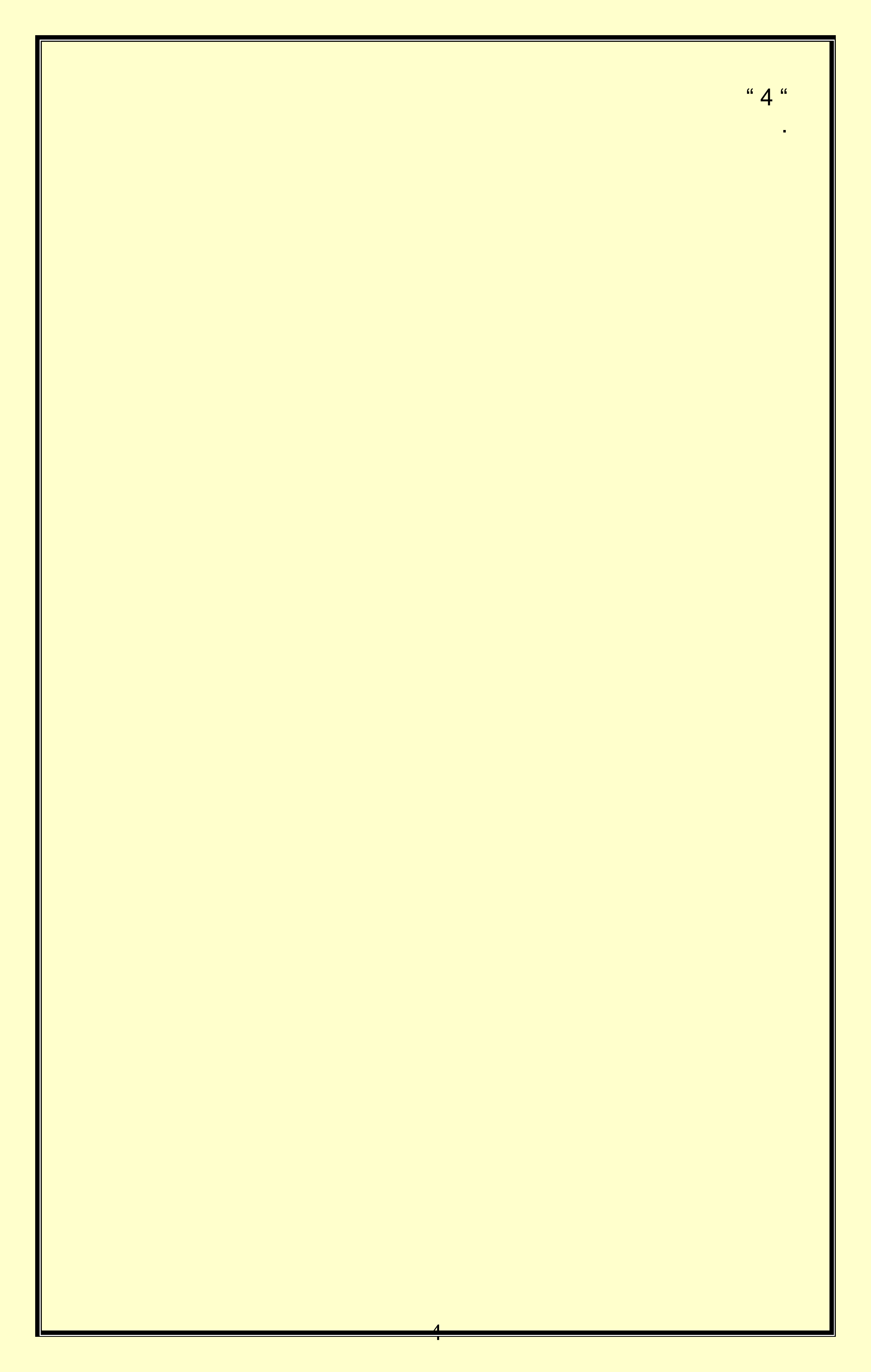
الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني
المصري الحنفي
973 هـ

"2"

.

“ 3 “

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر
وبأسفله
الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر
محيي الدين بن العربي المتوفى سنة (638 هـ)
وهو منتخب من كتاب لواقح الأنوار القدسية
المختصر من الفتوحات المكية
تأليف
الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي
(ت 973 هـ)



“ 4 “

.

]اليواقيت والجواهر في بيان عقايد الأكابر[
]الجزء الأول[
]مقدمات التحقيق[
]مقدمة المحقق[

قالوا في كتاب اليواقيت والجواهر ومؤلّفه في آخر المبحث الحادي والسبعين منه

1 - " قد اجتمعنا على خلق كثير من أهل الطريق ، فلم نر أحدا منهم حام حول معاني هذا المؤلف ، وإنه يجب على كل مسلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ، ونعوذ بالله من حصول حسد يسدّ باب الإنصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الأوصاف. "

الشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي

2 - " لا يقدح في معاني هذا الكتاب إلا معاند مرتاب أو جاحد كذّاب ، كما لا يسعى في تخطئة مؤلّفه إلا كل عار عن علم الكتاب ، حائد عن طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه إلّا كل غبي حسود أو جاعل معاند جحود ، أو زائغ عن السّنّة مارق ، ولإجماع أئمتها خارق. "

شيخ الإسلام الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه

3 - " وبالجملة فهو كتاب لا ينكر فضله ، ولا يختلف اثنان بأنه ما صنّف مثله. "

شهاب الدين الرّملي الشافعي رضي الله عنه

4 - هو كتاب جلّ مقداره ، ولمت أسراره ، وسحت من سحب الفضل أمطاره وفاحت في رياض التحقيق أزهاره ، ولاحت في سماء التوفيق شموسه وأقماره ، وتناغت في غياض الإرشاد بلغات الحقّ أطياره ، فأشرقت على صفحات القلوب باليقين أنواره.

محمد بن محمد البرهمتوشي الحنفي

“ 6 “

.

بسم الله الرّحمن الرّحيم
مقدمة [الناشر]
إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) [آل عمران : 102].
يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1) [النساء : 1].
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) . [الأحزاب : 70 - 71].
أما بعد ، فهذا كتاب " اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر " " 1 " للشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري ثم الحنفي ، نقدّمه للقارئ الكريم بعد أن قمنا بطبعه بحلّة جديدة مصححة ومخرّجة الآيات القرآنية الكريمة حتى يتم النفع به.
قال حاجي خليفة في " كشف الظنون " " 2. "
" ألّفه في العقائد ، وحاول فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر ، لم يسبقه إليه أحد ، وفرغ من تأليفه بمصر في شهر رجب سنة 955 خمس وخمسين وتسعمائة. "
ويعرّف المؤلّف كتابه " اليواقيت " فيقول:
" هذا كتاب ألّفته في علم العقائد سميته " باليواقيت والجواهر " في بيان عقائد الأكابر حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك لأن المدار في العقائد على هاتين الطائفتين ، إذ الخلق كلهم قسمان : إما أهل نظر ، واستدلال وإما أهل

....
(1)طبع الكتاب بمطبعة عيسى البابي - الحلبي القاهرة في جزءين عام 1378 ه / 1959 م وهي الطبعة التي كانت أساسا لعملنا.
(2)حاجي خليفة " كشف الظنون. (2054 / 2) "

كشف وعيان.
وقد ألّف كل من الطائفتين كتبا لأهل دائرته ، فربما ظن من لا غوص له في الشريعة أن كلام إحدى الدائرتين مخالف للأخرى ، فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالأخرى وهذا أمر لم أر أحدا سبقني إليه.
فرحم الله تعالى من عذرني في العجز عن الوفاء بما حاولته والتزمته ، فإن منازع الكلام دقيقة جدا ، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه لأبي إسحاق المزني : عليك بالفقه ، وإياك وعلم الكلام ، فلأن يقال لك أخطأت خير لك من أن يقال كفرت""1."
هذا وقد صدّر المؤلّف كتابه في بيان عقيدة الشيخ محيي الدين المختصرة ، المبّرئة له من سوء الاعتقاد من الوقاع عنه وتبيان الموسوس عليه ، مع ذكر نبذة من أحواله وتأويل كلمات أضيفت إليه مع إقامة العذر لأهل الطريق ، وبيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها من يريد التبحّر في علم الكلام ، وكيف أن الله واحد وهكذا . . . إلى إن ينتهي الكتاب ضمن واحد وسبعون مبحثا وأربعة فصول.
كما يعرّف المؤلف كتابه " الكبريت الأحمر " الذي يلي " اليواقيت " فيقول:
" وبعد فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمّى " بلواقح الأنوار القدسية " الذي كنت اختصرته من " الفتوحات المكية " خاص فهمه بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه إلّا الظاهر ، قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه ، وقد سميّته ب " الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر " ومرادي بالكبريت الأحمر : إكسير الذهب ، ومرادي بالشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه.
أعني أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كمرتبة إكسير الذهب بالنسبة لمطلق الذهب كما سنشير إلى ذلك بما نقلناه عن الشيخ رحمه الله في أبواب فتوحاته و " الكبريت الأحمر " يتحدث به ولا يرى لعزته.
واعلم يا أخي أنني قد طالعت من كتب القوم ما لا أحصيه ، وما وجدت كتابا أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب " الفتوحات المكية " لا سيما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم.
فإن نظر فيه مجتهد في الشريعة ازداد علما إلى علمه ، واطّلع على أسرار في وجوه الاستنباط ، وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده.
وإن نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك ، أو شارح للأحاديث النبوية فكذلك ، أو متكلم فكذلك ، أو محدّث فكذلك ، أو لغوي فكذلك ، أو مقرىء فكذلك ، أو معبّر للمنامات

....
(1)من مقدمة الكتاب الصفحة. (15)

فكذلك ، أو عالم بالطبيعة وصنعته الطب فكذلك ، أو عالم بالهندسة فكذلك ، أو نحوي فكذلك ، أو منطقي فكذلك ، أو صوفي فكذلك ، أو عالم بعلم حضرات الأسماء الإلهية فكذلك ، أو عالم بعلم الحرف فكذلك.

فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قطّ على بال ، وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى " بتنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علم علوم الأولياء " فإنّ علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف ومطهّرة من الشّكّ والتحريف كما أشار رضي الله تعالى عنه إلى ذلك في الباب السابع والستين وثلاثمائة من " الفتوحات " " 1. "

هذا وقد وضعنا هذه الكلمة مقدمة للشيخ الشعراني تعرّف به ، وبمؤلفاته.

ربنا تقبل منا هذا العمل خالصا لوجهك الكريم ، وانفع به عبادك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

....

(1)من مقدمة الكتاب الصفحة. (18 - 15)

ترجمة المؤلف " 1 "

اسمه ونسبه : هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي ، نسبة إلى محمد ابن الحنفية ، الشعراني ، أبو محمد : من علماء المتصوفين.

مولده ونشأته ووفاته : ولد في قلقشندة (بمصر) عام (898 ه / 1493 م) ، ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته : (الشعراني ، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة عام (973 ه / 1565 م).

مؤلفاته : له حوالي (30) مصنفا ، منها المخطوط ومنها المطبوع وهي:

" - 1الأجوبة المرضية عن أمة الفقهاء والصوفية " مخطوط.

- 2و " أدب القضاة " مخطوط.

- 3و " إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين " مخطوط.

- 4و " الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية " مطبوع.

- 5و " البحر المورود في المواثيق والعهود " مطبوع.

- 6و " البدر المنير " مطبوع في الحديث.

- 7و " بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق " مخطوط بخطه.

- 8و " تنبيه المغترين في آداب الدين " مطبوع.

(1)انظر ترجمته في " الكواكب السائر " مخطوط . و " السنا الباهر " مخطوط . و " خطط مبارك " (14 / 109) و " التاج " : مادة شعر . و " آداب اللغة " (3 / 335) و " الشذرات " (8 / 372) و " الفهرس التمهيدي " (393 و 421) وترجمة له من إنشاء أحمد تيمور باشا بخطه . ومجلة الكتاب (2 / 344) و " معجم المطبوعات " (1129 - 1134) ، و " الخزانة التيمورية " (3 / 164) ، و " الكتبخانة " (2 / 61 و 65 و 88 و 103 و 154) و (Brock (2 / 441 ، وانظر فهرسته ، و " الأعلام " للزركلي. (180 / 4)

9 -و " تنبيه المفترين في القرن العاشر ، على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر " مطبوع.
- 10و " الجواهر والدرر الكبرى " مطبوع.
- 11و " الجواهر والدرر الوسطى " مطبوع.
- 12و " حقوق أخوة الإسلام " مخطوط مواعظ.
- 13و " الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة " مطبوع رسالة.
- 14و " درر الغوّاص " مطبوع من فتاوى الشيخ علي الخوّاص.
- 15و " ذيل لواقح الأنوار " مخطوط جزء صغير.
- 16و " القواعد الكشفية " مخطوط في الصفات الإلهية.
- 17و " الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر " وهو الموجود بأسفل كتابنا الذي بين يديك.
- 18و " كشف الغمة عن جميع الأمة " مطبوع.
- 19و " لطائف المنن " مطبوع ويعرف بالمنن الكبرى.
- 20و " لواقح الأنوار في طبقات الأخيار " مطبوع في مجلدين ويعرف بطبقات الشعراني الكبرى.
- 21و " لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية " مطبوع بدار إحياء التراث العربي في مجلد واحد.
- 22و " مختصر تذكرة السويدي " مطبوع في الطب ، رسالة.
- 23و " مختصر تذكرة القرطبي " مطبوع وهو مواعظ.
- 24و " إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء ، إلى شروط صحبة الأمراء " مخطوط ، رسالة في خزانة الرباط (2598 كتاني).
- 25و " مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين " مطبوع.
- 26و " مشارق الأنوار " مطبوع.
- 27و " المنح السنية " مطبوع . شرح وصية المتبولي.
- 28و " منح المنة في التلبس بالسنة " مطبوع.
- 29و " الميزان الكبرى " مطبوع.
- 30و " اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر " وهو كتابنا الذي بين يديك.

“ 12 “

.

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر وبأسفله الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر محيى الدّين بن العربي المتوفى سنة (638 هـ)
وهو منتخب من كتاب لواقح الأنوار القدسيّة المختصر من الفتوحات المكيّة تأليف الشيخ عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي (ت 973 هـ)
طبعة جديدة مصححة ومخرجة الآيات القرآنية الكريمة الجزء الأول

“ 14 “

.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسائر الأنبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين.

أما بعد : فيقول العبد الفقير إلى عفو الله ومغفرته ، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني عفا الله عنه ، هذا كتاب ألفته في علم العقائد سميته " باليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر " حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف ، وعقائد أهل الفكر ، حسب طاقتي وذلك لأن المدار في العقائد على هاتين الطائفتين.

إذ الخلق كلهم قسمان إما أهل نظر واستدلال ، وإما أهل كشف وعيان ، وقد ألف كل من الطائفتين كتبا لأهل دائرته ، فربما ظن من لا غوص له في الشريعة أن كلام إحدى الدائرتين مخالف للأخرى ، فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالأخرى ، وهذا أمر لم أر أحدا سبقني إليه . فرحم الله تعالى من عذرني في العجز عن الوفاء بما حاولته والتزمته ، فإن منازع الكلام دقيقة جدا . وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه لأبي إسحاق المزني : " عليك بالفقه وإياك وعلم الكلام . فلأن يقال لك أخطأت خير لك من أن يقال كفرت " وأنا أسأل الله العظيم كل من نظر في هذا الكتاب من العلماء ، أن يصلح كل ما يراه فيه من الخطأ والتحريف ، أو يضرب عليه ، إن لم يفتح له بجواب نصيحة للمسلمين . واعلم أني لا آذن لأحد أن يكتب له من هذا الكتاب نسخة ، إلا بعد أن يطلع عليه علماء الإسلام السالمين من الحسد ، ويجيزوه ويضعوا عليه خطوطهم ، فإن عمري الآن قد ضاق عن كمال تحريره ، وأوصي كل من عجز عن الوصول إلى تعقل كلام أهل الكشف ، أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه ، قال تعالى : فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ [البقرة : 265] وذلك لأن عقائد

....

]الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر[

]مقدمة المؤلّف[

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبهم أجمعين.

وبعد فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمى " بلواقح الأنوار القدسية " الذي كنت

أهل الكشف مبنية على أمور تشهد ، وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها . هذا ميزانهم في كل ما لم يرد فيه نص قاطع ، والنفس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف ، لقلة سالكي طريقهم . ثم اعلم يا أخي أنني طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى ، من الرسائل ، وما رأيت في عبارتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل ، المحقق مربي العارفين ، الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله ، فلذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من " الفتوحات " وغيرها ، دون كلام غيره من الصوفية ، لكني رأيت في " الفتوحات " مواضع لم أفهمها ، فذكرتها لينظر فيها علماء الإسلام ، ويحققوا الحق ويبطلوا الباطل إن وجدوه ، فلا تظن يا أخي أني ذكرتها لكوني أعتقد صحتها وأرضاها في عقيدتي ، كما يقع فيه المتهورون في أعراض الناس فيقولون لولا أنه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته ما ذكره في مؤلفه ، معاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين ، واعتقد صحة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف الغير المعصوم ، فإن في الحديث يد الله مع الجماعة ، ولذلك أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف انتهى . فليتأمل ويحرر ، ونحو ذلك إظهار للتوقف في فهمه على مصطلح أهل الكلام . وكان شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله ، يقول : : لا يخلو كلام الأئمة عن ثلاثة أحوال لأنه إما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما ، وإما أن يخالف صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما ، وإما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف انتهى . وقد أخبرني العارف بالله تعالى ، الشيخ أبو طاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه . قال لأنه رجل كامل بإجماع المحققين ، والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة ، لأن الشارع أمنه على شريعته انتهى ، فلهذا تتبعت المسائل التي أشاعها الحسدة عنه وأجبت عنها ، لأن كتبه المروية لنا عنه بالسند الصحيح ليس فيها ذلك ، ولم أجب عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيري من العلماء فمن شك في قول أضفته إليه ، وعجز عن فهمه وتأويله فلينظر في محله من الأصل الذي أضفته إليه فربما يكون ذلك تحريفا مني .

واعلم يا أخي أن المراد بأهل السنة والجماعة ، في عرف الناس اليوم ، الشيخ أبو الحسن الأشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبي

....

اختصرته من " الفتوحات المكية " خاص فهمه بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه إلا الظاهر قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه ، وقد سميته بـ " الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر " ومرادي بالكبريت الأحمر إكسير الذهب ومرادي بالشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه.

<u>أعني أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كمرتبة إكسير الذهب بالنسبة لمطلق الذهب كما سنشير إلى ذلك بما نقلناه عن الشيخ رحمه الله في أبواب فتوحاته " والكبريت الأحمر " يتحدث به ولا يرى لعزته.</u>

منصور الماتريدي وغيره ، رضي الله تعالى عنهم ، وقد كان الماتريدي إماما عظيما في السنة ، كالشيخ أبي الحسن الأشعري . ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري على أصحاب الماتريدي كان الماتريدي أقل شهرة ، فإن أتباع الماتريدي ما وراء نهر سيحون فقط.

وأما أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري : فهم منتشرون في أكثر بلاد الإسلام كخراسان ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وغيرها من البلاد . فلذلك صار الناس يقولون : فلان عقيدته صحيحة أشعرية ، وليس مرادهم في صحة عقيدة غير الأشعري مطلقا كما أشار إلى ذلك في " شرح المقاصد " . وليس بين المحققين من كل من الأشعرية والماتريدية اختلاف محقق ، بحيث ينسب كل واحد صاحبه إلى البدعة والضلال وإنما ذلك اختلاف في بعض المسائل كمسألة الإيمان بالله تعالى نحو قول الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ، ونحو ذلك انتهى . وكان سفيان الثوري يقول : أهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحدا ، وكذلك كان يقول إذا سئل عن السواد الأعظم من هم وكذلك كان يقول الإمام البيهقي . ثم اعلم يا أخي أن من كان تابعا لأهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا باتباعهم ، وبالضد من خالفهم ، فيمتلىء قلبه غما وضيقا والحمد لله رب العالمين ، وقد حبب لي أن أقدم بين يدي هذا الكتاب مقدمة نفيسة تتعين على من يريد مطالعته مشتملة على بيان عقيدة الشيخ محيي الدين الصغرى ، التي صدر بها في " الفتوحات " المكية ليرجع إليها من تاه في شيء من عقائد الكتاب ، فإن الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة وتشتمل أيضا على أربعة فصول:

الفصل الأول : في ذكر نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وبيان أن ما وجد في كتبه مخالف لظاهر كلام العلماء مدسوس عليه أو مؤول وفي بيان من مدحه وأثنى عليه من العلماء واعترف له بالفضل ، وذلك لأن غالب هذا الكتاب يرجع إلى عبارته رضي الله عنه.

الفصل الثاني : في تأويل بعض كلمات نسبت إلى الشيخ بتقدير ثبوتها عنه ، جهل أكثر الناس معانيها . وفي ذكر شيء مما ابتلي به أهل الله سلفا ، وخلفا ، في كل عصر من الإنكار عليهم امتحانا لهم وتمحيصا لذنوبهم ، أو تنفيرا لهم عن الركون إلى الناس وذلك لأن الله تعالى

....

واعلم يا أخي أنني قد طالعت من كتب القوم ما لا أحصيه وما وجدت كتابا أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب " الفتوحات المكية " لا سيما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم ، فإن نظر فيه مجتهد في الشريعة ازداد علما إلى علمه واطلع على أسرار في وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده ، وإن نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك أو شارح للأحاديث النبوية فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوي فكذلك أو مقرىء فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعه الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحويّ فكذلك أو منطقي فكذلك أو صوفي فكذلك أو

لا يصطفي عبدا قط وهو يركن إلى سواه إلا بإذنه.
الفصل الثالث : في بيان إقامة العذر لأهل الطريق في تعبيرهم بالعبارات المغلقة على من ليس منهم ، وحاصله أن ذلك كله خوف أن يرمى أولياء الله بالزور والبهتان ، فجعلوا لهم رموزا يتعارفونها فيما بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم إلا بتوقيف منهم ، غيرة على أسرار الله تعالى أن تفشى بين المحجوبين كما أشار إلى ذلك القشيري في “ رسالته: “
الفصل الرابع : في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها كل من يريد تحقيق علم الكلام إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق.
بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرئة له من سوء الاعتقاد
اعلم رحمك الله يا أخي أنه ينبغي لكل مؤمن أن يصرح بعقيدته وينادي بها على رؤوس الأشهاد ، فإن كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى ، وإن كانت غير ذلك بينوا لها فسادها ليتوب منها ، وقد أشهد هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله ، والإقرار له بالوحدانية لما علم عليه السلام أن العالم كله سيوقفه الله تعالى بين يديه ، ويسأله في ذلك الموقف العظيم الأهوال ، حتى يؤدي كل شاهد شهادته وكل أمين أمانته .
والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار ، ولهذا يدبر الشيطان إذا سمع الأذان وله ضراط حتى لا يسمع أذان المؤذن ، فيلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى في سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له إلينا خير البتة . وإذا كان العدو لابد أن يشهد لك كما أشهدته به على نفسك لأن المشهد الحق يعطي ذلك بحقيقته ، فأحرى أن يشهد لك وإليك وحبيبك ومن هو على دينك ، وأحرى أن تشهد أنت في الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية.
والإيمان ، فيا إخواني ، ويا أحبابي ، رضي الله عنا ، وعنكم ، أشهدكم أني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته ، وأنبياءه ، ومن حضر من الروحانيين ، أو سمع ، أني أقول قولا جاز ما بقلبي إن الله تعالى إله واحد لا ثاني له ، منزه عن الصاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده . بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده . فالعالم كله موجود به ، وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية

....
عالم بعلم حضرات الأسماء الإلهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك.
فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قطّ على بال وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى “ بتنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علم علوم الأولياء “ فإن علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف ومطهرة من الشك والتحريف كما أشار رضي الله تعالى عنه إلى ذلك في الباب السابع والستين وثلاثمائة من “ الفتوحات “ بقوله:
وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد إلا للشارع صلى الله عليه وسلم بقوله في الكلام على الأذان واعلم أني لم

لبقائه . بل وجوده مطلق . قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء . مقدس عن الجهات والأقطار مرئي بالقلوب والأبصار ، استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده ، كما أن العرش وما حواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول ، لا يحده زمان ولا يحويه مكان ، بل كان ولامكان ، وهو الآن على ما عليه لأنه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان ، وقال أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات ، تعالى الله أن تحله الحوادث ، أو يحلها ، أو تكون قبله أو يكون بعدها . بل يقال كان ولا شيء معه ، إذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه ، فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء ، اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كما يشاء ، بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كله على غير مثال سبق ، وخلق الخلق وأخلق ، بالذي خلق أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخر لها ما في السماوات ، وما في الأرض جميعا منه فلا تتحرك ذرة إلا به وعنه ، خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكن علمه سبق فلا بد أن يخلق ما خلق ، فهو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن وهو على كل شيء قدير ، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . كيف لا يعلم شيئا هو خلقه أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) [الملك: 14] علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها ، فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء بعلمه ، أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر والاتفاق ، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ، فعال لما يريد فهو المدبّر للكائنات في عالم الأرض والسماوات ، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شيء حتى أراده ، كما أنه لم يرده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم ، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده ، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي . كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات

....

أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء منه.

وبقوله في الباب الخامس والستين وثلاثمائة : واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فإني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه ، كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه وبقوله في باب الأسرار والنفث في الروع من وحي القدوس لكن ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الإشارة والعبارة ، ففرّق يا

بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حر ، ولا برد ولا حر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا سهاد ولا رقاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من المتضادات ، والمختلفات والتماثلات ، إلا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده ، فكيف يوجد المختار ما لا يريد ! لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرده الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه ، أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ، ولا أقدرهم عليه . فالكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بهذه الإرادة أزلا ، والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل ، جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزلة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه ، من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ [التكوير : 29] وأنه تعالى كما علم فأحكم ، وأراد فخص ، وقدر فأوجد ، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى . لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس ، يرى سبحانه السواد في الظلماء والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير . تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكون متوهم ، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته ، من علمه ، وإرادته ، وقدرته ، كلم به موسى عليه السلام سماه التنزيل ، والزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، والفرقان ، من غير تشبيه ولا تكيف . فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان

....

أخي بين وحي الكلام ووحي الإلهام تكن من أهل ذي الجلال والإكرام.

وبقوله في الباب السادس والستين وثلاثمائة : واعلم أن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس هو عن روية وفكر ، وإنما هو عن نفث في روعي على يد ملك الإلهام.

وبقوله في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة : جميع ما كتبته وأكتبه في هذا الكتاب إنما هو من إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روح كياني كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم لا بحكم الاستقلال.

كما أن سمعه من غير صمخة ولا آذان ، كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان ، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان ، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أن حياته من غير بخار تحريف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كل ما سواه فهو عن جوده فائض ، وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض . أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيه ، إن أنعم نعم فذلك فضله . وإن أبلى فعذّب فذلك عدله ، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف . كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ، ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور ، لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله ، أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان . ثمّ سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا ، لكان أو شقيا ، لما كان في ذلك من شأن . لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد ، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه . وقال تعالى هن خمس وهن خمسون ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [ق : 29] لتصرفي في ملكي ، وإنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ، ولا تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر ، إلا بوهب إلهي وجود رحماني لمن اعتنى الله تعالى به من عباده ، وسبق له ذلك في حضرة إشهاده ، فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم ، وأنها من دقائق القديم . فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته إلا إياه وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ [الصافات : 96] و لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء : 23] فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ [الأنعام : 149] . وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فبلّغ صلى الله عليه وسلم ما

....

وبقوله في الباب التاسع والثمانين من " الفتوحات " والباب الثامن والأربعين وثلاثمائة منها:
واعلم أن ترتيب أبواب " الفتوحات " لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكري وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده وذلك شبيه بقوله تعالى : حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة: 238] بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرها.
وبقوله في الباب الثاني من " الفتوحات " : اعلم أن العارفين إنما كانوا لا يتقيدون بالكلام

أنزل من ربه إليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة الوداع على من حضره من الأتباع فخطب وذكر ، وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد ، وما خص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن إذن الواحد الصمد ثم قال : ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلغت يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اشهد " . وإني مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيمانا لا ريب فيه ولا شك ، كما آمنت وأقررت أن سؤال فاتني القبر حق والعرض على الله حق والخوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في السعير ، وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق ، والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين في العذاب الأليم حق ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق ، فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه يؤديها إذا سئلها حيثما كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان وثبتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران ، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت منه على الصراط القدمان إنه المنعم المحسان آمين آمين انتهت العقيدة ، ولنشرع في الأربعة فصول فنقول وبالله التوفيق.

الفصل الأول : في بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه.

كان رضي الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم إنه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج في البراري على وجهه إلى أن نزل في قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه ، ولم يزل سائحا في الأرض يقيم في كل بلد بحسب الإذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها ، وكان آخر إقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضي الله عنه . وكان رضي الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك وسيأتي قوله ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى خلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من

....

على ما بوبوا عليه فقط لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز منها فمهما برز لها أمر بادرت لامتثاله وألفته على حسب ما حد لها فقد تلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه امتثالا لأمر ربها.

وبقوله في الباب السابع والأربعين : اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر ، إنما هي من الفيض الإلهي انتهى والله أعلم.

وأنا أسأل الله العظيم كل ناظر في هذا الكتاب أن يصلح ما يراه فيه من الزيغ والتحريف

كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة ثم أخرج لي نسخة " الفتوحات " التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم أر فيها شيئا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت " الفتوحات " . وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته . وكذلك دسوا على شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزآبادي صاحب " القاموس " كتابا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني البغوي فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك فكتب إليه الشيخ مجد الدين إن كان يكفك هذا الكتاب فأحرقه فإنه افتراء من الأعداء وأنا من أعظم المعتقدين في الامام أبي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد . وكذلك دسوا على الامام الغزالي عدة مسائل في كتاب " الإحياء " وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها . وكذلك دسوا علي أنا في كتابي المسمى " بالبحر المورود " جملة من العقائد الزائغة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم . وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الامام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه ، ثم إن بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة أن علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من ينسب إلينا إننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان .
وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي فسح الله تعالى في أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب إلى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل ، والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في مؤلفاته شيئا من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك وأدين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي أن يصدق في شيء مما ينسب إلي على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى ، هذا لفظه في آخر نسخة العهود وعقب إجازته التي كتبها أولا وكتب نحو ذلك أيضا الامام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رحمه الله تعالى ، إذا علمت ذلك فيحتمل

....
عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. "
إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق.
](الباب الثاني) في معرفة مراتب الحروف والحركات[
(قال) الشيخ رحمه الله في الباب الثاني من " الفتوحات " في قوله تعالى : وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ [يس : 69] إن الشعر محل الإجمال ، واللغز ، والرمز ، والتورية أي ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه وأطال في ذلك . وقال فيه أقل درجات أهل الأدب مع القوم التسليم لهم فيما

أن الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا فإنه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم آمين . وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي صاحب كتاب " القاموس " في اللغة يقول لم يبلغنا عن أحد من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدا وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم يزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بحل الذهب في حياته وبعد وفاته إلى أن أراد الله ما أراد من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط فكتب مسائل في درج وأرسلها إلى العلماء ببلاد الإسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال ، وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت ، والشيخ عن ذلك كله بمعزل.

قال الفيروزآبادي : " فلا أدري أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده . قال : والذي أقوله وأتحققه وأدين الله تعالى به أن الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وإمام التحقيق حقيقة ورسما ، ومحيي علوم العارفين فعلا واسما ، إذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره لأنه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا يتقاصى عنه الأنواء ، كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتغترف بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أنني ما أنصفته.

وما علي إذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه * ما زدت إلا لعلي زدت نقصانا

قال : وأما كتبه رضي الله عنه فهي البحار الزواخر التي ما وضع الواضعون مثلها ومن خصائصها ما واظب أحد على مطالعتها إلا وتصدر لحل المشكلات في الدين ومعضلات مسائله وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبدا . قال : وأما قول بعض المنكرين إن كتب الشيخ

....
يقولون وأعلاها القطع بصدقهم وما عدا هذين المقامين فحرمان وقال فيه الخلاف لا يصح عندنا ولا في طريقنا لأنّ الكل ينظرون كل شيء بعينه ، ومن هنا قالوا الكامل يكنى بأبي العيون وقال في قوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103]
أي الأبصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أي لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم ومضعفهم عن حمل تجلية الأقدس على ما تعطيه الألوهية وقال في قوله تعالى : وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه : 114] اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي القرآن مجملا قبل جبريل من غير

لا تخل قراءتها ولا إقراؤها فكفر . قال : وقد قدّموا إلي مرة سؤالا صورته : ما تقول في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن العربي ، " كالفصوص " و " الفتوحات " هل يحل قراءتها وإقراؤها وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا ؟ فأجبت نعم ، هي من الكتب المسموعة المقروءة ، وقد قرأها عليه الحافظ البرزلي وغيره . ورأيت إجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشي " الفتوحات المكية " بمدينة قونية وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدثين فمطالعة كتب الشيخ قربة إلى الله تعالى ، ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق ، فلقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به ، خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده ووقعوا في عرضه بهتانا وزورا وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه الذي استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الأمور:

على نحت القوافي من معادنها * وما علي إذا لم تفهم البقر "

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى.

وكان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الإسلام بالشام يقول : إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فإن لحوم الأولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة ومن أبغضهم تنصر ومات على ذلك ، ومن أطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله بموت القلب . وكان أبو عبد الله القرشي يقول : من غض من ولي الله عز وجل ضرب في قلبه بسهم مسموم ، ولم يمت حتى تفسد عقيدته ويخاف عليه من سوء الخاتمة.

وكان أبو تراب النخشبي يقول : إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أوليائه قال الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي : وقد رأيت إجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب ورأيت في آخرها وأجزت له أيضا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مؤلف ، مؤلفا منها " تفسيره الكبير " في خمسة وتسعين مجلدا وصل فيه إلى قوله تعالى وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [الكهف : 65] ، فاصطفاه الله لحضرته ومنها " تفسيره الصغير " في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين ومنها كتاب

....

تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقيه على الأمة مجملا فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله : وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه : 114]

أي بتفصيل ما أجمل من المعاني في التوحيد والأحكام لا زدني أحكاما كما توهمه بعضهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول : " اتركوني ما تركتكم " فاعلم ذلك وقال أيضا في الباب الثاني منها اعلم يا أخي أنه لو كانت علوم الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانحصرت في أقرب مدة ولكنها موارد تتولى من الحق على خاطر العبد والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل

الرياض الفردوسية في بيان الأحاديث القدسية " فهل يحل لمسلم أن يقول لا يجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقا ما ذاك إلا كفر وتعصب وعناد . وممن أثنى عليه أيضا الشيخ كمال الدين الزملكاني رحمه الله وكان من أجل علماء الشام ، وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي ؛ وقيل له لما رجع من الشام إلى بلاده كيف وجدت الشيخ محيي الدين ؟ فقال : وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له ، قال : وقد أنشدني الشيخ بلفظه من جملة أبيات:
تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا
وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في " تاريخ علماء مصر " وقال : من أراد أن ينظر إلى كلام أهل العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله .
وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه " الفصوص " إنه ما صنعه إلا بإذن من الحضرة النبوية ، فقال الحافظ : ما أظن أن مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلا ، مع أن الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفته الصوفية هو وابن تيمية ، وممن أثنى عليه أيضا الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان يقول : إن الشيخ محيي الدين كان كاملا في العلوم الشرعية والحقيقية ، ولا يقدح فيه إلا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نسبتهم إلى الجنون ، والسحر ، على لسان من لم يؤمن بهم.
وكان الشيخ مؤيد الدين الخجندي يقول : ما سمعنا بأحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين ، وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي ، والشيخ كمال الدين الكاشي ، وقال فيه إنه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات . مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشد الناس إنكارا على من يخالف ظاهر الشريعة . وممن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي ، وقال : كان الشيخ محيي الدين وليا عظيما . وسئل الإمام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قال : " تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ [البقرة : 134] ولكن الذي عندنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل ، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم ، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق " . قال في " شرح المهذب " : " ثم إذا أول فليؤول كلامهم إلى سبعين وجها ولا نقبل عنه تأويلا واحدا ما ذاك إلا تعنت " انتهى . وممن أثنى عليه أيضا الإمام ابن أسعد اليافعي ، وصرح بولايته العظمى كما نقل
....
على الدوام فإما يقبل الجهل وإما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدتها وإذا صفا القلب حصل من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته في أزمنة متطاولة الاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولذلك قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه : 114] وأطال في ذلك ،
[الباب الخامس في معرفة أسرار بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ والفاتحة من وجه ما لا من جميع الوجوه]
وقال في الباب الخامس:
اعلم أن آدم عليه السلام حامل للأسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الأسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم . وقال من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى

ذلك عن شيخ الإسلام زكريا في شرحه " للروض " ، وكان اليافعي يجيز رواية كتب الشيخ محيي الدين ، ويقول إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد إزالته من مكانه بنفختها قال ومن عادى أولياء الله فكأنما عادى الله وإن كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود في النار انتهى . وممن أثنى عليه أيضا من مشايخنا محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي وترجمه بأنه مربي العارفين كما أن الجنيد مربي المريدين ، وقال إن الشيخ محيي الدين روح التنزلات والإمداد وألف الوجود وعين الشهود وهاء المشهود الناهج منهاج النبي العربي قدس الله سره وأعلى في الوجود ذكره انتهى . قلت : وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتابا في الرد عن الشيخ محيي الدين وقال كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لم يفهمه من كلامه في " الفتوحات " وغيرها وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم وتلقوها بالقبول . قال وقد شرح كتابه " الفصوص " جماعة من الأعلام الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة وشاعت كتبه في الأمصار وقرئت متنا وشرحا في غالب البلاد ورويناها بالقراءة الظاهرة في الجامع الأموي وغيره بالإسناد وتغالى الناس قديما وحديثا في شرائها ونسخها وتبركوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد والعلم ومحاسن الأخلاق . وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم في بحر علمه كلا شيء ، وهل ينكر على الشيخ إلا جاهل أو معاند . قال الفيروزآبادي رحمه الله بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين : ثم إن الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام ، وقد أخرج هذه العلوم بالشام ولم ينكر عليه أحد من علمائها . قال : وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين الخونجي الشافعي يخدمه خدمة العبيد وأما قاضي القضاة المالكي فهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وأطال الفيروزآبادي في ذكر مناقب الشيخ ثم قال:
وبالجملة فما أنكر على الشيخ إلا بعض الفقهاء القح الذين لاحظ لهم في شرب المحققين وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقروا بأنه إمام أهل التحقيق والتوحيد وأنه في العلوم الظاهرة فريد وحيد . وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : ما وقع إنكار من بعضهم على الشيخ إلا رفقا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرا لا يوافق الشرع فيضلوا ولو أنهم صحبوا الفقراء لعرفوا مصطلحهم وأمنوا من مخالفة

....

عليه إلا أن يكون المثني هو الله عز وجل كيحيى وعيسى في قول الله في حق يحيى عليه السلام : وَسَلامٌ عَلَيْهِ [مريم : 15] وقول عيسى عليه السلام : وَالسَّلامُ عَلَيَّ [مريم : 33] فعلم أن من حصل الذات فالأسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الأسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لأنهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الأجر . وأيضا فلحضرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا تضعيف على تضعيف فنحن الإخوان وهم الأصحاب وهو صلى الله عليه وسلم إلينا بالأشواق وللعامل منا أيضا أجر

الشريعة . قال شيخ الإسلام المخزومي : وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها تتردد إليه ويعترفون له بجلالة المقدار وأنه أستاذ المحققين من غير إنكار وقد أقام بين أظهرهم نحوا من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى . وقال الفيروزآبادي : قد كان الشيخ محيي الدين بحرا لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد إذ ذاك مجمع العلماء المحدثين وكان الشيخ هو المشار إليه بينهم في كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون إلى مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤون عليه تصانيفه قال : ومصنفاته بخزائن مكة إلى الآن أصدق شاهد على ما قلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث وإسماعه وصنف فيها " الفتوحات المكية " التي كتبها عن ظهر قلب جوابا لسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشي ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة فأقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها إلا بعد ذلك . قال : وأما ما أشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما أمرا بإحراق كتب الشيخ محيي الدين فكذب وزور ، ولو أنها أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولا كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو أن ذلك وقع لم يخف لأنه من الأمور العظام التي تسير بها الركبان في الآفاق ولتعرض لها أصحاب التواريخ وقال الشيخ سراج الدين المخزومي كان شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية . فمن جملة ما ترجمه به الامام السبكي : كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وإن الفضل في زمانه رمى بمقاليده إليه وقال لا أعرف إلا إياه . ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سئل عنه : إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فإنه رحمه الله لما خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في " الفصوص " و " الفتوحات " و " التنزلات الموصلة " وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الإشارات ثم إنه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة

....

خمسين ممن يعمل بعمالهم لكن من أمثالهم لا من أعيانهم فافهم.

[(الباب السادس) في معرفة بدء الخلق الروحاني]

وقال في الباب السادس:

أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجماد أنه لا يعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم قد ورد أن كل شيء يسمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم ذلك عن كشف لا عن استنباط عن نظر وأطال في ذلك

[(الباب السابع) في معرفة بدء الجسوم الإنسانية]

وقال في الباب السابع : اعلم أن الإنسان آخر جنس موجود من العالم

باصطلاحه ولا سألوا من يسلك بهم إلى إيضاحه وذلك أن كلام الشيخ رضي الله عنه تحته رموز وروابط وإشارات وضوابط وحذف مضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال مجهولة ولو أنهم نظروا إلى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات المرادة ولم يباين اعتقادهم اعتقاده . قال : ولقد كذب والله وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها وأكثر من النظر في أسرار كلامه ورابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وحمدت الله عز وجل إذ لم أكتب في ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله

" انتهى كلام الشيخ سراج الدين البلقيني . قال تلميذه شيخ الإسلام المخزومي رحمه الله تعالى : ولما وردت القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني وذلك في عام أربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في حق الشيخ محيي الدين من أنه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ : معاذ الله وحاشاه من ذلك إنما هو من أعظم الأئمة وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده . قال المخزومي:

فقوى بذلك نفسي وكثر اعتقادي في الشيخ من تلك الساعة وعلمت أنه من رؤوس أهل السنة والجماعة . قال المخزومي : ولقد بلغنا أن الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه " للمنهاج " في حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف قال مع أن السبكي قد صنف كتابا في الرد على المجسمة والرافضة وكتب الأجوبة العلمية في الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيئا في الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع الأموي وغيره بل كان يقول ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراتبهم

وكذلك كذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح . وأطال المخزومي في الثناء على الشيخ محيي الدين .

ثم قال : فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما بقيا على إنكارهما على الشيخ محيي الدين إلى أن ماتا فهو مخطىء انتهى . قال : ولما بلغ شيخنا السراج البلقيني أن الشيخ بدر الدين السبكي شيخ الإسلام بالشام رد على الشيخ في موضعين من كتاب " الفصوص " أرسل له كتابا من جملته : يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الإنكار على أولياء الله وإن كنت ولا بد

....

الكبير وآخر صنف من المولدات قال : وأكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي بإحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله تعالى الدنيا بعد أن انتهى من مدة خلق العالم الطبيعي بأربع وخمسين ألف سنة ثم خلق الآخرة أعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة وسميت الدنيا الأولى لأنها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار أمدا ينتهي إليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف

رادا فرد كلام من رد على الشيخ وإلا فدع . وسئل العماد بن كثير رحمه الله عمن يخطئ الشيخ محيي الدين فقال : أخشى أن يكون من يخطئه هو المخطىء وقد أنكر قوم عليه فوقعوا في المهالك . وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين فقال : ما لكم ولرجل قد أجمع الناس على جلالته انتهى . قال شيخ الإسلام المخزومي : وأما ما نقله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه كان يقول ابن عربي زنديق فكذب وزور فقد روينا عن الشيخ صلاح الدين القلانسي صاحب " الفوائد " عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال : كنا في درس الشيخ عز الدين في باب الردة فذكر القارئ لفظة الزنديق فقال بعضهم : هذه اللفظة عربية أو عجمية ؟ فقال بعض العلماء : فارسية معربة ، أصلها زن دن وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الإيمان فقال شخص من الطلبة مثل من ؟ فقال شخص بجانب الشيخ عز الدين بن عبد السلام مثل محيي الدين بن العربي ولم ينطق الشيخ عز الدين بشيء ، قال الخادم : فلما قدمت له عشاءه وكان صائما سألته عن القطب من هو ؟ فقال لا أرى القطب في زماننا هذا إلا الشيخ محيي الدين بن العربي وهو متبسم فأطرقت مليا متحيرا فقال:
مالك ذلك مجلس الفقهاء ما وسعني فيه غير السكوت . قال المخزومي فهذا هو الذي رويناه عن الشيخ عز الدين بالسند الصحيح انتهى . ذكر ذلك كله الشيخ المخزومي في كتابه المسمى " بكشف الغطاء " عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين . قلت وقد صنف شيخنا الجلال السيوطي كتابا في الرد عن الشيخ محيي الدين سماه " تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي " وكتابا آخر سماه " قمع المعارض في نصرة ابن الفارض " لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعي بمصر فراجعهما.
الفصل الثاني : في تأويل كلمات أضيفت إلى الشيخ محيي الدين.
وذكر جماعة ابتلوا بالإنكار عليهم ليكون للشيخ أسوة بهم . اعلم رحمك الله أنه لا يجوز الإنكار على القوم إلا بعد معرفة مصطلحهم في ألفاظهم ، ثم إذا رأينا بعد ذلك كلامهم مخالفا للشريعة رمينا به.
وقال الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي صاحب كتاب " القاموس " في اللغة ، لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادىء الرأي لعلو مراتبهم في الفهم والكشف ، قال : ولم يبلغنا عن أحد منهم
....
سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وأطال في ذلك.
[(الباب التاسع) في معرفة وجود الأرواح المارجية النارية]
وقال في الباب التاسع : كان الجان في الأرض قبل آدم بستين ألف سنة . وقال : أول من سمي من الجن شيطانا وأول من عصى هو الحارث فأبلسه الله وأبعده وليس هو بأب للجن كما توهم إنما هو واحد منهم وهو أول الأشقياء من الجن كما أن قابيل أول الأشقياء من البشر ،
[الباب الحادي عشر في معرفة آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات]
وقال في الباب الحادي عشر بلغنا أنه وجد مكتوبا بالقلم الأول على الأهرام وأنها بنيت والنسر الطائر في الأسد وهو الآن في الجدي يعني على أيام الشيخ محيي الدين فاحسب ما بينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى.

أنه أمر بشيء يهدم الدين ولا نهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض الاسلام ومستحباته ، إنما يتكلمون بكلام يدق عن الأفهام ، وكان يقول : قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يصرح بها في كتاب ولا سنة ولكن أكابر العلماء العاملين قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص إذا سمع كلاما لا يفهم بل يبادر إلى الإنكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا . قال : وناهيك بأبي العباس بن سريج في العلم والفهم تنكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيئا مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ما وجدت قال لم أفهم من كلامه شيئا إلا أن صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى .
وكان شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزآبادي يقول : كما أعطى الله تعالى الكرامات للأولياء التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يعطيهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول العلماء . وكان شيخ الإسلام المخزومي يقول : لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا أن يسلك طريقهم ويرى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة ، وأما الإشاعة عنهم فلا يجوز الإنكار عليهم ولا سبهم وأطال في ذلك ثم قال : وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهم بالإنكار عليهم ولا سبهم وأطال في ذلك ثم قال : وبالجملة فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهم بالإنكار أن يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الإنكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثنى ومنها اطلاعه على كتب التفسير والتأويل وشرائطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ، ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن دليله أرجح من الآخر ومنها تبحره في علم الأصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ، ومنها وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذات الذات ومعرفة حضرات الأسماء والصفات والفرق بين الحضرات وبين الأحدية والوحدانية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والأزل والأبد وعالم الغيب والكون والشهادة والشؤون وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ومن هو

....
ومعلوم أن النسر الطائر لا ينتقل من برج إلى غيره إلا بعد مضي ثلاثين ألف سنة ، قال الشيخ عبد الكريم الجيلي وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك إلا بعد ثلاثمائة ألف سنة انتهى.
(قلت) : وسيأتي في الباب التسعين وثلاثمائة قول الشيخ ولقد ذكر لنا في " التاريخ المتقدم " أن تاريخ أهرام مصر بنيت والنسر في الأسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من علم تاريخ الأهرام فلم يدربانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس

الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم انتهى . وقد شرح الحافظ ابن حجر بعض أبيات من تائية ابن الفارض رضي الله عنه وقدمها إلى سيدي الشيخ مدين ليكتب له عليها إجازة فكتب له على ظاهرها ما أحسن ما قال بعضهم:
سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب
ثم أرسلها إلى الحافظ فتنبه لأمر كان عنه غافلا ثم أذعن لأهل الطريق وصحب سيدي مدين إلى أن مات وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : مما يدلك على أن أهل الطريق ما تعدوا على قواعد الشريعة دون غيرهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شيء من ذلك على يد أحد ولو بلغ في العلم ما بلغ إلا إن سلك طريقهم انتهى . وكان الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي يقول : لا ينبغي لأحد من أهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح فإن علوم هؤلاء فرع علوم أهل النظر وكان الشيخ محيي الدين من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلألأت سبحاته بالأنوار الساطعة إلى يوم التلاقي ومن تعرض لتخطئة مثله أو تكفيره فإنما هو لجهله وحرمانه أو لعدم فهمه وضعف إيمانه وعدم مبالاته بهفوات لسانه انتهى . وقد نقل الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من " الإحياء " عن بعض العارفين أنه كان يقول : من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لأهله كما أن من لم يتغلغل في علم الشريعة يخاف عليه الزبير إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما أنكره المتعصبون على الشيخ بحسب الإشاعة قولهم : إن الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا إله إلا الله وذلك كفر . والجواب بتقدير صحة ذلك عنه أن المراد أن الحق تعالى ثابت في ألوهيته قبل إثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج إلى إثباتك إذ ما تم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفي وإنما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليؤجره الله على ذلك وحاشى الشيخ أن يصرح بفساد قول لا إله إلا الله هذا لا يقوله عاقل لأنها من القرآن العظيم فافهم . ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول في كتبه مرارا لا موجود إلا الله . فالجواب أن معنى ذلك بتقدير صحته عنه أنه لا موجود قائم بنفسه إلا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما أشار إليه حديث . ألا كل شيء ما خلا

....
بالقطع فإذا كان هذا عمر الأهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم.

[الباب الثالث عشر في معرفة حملة العرش]

وقال في الباب الثالث عشر : لم يتقدم خلق العرش من الملائكة أحد سوى الملائكة المهيمن في جلال الله تعالى وبعدهم القلم الأعلى فالملائكة المهيمون أول مظهر ظهر في العماء والقلم أو ملائكة التدوين والتسطير وطال في ذكر المخلوقات الأول على الترتيب

[الباب الرابع عشر " في معرفة أسرار الأنبياء أعني أنبياء الأولياء]

وقال في الباب الرابع عشر جملة الأقطاب المكملين في الأمم السابقة من عهد آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد أقدس في حضرة برزخيته وأنا بمدينة قرطبة وهم المفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنجور وعنصر الحياة

الله باطل . ومن كان حقيقته كذلك فهو إلى العدم أقرب إذ هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا تخلص لأحد الطرفين ، فإن صح أن الشيخ قال : لا موجود إلا الله فإنما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد من شهد الحق لم ير الخلق انتهى . ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله جعل الحق والخلق واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده بتقدير صحة ذلك عنه . والجواب أن معنى يحمدني أنه يشكرني إذا أطعته كما في قوله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة : 152] وأما في قوله فيعبدني وأعبده أي يطيعني بإجابته دعائي كما قال تعالى لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ [يس : 59] أي لا تطيعوه وإلا فليس أحد يعبد الشيطان كما يعبد الله فافهم . وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من " الفتوحات المكية " بعد كلام طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على أن العالم ما هو عين الحق تعالى إذ لو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالى بديعا انتهى . ومن دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من " الفتوحات " بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين و " الفتوحات " من أواخر مؤلفاته فإنه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين . قال شيخ الإسلام الخالدي رحمه الله:
والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف إلى قبول إيمانه لما حكى الله عنه أنه قال آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [يونس : 90] وكان ذلك آخر عهده بالدنيا ، وقال أبو بكر الباقلاني : قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره انتهى ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وإيمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم . ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يقول بجواز إباحة المكث للجنب في المسجد فإن صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لمولانا عبد الله بن عباس والإمام أحمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكر إن الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الأئمة مردود . ومن ذلك دعوى المنكر إن الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الأئمة مردود . ومن

....

والشريد والراجع والصائغ والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والرامي والواسع والبحر والملصق والهادي والمصلح والباقي انتهى.
(قال) : وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة والله أعلم . وقال : فإن الوحي المتضمن للتشريع قد أغلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان عيسى عليه السلام إذا نزل يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون وحي جديد فعلم أنه ما بقي للأولياء إلا وحي الإلهام على لسان ملك مغيب لا يشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل : بتضعيفه أو عكسه من طريق الإلهام من غير شهود للملك إذا لا يجمع بين شهود الملك وسماع خطابه إلا الأنبياء وأما الولي فإن سمع صوتا لا يرى صاحبه وإن رأى الملك لا

ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول الولي أفضل من الرسول . والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك وإنما قال اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما أفضل ؟ والذي أقول به أن ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة فإنها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى . ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره فافهم . وبقي مسائل كثيرة نسبت للشيخ وسيأتي بيان أنها افتراء وكذب على الشيخ منثورة في مباحثها إن شاء الله تعالى وفي المثل السائر ويعيا المداري في طريق المخالف والله أعلم ، وقد قال تعالى وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ [الفرقان : 20] وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه " التحدث بالنعمة " ما صورته : ومما أنعم الله به على أن أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون رواه الحاكم في " مستدركه " وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : لا يفقد نبي حرمته إلا في بلده . وروى البيهقي أن كعب الأحبار قال لأبي موسى الخولاني : كيف تجد قومك لك ؟ قال مكرمين مطيعين قال : ما صدقتني التوراة إذن وأيم الله ما كان رجل حليم في قوم قط إلّا بغوا عليه وحسدوه . وأخرج ابن عساكر مرفوعا : أزهد الناس في الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) [الشعراء : 214] وكان أبو الدرداء يقول أزهد الناس في العلم أهله وجيرانه إن كان في حسبه شيء عيروه وإن كان عمل في عمره ذنبا عيروه انتهى . قال الجلال السيوطي رحمه الله : واعلم أنه ما كان كبير في عصر قط إلا كان له عدو من السفلة إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف فكان لآدم عليه السلام إبليس وكان لنوح حام وغيره وكان لداود جالوت وأضرابه وكان لسليمان صخر وكان لعيسى في حياته الأولى بختنصر وفي الثانية الدجال وكان لإبراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكان له أبو جهل وكان لابن عمر عدو يعبث به كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير إلى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا على رأسه ماء حميما فزلع وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلاته فقال : ما شأني ؟ فذكروا له القصة فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه ، وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن الأزرق كان يؤذيه أشد الأذى ويقول:

....

يسمع له كلاما إذ لا تشريع في وحي الأولياء فافهم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثاني والعشرين والله أعلم.

[الباب الخامس عشر في معرفة الأنفاس ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم هي]

وقال في الباب الخامس عشر : الأبدال السبعة للأقاليم السبعة إنما هم مستمدون من روحانية الأنبياء الكائنين في السماوات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم عليهم الصلاة والسلام قال : وأما يحيى فله تزدد بين عيسى وهارون فمدد كل بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الأنبياء وكذلك تنزل العلوم عليهم في أيام الأسبوع لكل يوم علم يتنزل من رقائق نبي من هؤلاء.

[الباب السادس عشر " في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية]

وقال في الباب السادس عشر : ما دخل التلبيس على السوفسطائية إلا من تشكيك إبليس لهم في الحواس

إنه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة وشكوه إلى عمر بن الخطاب وقالوا إنه لا يحسن أن يصلي . وأما الأئمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الإمام أبو حنيفة مع الخلفاء وما قاساه الإمام مالك واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك ما قاساه الإمام الشافعي من أهل العراق ومن أهل مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الإمام أحمد بن حنبل من الضرب والحبس وما قاساه البخاري حين أخرجوه من بخارى إلى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وأحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم أنهم نفوا أبا يزيد البسطامي سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها وشيعوا ذا النون المصري من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة ، ورموا سمنون المحب أحد رجال القشيري بالعظائم وأرشوا امرأة من البغايا فادعت عليه أنه يأتيها هو وأصحابه واختفى بسبب ذلك سنة ، وأخرجوا سهل بن عبد الله التستري من بلده إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه مع إمامته وجلالته ولم يزل بالبصرة إلى أن مات بها ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على الجنيد بالكفر مرارا حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤوس الأشهاد فصار يقرره في قعر بيته إلى أن مات وكان من أشد المنكرين عليه وعلى رويم وعلى سمنون وعلى ابن عطاء ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط عليهم أشد الحط وكان إذا سمع أحدا يذكرهم تغيظ وتغير لونه وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والإيمان بها على علم الله فيها ولما أرادوا إخراجه قال لا أخرج إلا إن جعلتم في عنقي حبلا ومررتم بي في أسواق البلد وقلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك وأخرجوه ، فالتفت إليهم وقال : يا أهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الأشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم تلك من بلخ صوفي أبدا مع أنها كانت أكبر بلاد الله صوفية وأخرجوا الإمام يوسف بن الحسين الرازي وقام عليه زهاد الري وصوفيوه وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا وطافوا به على جمل فأقام ببغداد إلى أن مات بها ، وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع

....

وإدخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند إليها أهل النظر في صحة أداتهم فلما أظهر لهم إبليس الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فإن قيل لهم فهذا علم بأنه ماثم علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول إن قولنا هذا ليس بعلم هو من جملة الأغاليط قال الشيخ رحمه الله تعالى وهذا من جملة ما أدخل عليهم إبليس من الشبه وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل للحس غلطا جملة واحدة وإنما الحاكم على الحس هو الذي يغلط كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مر أوليس هو بمر في نفسه بدليل ذوق غيره للعسل ووجدانه الحلاوة ولو أن صاحب المرة أصاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر

الناس عنه مدة طويلة وأخرجوا الإمام أبا بكر النابلسي مع فضله وكثرة علمه واستقامته في طريقه من الغرب إلى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا أن يفتتنوا به ، وكذلك سلخوا النسيمي بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك أنهم كتبوا سورة الاخلاص وأرشوا من يخيط النعال وقالوا هذه ورقة محبة وقبول فضعها لنا في أطباق النعل ، ثم أخذوا ذلك النعل وأهدوه للشيخ من طريق بعيدة فلبسه وهو لا يشعر ثم طلعوا لنائب حلب وقالوا له : بلغنا من طريق صحيحة أن النسيمي كتب قل هو الله أحد وجعلها في طباق نعله وإن لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك ففعل ، فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه وعلم أنه لا بد أن يقتل على تلك الصورة ، وأخبرني بعض تلامذة تلامذته أنه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر إلى الذي يسلخه ويتبسم ، ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى المسان فمات بها ، وكذلك أخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلي من الغرب إلى مصر وشهدوا عليه بالزندقة وسلمه الله من كيدهم ، ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه ثم حصل له اللطف ، ذكره ابن أيمن في " رسالته " ورموا الشيخ تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه أنه يقول بإباحة الخمر واللواط وأنه يلبس في الليل الغار والزنار وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام إلى مصر ، وخرج الشيخ جمال الدين الإسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه ، وأنكروا على سيدي إبراهيم الجعبري وسيدي حسين الجاكي ومنعوهما أن يجلسا على كرسي الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه في مقدمة كتاب " الطبقات " وإنما ذكرنا لك يا أخي محن هذه الأمة من المتقدمين والمتأخرين تأنيسا لتقبل على مطالعة كتب الصوفية لا سيما الشيخ محيي الدين لأن هؤلاء الأئمة ثناؤهم عندنا كالمسك الأذفر بذلك لا يقدح في كمالهم ما قيل فيهم ، كذلك لا يقدح ما قيل في كمال الشيخ محيي الدين والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الثالث : في بيان إقامة العذر لأهل الطريق في تكلمهم في العبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم.

اعلم رحمك الله أن أصل دليل القوم في رمزهم الأمور ما روي في

……………………………………………………………

بالمرارة وعرف أن الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي على الحس يخطئ ويصيب وذكر الشيخ ذلك أيضا في الباب الرابع والثلاثين فراجعه .

وقال في قوله تعالى : ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ [الأعراف : 17] إنما لم يذكر العلو والسفل لأن هذه الجهات الأربع المذكورة هي التي يأتي الشيطان منها إلى الإنسان فإن جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف والبرهان غير ذلك لا يكون وإن جاءك من خلفك فاطرده بالصدق وترك الشهوات وإن جاءك من يمينك الذي هو الجهة الموصوفة بالقوة ليضعف يقينك وإيمانك بإلقاء الشبه في أدلتك فكن موسوي المقام وتذكر قصته مع السحرة حتى آمنوا وإن

بعض الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأبي بكر الصديق : أتدري يوم يوم ؟ فقال أبو بكر:
نعم يا رسول الله ، لقد سألتني عن يوم المقادير . وروي أيضا أنه قال له يوما : يا أبا بكر أتدري ما أريد أن أقول ؟ فقال : نعم هو ذاك هو ذاك ، حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من " الفتوحات " ما نصه : اعلم أن أهل الله لم يضعوا الإشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لأنفسهم فإنهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وإنما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع شيئا لم يصل إليه فينكره على أهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا قال:
ومن أعجب الأشياء في هذه للطريق بل لا يوجد إلا فيها أنه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب المتكلمين والفلاسفة إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف منهم لا بد من ذلك إلا أهل هذه الطريق خاصة فإن المريد الصادق إذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الإشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضروريا لا يقدر على دفعه فكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل له ذلك هذا شأن المريد الصادق وأما الكاذب فلا يعرف ذلك إلا بتوقيف ولا يسمح له قبل إخلاصه في الإرادة وطلبه لها أحد من القوم ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتوقفون في فهم كلام القوم وناهيك بالإمام أحمد بن سريج ، حضر يوما مجلس الجنيد ، فقيل له : ما فهمت من كلامه ، فقال : لا أدري ما يقول . ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ، ظاهرة تدل على عمل في الباطن ، وإخلاص في الضمير ، وليس كلامه كلام مبطل . انتهى . ثم إن القوم لا يتكلمون بالإشارة إلا عند حضور من ليس منهم أوفى تأليفهم لا غير ، ثم قال : ولا يخفى أن أصل الإنكار من الأعداء المبطلين إنما ينشأ من الحسد ، ولو أن أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم إنكار ولا حسد ، وازدادوا علما إلى علمهم ولكن هكذا كان الأمر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأطال في ذلك ثم قال : وأشد الناس عداوة لأصحاب علوم الوهب الإلهي في كل زمان أهل الجدال بلا أدب فهم لهم من أشد المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا إلى

....
جاءك من جهة الشمال فاطرده بدلائل التوحيد وعلم النظر فإن الخلف للمعطلة أو المشركين كما أن اليمين للضعف والأمام للتشكيك في الحواس ومن هنا دخل اللبس على السوفسطائية كما مر وسيأتي بسطه قريبا.

[الباب السابع عشر في معرفة انتقال العلوم الكونية ونبذ من العلوم الإلهية الممدة الأصلية]

وقال في الباب السابع عشر ليس في نظر الله تعالى للوجود زمان لا ماض ولا مستقبل بل الأمور كلها معلومة عنده في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا بالحصر هكذا إدراك الحق للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها ، فتنوعت الأحوال في خيالها لا في علمها ، فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها لا حالة لم يكن عليها فما أوجد الله الأعيان إلا لها لا له لأنها على حالتها بأماكنها

الإشارات ، كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى:
سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ [فصلت : 53] فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة ليأنس المنكرون عليهم ولا يقولوا إن ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الرائمين معرفة مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم وإن الله تعالى كان قادرا أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه كآيات المتشابهات والحروف . أوائل السور ، ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها إلا عباده الخلص ، ولو أن المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا في نفوسهم إذا رأوا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلموا لبعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى تلك الآية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه وكلهم في مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهور ، فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى إذا جاؤوا بشيء يغمض عن إدراكهم . قال : وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون في أهل الله تعالى أنهم يعلمون الشريعة وإنما ينسبونهم إلى الجهل والعامية لا سيما إن لم يقرءوا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من أين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم ، أن أحدا لا ينال علما إلا على يد معلم ، وصدقوا في ذلك . فإن القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علما من لدنه بإعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تعالى خلق الإنسان علمه البيان وقال علم الإنسان ما لم يعلم وقال في عبده الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا إن العلم لا يكون إلا بواسطة معلم وأخطئوا في اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول . قال تعالى : يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ [البقرة : 269] والحكمة هي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد في الدنيا وآثروها على الآخرة على ما يقرب إلى الله تعالى وتعودوا أخذ العلم من الكتب ، ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم ، إذ هو المعلم الحقيقي للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذي لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كماله ، فإن الذين قالوا أولا إن علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم

....
وأزمانها في العلم الإلهي . وأما الأعيان فيكشف لها عن أحوالها شيئا فشيئا على التوالي والتتابع إلى ما لا يتناهى قال فتحقق بهذه المسألة فإن قليلا من عثر عليها لخفائها فإنها متعلقة بسر القدر.

[الباب الثامن عشر : في معرفة علم المتهجدين]

(وقال) في الباب الثامن عشر : لا يجني ثمرة التهجد وعلومه الفياضة على أصحابه كل ليلة إلا من كانت فرائضه كاملة فإن كانت فرائضه ناقصة كملت من نوافله ؛ فإن استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك

[الباب العشرون في العلم العيسوى ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهم]

وقال في الباب العشرين

يريدوا نفي علمه تعالى بها ، وإنما قصدوا بذلك أن الحق تعالى يعلم جميع الأشياء كليات وجزئيات علما واحدا ، فلا يحتاج في علمه بالجزئيات إلى تفصيلها ، كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك فقصدوا تنزيهه عن توقف علمه على التفصيل فأخطئوا في التعبير ، فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ، ولكن أين الإنصاف وأطال في ذلك ثم قال فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق إشارات لكون المنكرين ، لا يردون الإشارات وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لأهل الله في دعواهم العلم من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لو تكلمت لكم في تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا فهل ذلك إلا من العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى له من طريق الإلهام إذ الفكر لا يصل إلى ذلك . وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول لعلماء زمانه : أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علومنا عن الحي الذي لا يموت . وكان الشيخ أبو مدين إذا سمع أحدا من أصحابه يقول في حكاية:
أخبرني بها فلان بن فلان يقول : لا تطعمونا القديد ، يريد بذلك رفع همة أصحابه ، يعني لا تحدثوا إلا بفتوحكم الجديد الذي فتح الله تعالى به على قلوبكم في كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم . فإن الواهب للعلم الإلهي حي لا يموت ، وليس له محل في كل عصر إلا قلوب الرجال . انتهى . وسيأتي بسط ذلك أيضا في آخر المبحث السابع والأربعين . قال شيخ الإسلام سراج الدين المخزومي رضي الله عنه في رمز الأشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة : أحدها:
حجب من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ، ولا دخول من بابهم عن إفشاء أسرار الربوبية من غير ذوق ، فيقع في إفشائه ، أو يكفر أهل الله بفهمه السقيم . الثاني : أن في ذلك إشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا في العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مع إهدة وذوقا . الثالث : أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه إلا كل جواد في العلوم صنديد في علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازي يقول : ما أذن لي في تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنتي عشرة ألف ورقة هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذي يخوض فيه القوم ، وقد قال الإمام الشافعي للربيع الجيزي : إياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث فلأن يقال لك أخطأت خير من أن يقال لك كفرت . انتهى . وسئل الأستاذ علي بن وفا رضي الله عنه من بعض العارفين
....
حظ أهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب في حال عدمه توقعه فلا أمان لهم بطريق الأخبار من الله تعالى بقوله : لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ [الزخرف : 75] وأطال في ذلك
[الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية]
وقال في الباب الثاني والعشرين في قوله وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ [يس : 12] اعلم أن قوله:
أحصيناه يدل على أنه تعالى ما أودع فيه إلّا علوما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر لنا.
قال : وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لأحد حصر أمهات هذه العلوم فقال : نعم هي مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها إلا الله تعالى.
[الباب الرابع والعشرون : في معرفة جاءت عن العلوم الكونية]
وقال في الباب الرابع والعشرين : أول من اصطلح على تسمية سؤال العبد

على لسان بعض المعترضين : لم دون هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التي تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم . أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فإن كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وإن لم يكن عندهم حكمة ولا حسن ظن ، فكفاهم ذلك نقصا ، فأجاب بقوله : يقال لهذا السائل أليس الذي أطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع إضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الأمزجة الضعيفة ، عليم حكيم فلا يسعه إلا أن يقول نعم هو تعالى عليم حكيم فإن قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخر تربو على هذه المفاسد قلت : وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما أن الحق تعالى لم يترك إظهار أنوار شمس الظهيرة مراعاة لأبصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها ، وأطال في ذلك ، ثم قال : وحسبك جوابا أن من دون المعارف والأسرار لم يدونها للجمهور بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها نهاه عنها . وكان بعض العارفين يقول : نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا ، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به ، فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الإنكار . وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد ، وقالوا من باح بالسر استحق القتل . ومع ذلك فلم يسع أهله الغفلة والحجاب ، بل تعدوا حدود القوم وأظهروا كلامهم لغير أهله ، فكانوا كمن نقل المصحف إلى أرض العدو الذي لا يؤمن به ، مع أن الله تعالى نهاه عن ذلك ، فمكنوا أعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة وألسنة معوجة ، فطائفة تستهزىء به . وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله فزادوا بتمكينهم منه في الضلال والطغيان والإنكار على أهل الإسلام وأطال في ذلك . ثم قال وهل دون المجتهدون رضي الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس ، وحب الرياسة ، وكسب الدنيا به والمزاحمة به على التقرب من الملوك والأمراء لا والله ما كان ذلك قصدهم ، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا ، فكما أن المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذي يكتسب الناس به بعض الدنيا ، بل جعل الشارع لهم أجزيتهم الصالحة ، وإن لم يعمل بذلك الناس ، فكذلك العارفون لهم أجزيتهم وقصدهم الصالح من نفع

....

ربه دعاء لا أمرا محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله تعالى عنه وكان من الأوتاد ما سمعنا بهذا الاصطلاح عن أحد سواه وهو أدب عظيم وإن كان هو في الحقيقة أمرا لأن الحد شمله فليتأمل.

[الباب الخامس والعشرون " في معرفة وتد مخصوص معمر]

وقال في الباب الخامس والعشرين : كنت لأقول بلباس الخرقة التي يقول بها الصوفية حتى لبستها من يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة . قلت : ذكر الحافظ ابن حجر أن حديث لبس الخرقة متصل ورواته ثقات كما أوضحت ذلك في " مختصر الفتوحات " والله أعلم.

[الباب السابع والعشرون في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك وهو من منزل العالم النوراني]

وقال في الباب السابع والعشرين : إنما أمر صلى الله عليه وسلم بلباس النعلين في الصلاة حين نزل قوله تعالى:
يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ [الأعراف : 31] وكان في ذلك تنبيه لهم على أن المصلي

المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم : تلقيح قلوب الناظرين في رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعاني بما يرقيهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم فتشرق أرض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بإثر هدايتهم ، فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم في نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم في تدوين دواء أمراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى في جميع الأمور المشروعة فإن لكل مقام حضورا وأدبا يخصه.
فإن قيل لو كان علم هؤلاء الصوفية مطلوبا لدون فيه الأئمة المجتهدون كتبا ولا نرى لهم في ذلك كتابا واحدا . فالجواب إنما لم يضعوا في أمراض القلوب كتبا لأنها لم تكن ظاهرة على أهل زمانهم ولو أنها كانت ظهرت في زمانهم لتأكد عليهم بيان طريق علاجها برسائل مستقلة كما فعل من بعدهم من أئمة طريق أهل الله تعالى لأنها من الكبائر بخلاف الزمن الذي بعدهم ظهر فيه الرياء والحسد والكبر والغل والحقد فلذلك دون الناس فيه الرسائل المستقلة وأيضا فإنما لم يدون المجتهدون في طريق القوم كتبا لأنهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها ومنسوخها ومفصلها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس إلى ذلك إذا حصل لهم زيغ فلو لا قواعد الشريعة التي مهدها المجتهدون ما عرف أحد موازين الأعمال الظاهرة والباطنة ، فكان اشتغال الأئمة المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبة لبقية الأمة ، فافهم . فعلم أن لأئمة الشريعة المنة على سائر الناس من الصوفية وغيرهم فجزى الله الجميع خيرا فيما صنفوه ، فإنما كما كان في الكلام في علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظني الموجب للعمل وإشراقه في مظاهر المرشدين فكذلك كان من باب أولى كلام العارفين فيه بقاء روح اليقين وإشرافها في مظاهر الهادين بالحق.
فإن قيل فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشي على ظاهر الكتاب ، والسنة ، فقط أليس ذلك كان يكفيهم ، كما كفى غيرهم ، فالجواب هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الأئمة المجتهدين ومقلديهم فإنهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه ، بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الأحكام والوقائع كما هو مشاهد ، فإن رددت يا أخي استنباط العارفين لزمك أن ترد استنباط المجتهدين ، ولا قائل بذلك ، فكما لا يجوز لك الاعتراض على

....

من شأنه أن يكون ماشيا في صلاته بمناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فإن لكل آية منزلا ينزله القارئ ، والقاعد لا يلبس النعلين قال : وإنما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لأن الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي منا فإنه في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل إليها موسى عليه السلام فلو صلح له دخولها لأمر كذلك بخلع النعلين فإن حكم من دخل حضرة الملك وانتهى سيره خلع نعليه أدبا فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك.

[الباب الحادي والثلاثون في معرفة أصول الركبان]

وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام فأردنا أن يبدلهما ربهما بنون الجمع إنما قال أردنا لأن تحت هذا اللفظ أمر إن أمر إلى الخير وأمر إلى غيره في نظر موسى

كلام الأئمة المجتهدين لكونهم لم يخرجوا عن شعاع نور الشريعة فكذلك لا يجوز لك الاعتراض على العارفين المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآداب الظاهرة والباطنة ، فكما أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الأعمال الظاهرة ، فكذلك العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا في دولة الأعمال الأعمال الباطنة فالاجتهاد واقع في الدولتين ولا غنى بإحداهما عن الأخرى ، فحقيقة بلا شريعة باطلة ، وشريعة بلا حقيقة عاطلة يعني ناقصة.
فإن قيل : فلم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح الذي لا يعرفه غيرهم إلا بتوقيف منهم كما مر ، ولم لم يظهروا معارفهم للناس ، إن كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على رؤوس الأشهاد كما يفعل علماء الشريعة في دروسهم ، فإن في إخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس رائحة ريبة وفتحا لباب رمي الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية . فالجواب:
إنما رمزوا ذلك رفقا بالخلق ورحمة بهم وشفقة عليهم ، كما مر في كلام الشيخ محيي الدين أوائل الفصل . وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم لا يقرؤون علم التوحيد إلا في قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما . انتهى . وما ذلك إلا لدقة مداركهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام ولا يجوز لأحد أن يعتقد في هذه السادة أنهم ما يخفون كلامهم إلا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك .
فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت وكان من حقها أن لا تذكر إلا مشافهة ولا توضع في الطروس ، لكن لما كان العلم يموت بموت أهله إن لم تدون دونوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس وغيره على أسرار الله أن تذاع بين المحجوبين وأنشدوا في ذلك:
ألا إن الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب في الفؤاد
وكل العارفين لها رموز * وألغاز تدق على الأعادي
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين إلى الفسادي

....

عليه السلام وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر في ظاهر الأمر في نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن نون الجمع لها هنا وجهان لما فيها من الجمع وجه إلى الخبرية به أضاف الأمر إلى الله ووجه إلى العيب به أضاف العيب إلى نفسه قال : ولو أن الخطيب الذي قال : ومن يعصهما فقد غوى يعني الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما ولم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت فخجل ومن يعص الله ورسوله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نفسه مع ربه في ضمير واحد فقال في خطبة رويناها عنه ومن يطع الله

أي كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم ، وكان الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه يقول : نعم ما فعل القوم من الرموز فإنهم إنما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل أن تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا في أنفسهم ويضلوا غيرهم ولذلك نهوا المريد أن يطالع في رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ انتهى . وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه إذا سئل لم رمز القوم كلامهم يقول : افهموا هذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك أن الدنيا غابة ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر والعارف بينهم كإنسان دخل ليلا إلى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع الكواسر اختفى في بطن شجرة ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هناك حذر أمنهم أليس يدل اختفاؤه عنهم وعدم رفع صوته بالقرآن على أنه عليم حكيم أو هو بضد ذلك ؟ لا والله بل هو عليم حكيم إذ لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا إلى تمزيق جسده وأكل لحمه وكان هو الملقي بنفسه إلى التهلكة ، وذلك حرام فافهموا هذا المثال وقولوا لمن يعترض على العارفين في رمزهم لكلامهم قد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيرة من القرآن مرموزة وقال تعالى : وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ [الإسراء : 110] أي بقراءتك وَلا تُخافِتْ بِها فأمره أن لا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم من لا يجوز سبه ، لا يخفيه عمن يؤمن به . فكما لم يدل إخفاء النبي صلى الله عليه وسلم قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته ولا قدح في صحتها كذلك لا يدل إخفاء العارفين كلامهم عن المجادلين بغير علم على بطلانه ومخالفته للشريعة فافهم . لكن إن هيأ الله تعالى للعارف أسباب ظهور شأنه وقدر على قهر المنكرين عليه بالحال أو بإدحاض أقوالهم بالحجج الواضحة حتى صاروا يقرون له بالفضل طوعا وكرها فله حينئذ إظهار معارفه على رؤوس الأشهاد كما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءته بالقرآن على رؤوس الكفار حين تهيأت أسباب الظهور وتمكن في أمره وصار له أنصار يحفظونه من الأذى فعلم أن للعارفين في ذلك الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أيام الفتنة ثلاثة أيام ثم خرج ، فقيل له : إنهم إلى الآن في طلبك فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختف في الغار أكثر من ثلاثة أيام ، فقد بان لك أنه ليس للإنسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والظهور لهم إلا إن

....

ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا وما ينطق عن الهوى فافهم وقال في قوله تعالى : وَمِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ [الروم : 23] إنما لم يقل تعالى: " وبالنهار " ليحقق لنا أنه يريد أننا في منام في حال يقظتنا المعتادة أي أنتم في منام ما دمتم في هذه الدار يقظة ومناما بالنسبة لما أمامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء في قوله : وَالنَّهارِ واكتفى بالليل .

وقال في قوله تعالى : إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ [آل عمران : 13] هو من العبور لا من الاعتبار فمعنى الآية لا تقفوا على ظاهر الصور بل اعبروا من ظاهر تلك الصورة إلى باطنها المراد منها كما أن الذي يراه الإنسان في حال نومه ما هو مراد لنفسه وإنما هو مراد

علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيؤ أسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والأنصار . فإن قيل : فلم لم يترك هذا العارف إظهار معارفه وأسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك أسلم له ، فالجواب : أن العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه فحيثما سلك سلكوا كما مر عن الإمام أحمد بن حنبل آنفا فكما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه الأمر من الله تعالى بإظهار ما معه من الحق فكذلك ورثته . قال سيدي علي بن وفا : ويقال لهذا المعترض أيضا على القوم في رمزهم معارفهم:
أرأيت لو أنكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لأمرهم وجنونهم أينبغي له أن يوافقهم على جنونهم فيتجنن مثلهم ويترك عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار بعقله أو أرأيت الإنسان الكائن بين الذئاب الضواري إذا لم يرضوه أن يقيم بينهم إلا أن يمشي على يديه ورجليه مكبا على وجهه أو حتى يعوي كعيهم ، أينبغي له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه مع أنه يمكنه الفرار منهم والإقامة على طريقة الإنسانية ؟ لا والله ، لا ينبغي للقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضي أهل الشر فالله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين فنعوذ بالله أن نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . وكان بعض العارفين رحمه الله يقول : ألسنة جميع المحبين أعجمية على غيرهم وهي لأصحابهم عربية هذا كله في حق المتمكنين من الأولياء ، أما من غلب عليه حاله فمن أدب أهل الطريق التسليم له لأنه يتكلم بلسان العشق لا بلسان العلم الصحيح . وقد بلغنا أن عصفورا راود عصفورة في قبة سليمان بن داود فأبت عليه فقال لها : قد بلغ بي من حبك ما لو قلت لي أقلب هذه القبة على سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه إلى سليمان فأرسل خلفه وقال : ما حملك أن تقول ما لم نقدر عليه ؟ فقال : مهلا يا نبي الله إني عاشق والعشاق إنما يتكلمون بلسان المحبة والعشق ، لا بلسان العلم والتحقيق فأعجب ذلك سليمان انتهى.
وفي ذلك عذر عظيم للعشاق في طريق أهل الله عز وجل كسيدي عمر بن الفارض وأضرابه رضي الله عنهم أجمعين وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة وإن كان الذي وقع من موسى إنما هو عن نسيان لشرط الخضر عليه فإن في هذه القصة إقامة عذر لمن أنكر ولمن أنكر عليه لكان من شأن أهل الطريق أن لا يقيموا الحجج على من أنكر عليهم لعلمهم بحجابه عن طريقهم وإنما يقولون له كما قال الخضر:
....
لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة إذا استيقظ من نومه وكذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل إنما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له في الدنيا حالة اليقظة وأطال في ذلك.
[الباب الثالث والثلاثون في معرفة أقطاب النيات وأسرارهم وكيفية أصولهم ويقال لهم النياتيون]
وقال في الباب الثالث والثلاثين : اعلم أن النية جميع أفعال المكلفين كالمطر لما تنبته الأرض فإن النية من حيث ذاتها واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوي فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فإن حفظ النية إنما هو القصد للفعل أو تركه كون الفعل حسنا أو قبيحا أو خيرا أو شرا ما آثر النية ومن فهو أمر عارض عرض ميزه الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر

هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ [الكهف : 78] ، ولو أن أهل الله أقاموا الحجة على المنكرين عليهم لقدروا على ذلك لما هم عليه من النور المبين ، فلا تظن يا أخي أنهم عاجزون عن إقامة الحجة وتنسبهم إلى العامية . وإيضاح قصة موسى مع الخضر كما قاله سيدي علي بن وفافي كتابه " الوصايا " أن في القصة تعليم موسى عليه السلام أن يسلم للأولياء باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك التسليم إن اقتضى الشرع منك إنكار شيء من كلامهم أو من أحوالهم فلك إنكاره ظاهرا لكن على وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا أن يتشبه بهم في ذلك من ليس هو في مقامهم ، وإلا فما لموسى عليه السلام كف عن الخضر بتلك المعاني التي أبداها الخضر فإن مثلها لا يسقط به المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير إذنهم وقال : خرقتها كي لا يغصبها ظالم لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ، ومن قتل صبيا وقال : خشيت أن يرهق أبويه طغيانا وكفرا لم تسقط عنه المطالبة به في ظاهر الشرع أيضا . قال : وقول الولي وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي [الكهف : 82] ليس مسوغا لمثل هذه الأعمال في الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه غير رسول ، فعلم أن الإنكار ما وقع من موسى أولا إلا حفظا لنظام الشرع الظاهر خوفا أن يتبع الخضر على ذلك لا غير ثم إنه كف عن الإنكار آخرا حفظا لرعاية أمر الله عز وجل في خواص أوليائه ، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وعلم موسى عند ذلك أن الله تعالى عبادا أقامهم لبيان العلوم الموهوبة ، وأنه ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر ولا أن ينازعه فيما أقيم فيه وإن كان المعترض أعلى درجة فافهم . ولا يخفى أن جملة العلوم ثلاثة : علم العقل وعلم الأحوال وعلم الأسرار ، فعلم العقل : هو كل علم ضروري بديهي أو حاصل عقب نظر في دليل شرطه العثور على وجه ذلك الدليل وعلامة هذا العلم أنك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم . وأما علم الأحوال فلا سبيل إليه إلا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الأسرار وعلم العقل وأكثر من يؤمن به أهل التجارب وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى علم العقل النظري ، فلا يلتذ به إذا جاء من غير معصوم إلا أصحاب الأذواق السليمة وعلامة العلم المكتسب أن يدخل في ميزان العقول وعلامة العلم الوهبي أن لا يقبله ميزان العقول من حيث أفكارها بل تمجه

....

البتة من هذا الوجه خاصة كالماء فإن منزلته أنه ينزل ويسبح في الأرض ، وكون الأرض الميتة تحيا به أو يهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة ، من حيث مزاج البقعة أو طيبها ، أو خبث البزرة أو طيبها قال تعالى: يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ [الرعد : 4] فإن نوى المكلف خيرا أثمر خيرا وإن نوى شرا أثمر شرا انتهى.

وسيأتي في الباب الثامن والستين ما له تعلق بالنية والله أعلم . وقال فيه : العارف يأكل في

غالبا . وأما علم الأسرار فهو العلم الذي فوق طور العقل ولذلك يتسارع إلى صاحبه الإنكار لأنه حاصل من طريق الإلهام الذي يختص به النبي والولي وعلامته أنه إذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الأفهام دركه وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التي لم توف النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر أن يوصل ذلك العلم إلى الأفهام الضعيفة إلا بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية وأكثر علوم الكمل من هذا القبيل ، وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول : من شأن العارفين أنهم إن كانوا في سلطان الحال أجابوا بالنصوص وإن كانوا في المقام أجابوك بظواهر الأدلة فهم بحسب أوقاتهم . فقد بان لك أن علوم الأسرار لا تنال بالفكر وإنما تنال بالمشاهدة أو الإلهام الصحيح وما شاكل هذه الطرق . ومن هنا تعلم الفائدة في قوله صلى الله عليه وسلم إن يكن من أمتي محدثون فهو عمر ذكره الشيخ محيي الدين في رسالته التي كتبها إلى الشيخ فخر الدين الرازي وهي نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدر أن الإنكار لم يقع في الوجود على أهل الله تعالى وكان الناس كلهم أصحاب عقول سليمة لم يفد قول أبي هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم يعني مجرى الطعام وكذلك لم يفد قول ابن عباس لو أني ذكرت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ [الطلاق : 12] لرجمتموني أو لقلتم إني كافر . ونقل الإمام الغزالي في " الإحياء " وغيره عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه أنه كان يقول:

يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال المسلمين دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قال الغزالي : والمراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه هو العلم اللدني الذي هو علم الأسرار لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قاله بعضهم ، لأن ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى . فتأمل في هذا الفصل فإنه نافع لك والله يتولى هداك.

الفصل الرابع : في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها من يريد التبحر في علم الكلام.

اعلم رحمك الله أن علماء الإسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم

....

هذه الدار الحلوى ، العسل ، والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس ، وقال في قوله تعالى: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام : 54] ونحو قوله تعالى : وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم : 47] وقوله : وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ [النحل : 9] الحق تعالى ينزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعي وإنما المراد أن العلم الإلهي إذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه بمعنى أنه لا بد من وجود تلك الطريق الموصلة إلى ذلك الأمر الذي تعلق به العلم مع كونه تعالى مختارا في ذلك . وقال فيه سبب اضطجاع

بالله تعالى وإنما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الإله أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الإعادة في هذه الأجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر إلا من كافر فطلب علماء الإسلام إقامة الأدلة على هؤلاء ليرجعوا إلى اعتقاد وجوب الإيمان بذلك لا غير وإنما لم يبادروا إلى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم إلى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها إلى دين الإسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح إيمانا من الراجع بالسيف إذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكفي في المصر الواحد واحد من هؤلاء ، وأطال الشيخ محيي الدين في صدر " الفتوحات " من الكلام في ذلك . ثم قال : ولا يخفى أن الشخص إذا كان مؤمنا بالقرآن قاطعا بأنه كلام الله تعالى فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول إلى أدلة العقول مجردة عن الشرع فإن القرآن دليل قطعي سمعي عقلي فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزه عن أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبه هو شيئا منها بقوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى : 11] وبقوله تعالى : سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) [الصافات : 180] ونحوهما من الآيات وأثبت رؤيته للمؤمنين في الآخرة بقوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (22) إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (23) [القيامة : 22 - 23] وبمفهوم قوله تعالى في الكفار : كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) [المطففين : 15] فدل على أن المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفي الإحاطة بقوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103] وبقوله تعالى : إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [فصلت : 54] وأثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى : وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الملك : 1] وأثبت كونه تعالى عالما بقوله تعالى : أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطلاق : 12] وأثبت كونه مريدا للخير والشر بقوله تعالى : فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (16) [البروج : 16] وبقوله : يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ [فاطر : 8] وأثبت كونه تعالى سميعا لخلقه بقوله تعالى : قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها [المجادلة : 1] وأثبت كونه تعالى بصيرا بأعمال عباده بقوله تعالى : وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [البقرة : 265] وبقوله:
أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى (14) [العلق : 14] وأثبت كونه تعالى متكلما بقوله تعالى : وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً [النساء : 164] وأثبت كونه حيا بقوله تعالى : اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

....

الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل الروح الإنساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض وأطال في ذلك .
وقال فيه : إنما كان الحيوان الذي يمشي على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذي عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته بأصله بقدر ما ارتفع عنه ألا ترى المريض لما رد إلى عجزه وضعف كيف تراه ضعيفا مسكينا لأن أصله حكم عليه لما قرب منه ثم إذا شفي واستوى قائما وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة فالرجل من كان مع الله في حال صحته كحاله في مرضه ومسكنته وعجزه

[البقرة : 255] وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى : وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى [يوسف : 109] وأثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ [الفتح : 29] وأثبت أنه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء بعثا بقوله تعالى : وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب : 40] وأثبت أن كل ما سواه خلقه بقوله تعالى : اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [الزمر : 62] وأثبت الجن بقوله تعالى : وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) [الذاريات : 56] وأثبت أن الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى : لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ [الرحمن : 74] وأثبت حشر الأجساد بقوله تعالى : إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ [العاديات : 9] إلى أمثال ذلك مما هو مذكور من الأدلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الإيمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى : ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام : 38] وأثبت المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في كتابه العزيز : فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا [البقرة : 23] فإن القرآن كله معجزته صلى الله عليه وسلم . قال الشيخ محيي الدين فعلم أنه لا ينبغي لمؤمن أن ينسى حدود ربه التي كلفه بها في هذه الدار ويستغرق غالب عمره في الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم عين في بلاده وبدفع شبه يمكن أن لا تكون ثم بتقدير وجودها فسيف الشريعة أفظع وأردع وفي الحديث الصحيح : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به " ولم يدفعنا صلى الله عليه وسلم إلى مخاصمتهم إذا حضروا إنما هو الجهاد بالسيف إن عاندوا بي الحق قال وهذا هو جل اشتغال الناس اليوم فقطعوا عمرهم في الاشتغال برد خصوم متوهمة أو خصوم موجودة لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح ويتخيل لصاحب الكلام في مثل ذلك أنه يتكلم مع غيره والحال أنه إنما يتكلم مع نفسه فعلم أن السلف رضي الله تعالى عنهم ما وضعوا كتب الكلام إلا ردعا للخصوم الذين كانوا في عصرهم كما مر . فالله تعالى ينفعهم بقصدهم . قال : فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فإن فيها غنية عن علم الكلام لقيام الدين بها ولو أن الإنسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض لم يسأله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة ثم إن احتاج إنسان إلى رد خصم حدث في بلاده ينكر الشرائع مثلا وجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه لكن بالأمور العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمي مثلا فإنه لا يقبل دليل الشرع على إبطال ما انتحله من المذهب الغريب الذي يقدح في الشريعة فإن الشرح هو محل النزاع بيننا وبينه فلا يثبته فلذلك قلنا ليس له دواء إلا رده بالنظر العقلي فنداويه

....

والله أعلم.

الباب الرابع والثلاثون في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس فعاين منها أمورا أذكرها إن شاء الله

<u>وقال في الباب الرابع والثلاثين :</u> اعلم أن لله عبادا خرق لهم العادة في إدراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين " فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا يبعد أن يقع مثله الأولياء بطريق الإرث .

وقال : إنما أنزل القرآن كله في ليلة القدر إشارة إلى أن به تعرف مقادير

بنحو قولنا مثلا انظر بعقلك في هذه المسألة وحقق النظر . انتهى . وقد بان لك مما ذكرناه أن من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات فليأخذها من القرآن العظيم كما مر فإنه متواتر قطعي معصوم بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن يعضده شرع أو كشف وانظر يا أخي إلى نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود : انسب لنا ربك كيف تلا عليهم سورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقوله تعالى اللَّهُ أَحَدٌ أثبت الوجود للأحد ونفى العدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له ، الله الصمد نفى الجسمية لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ نفي الوالد الولد وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ نفى الصاحبة والشريك أفيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي ؟ إن ذلك من الجهل العظيم ويا ليت شعري من يطلب معرفة الله تعالى من حيث الدليل ويكفر من لا ينظر فيه كيف كانت حالته هو قبل النظر وفي حال النظر هل هو مؤمن أم لا ؟
وهل كان ثبت عنده أن الله تعالى موجود وأن محمدا عبده ورسوله أم لا ؟ وهل كان يصلي ويصوم أم لا ؟ فإن كان معتقدا لهذا كله فهذه هي حالة العوام فليتركهم على ما هم عليه ولا يكفر أحدا منهم . وإن كان لا يعتقد هذه الأمور إلا بعد النظر في علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر إلى الخروج من الإيمان وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : ليس من شأن أهل الله تعالى أن يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الإسلامية إلا إن خالفوا النصوص أو خرقوا الإجماع فمن تصدى للرد على أحد منهم فلا يأمن أنه ينكر عليهم أمرا هو حق في نفس الأمر فإن أهل الاسلام ما داموا في دائرة الإسلام لا يعتقدون إلا حقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من خرج عن الإسلام . انتهى . وقال في الباب الثلاثين من " الفتوحات " من شأن أهل الله تعالى أنهم لا يجرحون عقائد أحد من المسلمين وإنما شأنهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذي تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت وهل يؤثر ذلك في سعادتها أم لا هذا حظهم من البحث في علم الكلام فعلم أن عقائد العوام بإجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبه التي تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الإسلام وإن لم يطالعوا كتب الكلام لأن الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الإسلامية التي فطر الله الموحدين عليها إما بتلقين الوالد

....
الأشياء وأوزانها قال : وكان نزوله في الثلث الآخر منها ؟

[الباب السادس والثلاثون في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم]

وقال في الباب السادس والثلاثين في قوله صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الأنبياء " اعلم أن المخاطب بهذا علماء الأمة لقوله ورثة الأنبياء وما قال ورثة نبي خاص فكل من عمل الآن بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد عمل بجميع شرائع الأنبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم.

[الباب الأربعون في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه]

(وقال) في الباب الأربعين : إنما لم تقف السحرة على قولهم آمنا برب العالمين دون

المتشرع وإما بالإلهام الصحيح وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في ظاهر الكتاب والسنة وأقوال الأئمة وهم على صواب في عقائدهم ما لم يتطرق أحدهم إلى التأويل فإن التأويل قد لا يكون مرادا للشارع وإن تطرق أحدهم إلى التأويل للآيات والأخبار فقد خرج عن حكم العامة في ذلك والتحق بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعلمه يلقى الله سبحانه وتعالى فإما مصيب وإما مخطىء بالنظر إلى ما يناقض ظواهر أدلة الشريعة المطهرة . فتأمل في ذلك فإنه نفيس ، وكان شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن الهمام رحمه الله يقول : تصوير التقليد في مسائل الإيمان عسر جدا فقل أن ترى واحدا مقلدا في الإيمان بالله تعالى من غير دليل حتى آحاد العوام فإن كلامهم في الأسواق محشو بالاستدلال بالحوادث على وجود الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو أن يسمع الناس يقولون إن للخلق ربا خلقهم وخلق كل شيء يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع بذلك لجزمه بصحة إدراك هؤلاء تحسينا لظنه بهم وتكبيرا لشأنهم عن الخطأ فإذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب من الإيمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم . فإذن قد حصل ما هو المقصود منه من قيامه بالواجب . وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبي شريف : ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصيا بعدم الاستدلال لأن وجوبه إنما كان لتحصيل ذلك فإذا حصل سقط هو غير أن التقليد عرضة لوقوع التردد بعروض الشبهة بخلاف الاستدلال فإن فيه حفظه عن ذلك . انتهى . ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه " سراج العقول " عن أحمد بن زاهر السرخسي أجل أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله قال : لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة في داري ببغداد قال لي : اجمع أصحابي فجمعتهم فقال لنا اشهدوا على أني لا أقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة لأني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمهم . انتهى . قال الشيخ أبو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول من نقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه كان يقول لا يصح إيمان المقلد فقد كذب لأن مثل هذا الإمام العظيم يبعد منه أن يجرح غالب عقائد المسلمين بما يكفرون به ولا يصح لهم معه إيمان . انتهى.
<u>وقال الشيخ تاج الدين بن السبكي</u> : التحقيق الدافع للتشنيع على الأشعري في هذه المسألة أن

....
قولهم رب موسى وهارون لأنهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون : أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى وهارون أي الذي يدعو إليه موسى وهارون فارتفع الإشكال قال : وكان في خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية إعلام للسحرة أن ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لأن أحدا لا يخاف من فعله هو لعلمه بأنه لا حقيقة له من خارج قال : وكان صورة للقف عصا موسى أنها تلقت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الأمر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلاة ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى

المقلد إن كان آخذا لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي إيمان هذا المقلد لعدم الجزم به إذ لا إيمان مع أدنى تردد وإن كان المقلد آخذا لقول الغير بغير حجة لكن جزما فيكفي إيمان المقلد عند الأشعري وغيره قال الجلال المحلي وهذا هو المعتمد . انتهى . وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني وغيره : التحقيق في مسألة ذم الخوض في علم الكلام أن النظر في ذلك على طريق المتكلمين من تحرير الأدلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية في حق المتأهلين له فيكفي قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه المضلة فليس له الخوض فيه . قال الجلال المحلي : وهذا محمل نهي الإمام الشافعي وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام . انتهى . وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول : محل النهي عن الخوض في علم الكلام إنما هو في حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر إذ الفكر كثير الخطأ في الإلهيات أما من يتكلم في التوحيد ولوازمه من طريق الكشف فلا يدخل في نهي السلف لأن صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الأمور من حيث ما هي عليه في نفسها فلا يخطئ . انتهى . قلت ومن هنا خصصت تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظر الفكري لا سيما ما كان من كلام الشيخ محيي الدين رضي الله عنه فقد قال في الباب السادس والستين وثلاثمائة من " الفتوحات المكية " جميع ما أتكلم به في مجالسي وتآليفي إنما هو من حضرة القرآن العظيم فإني أعطيت مفاتيح العلم فيه فلا أستمد قط في علم من العلوم إلا منه كل ذلك حتى لا أخرج من مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه . وقال في الكلام على الأذان من " الفتوحات " : اعلم أني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا ولا غيره قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء من تصانيفي . وقال في الباب السادس والستين وثلاثمائة : جميع ما أكتبه في تصانيفي ليس هو عن فكر ولا روية وإنما هو عن نفث في روعي من ملك الإلهام وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة : ليس عندي بحمد الله تقليد لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطأ . وقال في الباب العاشر من " الفتوحات " نحن بحمد الله لا نعتمد في جميع ما نقوله إلا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الألفاظ . وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة : جميع ما كتبته وأكتبه إنما هو عن إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روع

....

والتبس عليهم الأمر ، فكانوا لم يؤمنوا والله تعالى يقول تَلْقَفْ ما صَنَعُوا [طه : 69] وهم ما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيّات وهي التي تلقفته عصا موسى عليه السلام ولو كان الأمر على ما توهمه بعضهم لقال تعالى : تلقف عصيهم وحبالهم قال : فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذ صور الحيّات من الحبال والعصي وحاصل ما توهمه بعضهم أن الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم سحرا وأطال في ذلك ثم قال والسحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو

كياني كل ذلك لي بحكم الإرث لا بحكم الاستقلال فإن النفث في الروع منحط عن رتبة وحي الكلام ووحي الإشارة والعبارة . ففرق يا أخي بين وحي الكلام ووحي الإلهام تكن من العلماء الأعلام . وقال في الباب السابع والأربعين من " الفتوحات " : اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وإنما هي من الفيض الإلهي . وقال في الباب السادس والأربعين ومائتين منها : جميع علومنا من علوم الذوق لا من العلم بلا ذوق فإن علوم الذوق لا تكون إلا عن تجل إلهي والعلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق وبالنظر الصحيح . وقال في الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والأربعين وثلاثمائة : اعلم أن ترتيب أبواب " الفتوحات " لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما في قوله تعالى:
حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة : 238] بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة نتقدمها وتتأخر عنها انتهى . وأطال في ذلك . وقال في الباب الثامن من " الفتوحات " : اعلم أن العارفين رضي الله عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوّبوا عليه فقط وذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لإلقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس من جنسه امتثالا لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك . انتهى . فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم .
وقال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والسبعين : اعلم أن العلوم الضرورية مقدمة على العلوم النظرية إذ العلم النظري لا يحصل إلا أن يكون الدليل ضروريا أو متولدا من ضروري على قرب أو بعد وإن لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان . وقال في الباب الثامن والستين من " الفتوحات " : اعلم أن العقائد الصحيحة هي كل ما كان عن كشف وشهود وأما من ربط عقيدته بأمر مربوط مقيد بوجه دون آخر فلا يبعد أنه ينكر الحق إذا جاءه من غير ذلك الوجه الذي تقيد به فإذن : الكامل من بحث عن منازع الاعتقاد ونظر في كل قول من أين انتحله قائله وأطال في ذلك . ثم قال : واعلم أن الإنسان إذا أخذ عقيدته من أبويه أو من مربيه تقليدا ثم إنه بعد ذلك عقل الأمر ورجع إلى نفسه واستقل بالنظر فللعلماء في ذلك خلاف فمنهم من قال يبقى على عقيدته تلك ومنهم من قال ينظر في الدليل حتى يعرف الحق ولكل

....

بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون له عدما فإن العين أدركت أمرا ما لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي انتهى وأشار إلى ذلك أيضا في الباب السادس عشر من الأصل (قلت) : وهو كلام نفيس ما سمعنا بمثله قط.

[الباب الحادي والأربعون في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم وأسرار أقطابهم]

(وقال) في الباب الحادي والأربعين يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الربانية : يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى إن لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل كله لي وما طلبتك

منهما وجه . انتهى . وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة : ثم علوم بالله تعالى تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجري على لسان عبد مخصوص إلا عند غلبة حاله فيحميه حاله ويعذّر كالسكران وإذا صحا ذهبت الحماية . وقال في الباب الحادي والأربعين وثلاثمائة: لا يجوز النظر في كتب الملل الباطلة والنحل الزائغة لأحد من القاصرين وأما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من أي وجه قالوها وهو آمن من موافقتهم في ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف الصحيح . انتهى . وقال في الباب الخامس والسبعين ومائتين من " الفتوحات " يجب على كل عارف ستر ما تعطف الحق تعالى به على قلبه من علوم الأسرار ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة : لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وذلك لأنه إذا نطق بعلوم الأسرار لا يسع الصديقين إلا أن ينكروا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة . قال الشيخ محيي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين أمور ومحن بواسطة إظهارنا المعارف والأسرار وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الأذى وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه إلا قليل وأعدى عدو لنا المقلدون لأفكارهم وأما الفلاسفة فيقولون عنا هؤلاء قوم أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم ويا ليتهم إذ لم يصدقونا جعلونا كأهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا مع أنا لا يضرنا بحمد الله إنكارهم علينا لجهلهم . انتهى .

وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة:

إنما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى علومهم لأنها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير مألوفة وهي طرق الكشف وأكثر علوم الناس إنما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام أهل الله ويدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار . انتهى . وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة : من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه ويفرح لزوالها من يده وأما مع ميله إلى الدنيا فلا سبيل له إلى فهم الغوامض أبدا . انتهى . وقال في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة من " الفتوحات " من أراد الدخول إلى فهم غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك كل ما يحكم به عقله ورأيه ويقدم بين يديه شرع ربه ويقول

....

إذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك إلى جنتي وما أعددت فيها لأوليائي فإين أنا إذا كنت في جنتك مع الحور متكئا على فرش بطائنها من إستبرق وآية تذهب بك إلى جهنم فتعاين ما فيها من أنواع العذاب فأين أنا إذا كنت مشغولا بما فيها وآية تذهب بك إلى قصة آدم ، أو نوح ، أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة السلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر إلا لتجتمع بقلبك على وأما استنباط الأحكام فلها وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع وأطال في ذلك

[الباب الثالث والأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين وعامة ذلك المقام]

وقال في الباب الثالث والأربعين في حديث استفت قلبك وإن أفتاك المفتون في هذا الحديث ستر لمقام المتورعين فإنهم إذا بحثوا عنه عرفوا به

لعقله إن نازعه إنما أنت عبد مثلي فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى إلى نفسه من آيات الصفات مثلا لعجزك أنت عن تعقله مع أنك قاصر عن معرفة نفسك فكيف بمعرفة ربك ولو أنك ألزمت نفسك الإنصاف للزمت حكم الإيمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في ما أخبر به ربك عز وجل وأطال في ذلك . وقال في الباب السادس والأربعين ومائتين من " الفتوحات " : إياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر إلى العمل بكل ما حكم به وإن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يجول بينك وبين إمضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فإنه مكر إلهي بصورة علم الإلهي من حيث لا تشعر وأطال في ذلك . ثم قال : واعلم أن تقديم الكشف على النص ليس بشيء عندنا لكثرة اللبس على أهله وإلا فالكشف الصحيح لا يأتي قط إلا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام في سلك أهل الله ولحق بالأخسرين أعمالا . انتهى . وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة من " الفتوحات " : اعلم أن ميزان الشرع الموضوعة في الأرض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف وجب الإنكار عليه فإن غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر عليه لعدم من يتبعه على ذلك من أهل العقول فإن ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيم عليه الحد ولا بد ولا يعصمه من إقامة الحد عليه قوله إنا كأهل بدر إذ المؤاخذة لم تسقط عن أهل بدر في الدنيا وإنما سقطت عنهم في الدار الآخرة على أن العبد ولو قيل له إفعل ما شئت فقد غفرت لك فهو عاص في الشرع إذ المغفرة لا تكون إلا عن ذنب ولذلك قال فقد غفرت لك ولم يقل أسقطت عنك الحدود فالحاكم الذي يقيم عليه هذا الحد والتعزير مأجور . قال : ومن علامة صاحب الحال أن يحمي نفسه من متولي الحدود فتيبس يده مثلا فلا يستطيع أن يحركها نحوه . انتهى . وقال في الباب الثالث والستين ومائتين : اعلم أن عين الشريعة هي عين الحقيقة إذ الشريعة لها دائرتان عليا وسفلى فالعليا لأهل الكشف والسفلى لأهل الفكر فلما فتش أهل الفكر على ما قاله أهل الكشف فلم يجدوه في دائرة فكرهم قالوا هذا خارج عن الشريعة فأهل الفكر ينكرون على أهل الكشف وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما أن علوم الفكر أحد طرفي الشريعة فكذلك علوم أهل الكشف فهما متلازمان ولكن لما كان الجامع بين الطرفين

....

كما اشتهرت أخت بشر الحافي لما سألت الإمام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة إذا مرت في الليل وقال لها الإمام أحمد : من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي فيها ولو علمت معنى حديث استفت قلبك ما سألت عن ذلك حين رابها فكانت تدع لك الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يثنى عليها بذلك فإنه صلى الله عليه وسلم إنما أعطانا ذلك الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الناس خالصا مخلصا لا يعلمه إلّا الله اللّهم إلا أن يكون أحدنا مقتدي به فله أن يظهر ورعه ليتبع

]الباب الخامس والأربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل ومن جعله يعود[

وقال في الباب الخامس والأربعين : الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة إلى الله وبين ستر المقام فيدعو إلى الله بقراءته كتب الحديث والرقائق وحكايات المشايخ حتى

عزيزا فرق أهل الظاهر بينهما وإلا فما لموسى كف عن الخضر آخر الأمر فلو لا أن موسى فهم أن الخضر على حق لأنكر عليه آخرا كما أنكر عليه أولا . انتهى . وقال في الباب الأحد وعشرين وخمسمائة من " الفتوحات " : اعلم أن قطاع الطريق في سفر المعقولات هي الشبه التي تطرق الناظر بعقله وقطاع طريق السفر في المشروعات هي التأويلات ولا يخلو المسافر من أن يكون في إحدى هذين الطريقين فإن وصل المسافر إلى محل ليس فيه تأويل ولا شبهة فقد انتهى سيره . انتهى . وقال في الباب الثاني والسبعين : اعلم أن موازين الأولياء المكملين لا تخطئ الشريعة أبدا فهم محفوظون من مخالفة الشريعة وإن كان العامة تنسبهم إلى المخالفة فما هي مخالفة في نفس الأمر وإنما هي مخالفة بالنظر إلى موازين غيرهم ممن هو دونهم في الدرجة ، ثم إن ذلك لا يقدح في علم أهل الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال : والموازين ثلاثة ميزان الإجماع وميزان الكشف وميزان الاجتهاد المطلق وما عدا هؤلاء الثلاثة فهي آراء لا يعول أهل الله تعالى عليها . وقال في الباب السادس والستين ومائتين : إياك أن تجد مسألة استدل لها صاحبها بآية من القرآن فتقول هذه الآية لا يصح بها الاستدلال لهذه المسألة ببادئ الرأي بل تربص في ذلك فإن مرتبة كلام الله تعالى أن يقبل جميع ما فسره به المفسرون من أئمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك في غيره وأطال في ذلك . ثم قال : لكن لا يخفى أن من شرط من يفسر القرآن أن لا يخرج عما يحتمله اللفظ وإلا فقد ورد أن من فسر القرآن برأيه فقد كفر . انتهى.
وقال في مقدمة " الفتوحات " إياك أن تبادر إلى إنكار مسألة قالها فيلسوف أو معتزلي مثلا وتقول هذا مذهب الفلاسفة أو المعتزلة فإن هذا قول من لا تحصيل له ، إذ ليس كل ما قاله لفيلسوف مثلا يكون باطلا فعسى أن تكون تلك المسألة مما عنده من الحق ولا سيما إن كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرّح بها أو أحد من علماء الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة بالحكم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح موافق للشرائع فلا تبادر يا أخي إلى الرد في مثل ذلك وتمهل وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تحد النظر فقد يكون ذلك حقا موافقا للشريعة لكون الشارع قال تلك المسألة أو أحد من علماء شريعته وأما قولك إن ذلك العالم سمع تلك المسألة من فيلسوف أو طالعها في كتب الفلاسفة مع ذهولك عن كونها من الحق

....

لا يعرفهم العامة إلا بأنهم نقلة لا يتكلمون من أحوالهم . قلت : وكان على هذا القدم سيدي الشيخ إبراهيم الجعبري وسيدي أحمد الزاهد وسيدي حسين الجاكي رضي الله تعالى عنهم.
وقال فيه كما تعبد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة إبراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى له حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فكذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى بعد ذلك إلى إرشاد الخلق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل والله أعلم.

الذي وافق الشريعة فيه فهو جهل وكذب . أما الكذب فقولك إن ذلك العالم سمع تلك المسألة من الفلاسفة أو طالعها في كتبهم وأنت لم تشاهد ذلك منه ولا أقيمت عندك بذلك بينة عادلة وأما الجهل فكونك لم تفرق في تلك المسألة بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم والصدق وانخرطت في سلك أهل الجهل والكذب ونقص العقل وفساد النظر والانحراف عن طريق أهل الحق بالحمية الجاهلية . فخذ يا أخي ما أتاك به الفيلسوف أو المعتزلي مثلا ثم تربص واهتد على نفسك قليلا قليلا حتى يتضح لك معناه أحسن من أن تقول يوم القيامة يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين . وقال في الباب السادس والعشرين ومائتين من " الفتوحات " اعلم أن الفلاسفة ما ذمت لمجرد هذا الاسم وإنما هو لما أخطئوا فيه من العلم المتعلق بالإلهيات فإن معنى الفيلسوف هو محب الحكمة وسوفا باللسان اليوناني هو الحكمة وكل عاقل بلا شك يحب الحكمة غير أن أهل الأفكار خطئوهم في الإلهية أكثر من إصابتهم سواء كان معتزليا أو فيلسوفيا وكان من أصناف أهل النظر . انتهى . وقال الشيخ محيي الدين في كتاب " لواقح الأنوار " : لقد دخلت الخلوة وعملت على الاطلاع على الحقيقة الإدريسية فرأيت الخطأ إنما دخل على الفلاسفة من التأويل وذلك لأنهم أخذوا العلم عن إدريس عليه السلام فلما رفع إلى السماء اختلفوا في فهم شريعته كما اختلف علماء شريعتنا فأحل هذا ما حرم هذا وبالعكس . انتهى . وقال في مقدمة " الفتوحات " : مدار صحة العقائد على حصول الجزم بها حتى إن من أخذ إيمانه تقليدا جزما للشارع كان أعصم وأوثق ممن يأخذ إيمانه عن الأدلة وذلك لما يتطرق إليها إذا كان حاذقا فطنا من الحيرة والدخيل في أدلته وإيراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها فيخاف عليها الهلاك وأطال في ذلك ، قال:

وتأمل كلام العقلاء تجدهم إذا نظروا واستوفوا في نظرهم الاستقلال وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك الأمر العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر يقوم لهم خصم من طائفة كمعتزلي أو أشعري بأمر آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به ويقدح فيه فيرون أن ذلك الأول كان خطأ وأنهم ما استوفوا أركان دليلهم وأنهم أخلوا بالميزان في ذلك وأين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده الجازم للشارع فإنه كضروريات العقول لا تردد فيه ، إذ البصيرة للعلماء بالله تعالى كالضروريات للعقول بخلاف كل ما نتج من العقل فإنه مدخول يقبل الشبه والتردد . من

....

[الباب السابع والأربعون : في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية]

(وقال) في الباب السابع والأربعين : ينبغي للمحقق أن لا يذكر الله تعالى إلا بالأذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين فلو أتى بالذكر من غير قصد التلاوة كان له أجر الذكر دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد وأطال في ذلك ثم قال في حديث:

" للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه " .

اعلم أنه لما كان الصوم سببا للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذي هو مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة ، فالحجاب يصحب الصلاة ولا يصحب الصوم ألا تراه قال : " قسمت الصلاة بيني

"57"

هنا كان دليل الأشعري يورث شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الأشعري وما من مذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين إلا ويدخله الاشكال ثم إنهم كلهم يتصفون باسم الأشاعرة أو باسم مذهب معين فترى أبا المعالي يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه القاضي وترى القاضي يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الأستاذ والأستاذ يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ أبو الحسن والكل يدعون أنهم أشعرية كما يقع لأهل المذهب الواحد من مذاهب المجتهدين وأطال في ذلك . ثم قال : واعلم أن أهل النظر لا يعذرون في مواطن وجوب العلم وأن التقليد المعصوم فيما أخبر به ملحق بالعلم وأقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على الأمم السالفة أن أنبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في زمان تبليغهم وإنما صدقنا الله عز وجل فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة إلا ممن كان في الدنيا على يقين من أمره . وقال الشيخ في الباب الثمانين ومائتين : اعلم أنه لا يصح من إنسان عبادة إلا إن كان يعرف ربه على القطع وأما من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد أن يحزنه ذلك الظن ولا يغني عنه من الله شيئا.

انتهى . وقال في صدر " الفتوحات " من شرط وجوب الاعتقاد في أمر من الأمور وجود نص متواتر فيه أو كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به ولكن فيما يكون متعلقا بأحكام الدنيا فإن تعلق حكمه بالآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين وليقل إن كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الأمر كما وصل إلي فأنا مؤمن به وبكل ما صح عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مما علمت ومما لم أعلم فلا يصح أن يكون في العقائد إلا ما صح من طريق القطع إما بالتواتر وإما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما وهناك يعتقد النص ويترك دليل العقل ويجب على المؤمن أن يدوم عليه لكن من حيث ما هو علم لا من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الأمر الوارد على غير الصورة التي يعطيها مقام الإيمان . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول : علوم النظر أوهام إذا قرنت بعلوم الإلهام . وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول : إياك أن تقنع في باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه طائفة النظار والمتكلمين فإن المتكلمين يظنون عند نفوسهم أنهم ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقائق فتراهم يسكنون إلى ما حصل عندهم من

....

وبين عبدي نصفين " والصوم لا ينقسم فافهم.

(وقال فيه) : للملائكة الترقي في العلم لا في العمل فلا يترقون بالأعمال 7 كما لا يترقى في العلم ، والعمل ولو أن الملائكة ما كانت ترقى في العلم ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الأسماء كلها فإنه زادهم علما بالأسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك.

[الباب الثامن والأربعون في معرفة إنما كان كذا لكذا وهو إثبات العلة والسبب]

<u>وقال في الباب الثامن والأربعين في قوله :</u> أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [محمد : 33] أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم : " إن الله يأمركم " ثم قال : " وأطيعوا الرسول " ففصل أمر

"58"

الاعتقاد المربوط ويكفرون من خالفهم وذلك قصور في المعرفة ولو اتسع نظرهم لأقروا جميع عقائد الموحدين بحق ذكره في الباب الثالث والسبعين ومائتين والله تعالى أعلم . انتهت المقدمة بفضل الله تعالى ، ولنشرع في ذكر مباحث علم الكلام مبسوطة بذكر سوابق عقائد الشيخ محيي الدين ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون على الشيخ فيذكرون الكلمة الغريبة عن الشيخ منفردة

فلا يكاد الشخص يقبلها فإن لكل شيء دهليزا يدخل إليه منه . وصدرت مباحث الكتاب بتقول المتكلمين تمهيدا لفهم كلام أهل الكشف ثم أعقبتها بتقولهم فلا أزال أسأل وأجيب بالنقول في ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الإشكالات التي في ذلك المبحث إن شاء الله تعالى . إذا علمت ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق:

المبحث الأول : في بيان أن الله تعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له

اعلم أيدك الله تعالى أن كل من له عقل يعرف أن الله تعالى واحد لا شريك له إذ لو جاز كون الإله اثنين لجاز أن يريد أحدهما شيئا ويريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما كما سيأتي بسطه في آخر مباحث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فيتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الإله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الإله إلا واحدا بإجماع العقلاء . قال جمهور المتكلمين : والواحد هو الذي لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة أي لا يكون بينه وبين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء إذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثا والحادث يحتاج إلى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول : الآحاد أربعة أقسام : الأول : أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يفتقر إلى محل وهو الباري جل وعلا . الثاني : أحد يتحيز وينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجسم . الثالث : أحد يتحيز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجوهر . الرابع : أحد لا يتحيز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو العرض . انتهى . وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث فتأمله فإنه نفيس فهذه عبارة المتكلمين .

وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في باب الأسرار من " الفتوحات ":

اعلم أن الله تعالى واحد بإجماع ومقام الواحد تعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء إذ

....

طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله ما بلغ إلينا من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وإنما المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطعه فيما أمر به ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون كالقرآن قال تعالى : وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر : 7] لأنا جعلنا له أن يأمر وينهى زائدا على تبيلغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا وأطال في تفسير الآية.

ثم قال ومعنى طاعة أولي الأمر أي فيما إذا أمرونا بما هو مباح فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم أجرنا في ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لأولي الأمر أن يشرعوا

الحقائق لا تتغير عن ذواتها فإنها لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق تعالى في نفسه وتغير الحقائق محال . انتهى . وسيأتي بسط ذلك في مبحث نفي الحلول والاتحاد إن شاء الله تعالى . فإن قيل : فما وجه كفر من قال إن الله ثالث ثلاثة مع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهما في الغار حين خاف من المشركين ما ظنك بإثنين الله ثالثهما . فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في باب الأسرار : إن وجه كفر من قال إن الله ثالث ثلاثة كونه جعل الحق تعالى واحدا من الثلاثة على الإبهام والتساوي في مرتبة واحدة ولو أنه قال إن الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما في الحديث والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الله ثالثهما أي حافظهما في الغار من الكفار والله أعلم . وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلاثين ومائة من " الفتوحات المكية " : وإنما لم يكفر من قال إن الله تعالى ثالث اثنين أو رابع ثلاثة لأنه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال إن الله ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو خامس خمسة ونحو ذلك فإنه يكفر فتأمل فإن الله تعالى واحد أبدا لكل كثرة وجماعة ولا يدخل معها في الجنس لأنه إذا جعلناه رابع ثلاثة فهو واحد منفرد أو خامس أربعة فهو واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ . قال:

وليس عندنا في العلم الإلهي أغمض من هذه المسألة لأن الكثرة حاكمة في عين وجود الواحد بحكم المعية ولا وجود لها فيه إذ لا حلول ولا اتحاد . انتهى . وقال في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة من " الفتوحات " أيضا في قوله تعالى : ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ [المجادلة : 7] الآية : اعلم أن الله تعالى مع الخلق أينما كانوا سواء كان عددهم شفعا أو وترا لكن لا يكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من وتريتهم إذ صفته التي ظهرت للمشاهد لا يمكن أن تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبدا فمتى انتقلوا إلى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى إلى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم . قال وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبدا.

فإن قيل فما أجرأ الخلق على القول بتعدد الآلهة مع أن تعددها لا وجه له عقلا . فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة : إن الذي أجرأهم وأدخل عليهم الكفر والشرك هو وجود التنكير الذي جاء من لفظ إله من قوله تعالى : وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ [المائدة : 73] فهذا هو الذي أجرأ المشركين على اتخاذ الآلهة من دون الله قال وانظر إلى الاسم

....

شريعة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقل في أولي الأمر : أطيعوا مثل ما قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليتأمل . وقال فيه إنما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قربه بقوله : وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق : 19] وبحديث : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد إعلاما لنا بأن الحق تعالى في نسبة الفوقية إليه من قوله : وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ [الأنعام : 18] وبقوله : يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل : 50] كنسبة التحتية إليه سواء فإن الساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو إذا رفع وجهه في حال الدعاء ويديه ، وقد جعل الله السجود حال قرب من الله إليه فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لأنه خالق الفوق والتحت

العظيم الله لما لم يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار أن يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى الله لأن الله تعالى واحد معروف غير مجهول عندهم كما أقر بذلك عبدة الأوثان في قولهم عن آلهتهم التي اتخذوها ما نعبدهم إلا ليقربونّا إلى الله زلفى فلم يقولوا إلا ليقربونا إلى إله كبير هو أكبر منها فكان قبول لفظ إله التنكير هو السبب في ضلال من اتخذ آلهة من دون الله مع الله ، ومن هنا أنكروا أنه إله واحد ولو أنهم كانوا أنكروا الله تعالى ما كانوا مشركين وإن كانوا كافرين فيمن يشركون إذا أنكروا الله تعالى ولذلك قالوا : أَ جَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلهاً واحِداً [ص : 5] وما قالوا أجعل الآلهة الله فإن الله تعالى ليس عند المشركين بالجعل . قال الشيخ محيي الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله يطلق على أحد وما عصم إطلاق لفظ إله قال تعالى : أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ [الجاثية : 23] ولله تعالى في ذلك سر يعلمه العلماء بالله تعالى لا يسطر في كتاب لأن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله . فإن قيل فما ألطف الأوثان وما أكثفها . فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والسبعين ومائتين : إن ألطف الأوثان الهوى وأكثفها الحجارة ولهذا قال المشركون لما دعوا إلى توحيد الإله في الألوهية : أَ جَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلهاً واحِداً فرد الله عليهم بقوله إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ فهو من قول الله تعالى عندنا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فإن التعجب الواقع من جهة الحق تعالى إنما وقع من فعل الكفار حين قالوا : أَ جَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلهاً واحِداً [ص : 5] لما دعوا إلى توحيد الإله في الألوهية وأنه إله واحد وهم يعتقدون كثرتها أي فآخر مقالة الكفار هو قولهم إِلهاً واحِداً وأما قوله إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ فليس من قولهم . قلت ويؤيد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين أن المتعجب لا يتعجب إلا مما ورد عليه من الأمور الغريبة التي لا تعمل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك.

قال الشيخ رحمه الله : تعلم عقلا أن الإله لا يكون بجعل جاعل فإنه إله لنفسه ولذلك وبّخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا آلهتهم بقوله أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ [الصافات : 95] لما علم في ضرورة العقل أن الإله لا يتأثر وقد كان هذا الإله الذي اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان أو حجر يستجمر به ، ثم أخذه هذا المشرك وجعله إلها يذل له ويتأله إليه في الشدائد ويفتقر إليه ويدعوه خوفا وطمعا ، فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فتعجب الحق تعالى من ذلك ورسوله ليعلم المحجوبين أن الأمور كلها بيد الله عز وجل وأن العقول لا تعقل بنفسها

....

كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول إلى سماء الدنيا فهو معنا إينما كنا في حال كونه في العماء في حال كونه مستويا على عرشه في حال كونه في السماء في حال كونه في الأرض في حال كونه أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد انتهى والله أعلم.

[الباب التاسع والأربعون في معرفة قوله صلى الله عليه وسلم إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن]

(وقال) في الباب التاسع والأربعين : اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات أن المتوجه على إيجادهم أسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الإلهي فعند ما خرجوا لم يروا عظمة ولا غزا ولا كبرياء إلا في نفوسهم فلذلك تكبروا وأما

وإنما تعقل بما يلقي إليها ربها وخالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل ، ومن عقل محبوس في كن ، ومن عقل طبع على مرآته صدأ.
فعلم أن العقول لو كانت تعقل بنفسها لما أنكرت توحيد موجدها فلهذا جعلنا التعجب ليس من قول الكفار انتهى فإن قيل فهل كون الحق تعالى لم يولد من خصائصه أم يشاركه في ذلك خلقه.
فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والأربعين وثلاثمائة : إن عدم الولادة ليس خاصا بالحق تعالى فإن آدم عليه الصلاة والسلام أيضا لم يولد ولكن لما كانت الولادة معلومة عند السائلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه الحق تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى . قلت فقوله تعالى : إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ [ص : 5] يحتمل أن يكون للتعجب وهو المسمى عند علماء الرسوم بالتعجب أي من شأن ذلك الأمر أن يتعجب منه السامع وإن لم يكن المتكلم متعجبا منه لاستحالة التعجب الحقيقي عليه فيصرف إلى السامع من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول ويحتمل أن يكون من جهة الكفار أما من جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد الآلهة وأما من جهة الكفار فمن كون الإله واحدا فكلام الشيخ على أحد الاحتمالين ، فإن قلت : فهل وصف الشرك بأنه ظلم عظيم راجع إلى ظلم العبد نفسه أو إلى ظلم غيره من الخلق أو إلى ظلم صفات الألوهية.
فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين من " الفتوحات " أن الشرك إنما هو من مظالم العباد وَما ظَلَمُونا وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [الأعراف : 160] فيأتي يوم القيامة من أشركوه مع الله تعالى في الألوهية من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يا رب خذ لي مظلمتي من هذا الذي جعلني إلها ووصفني بما لا ينبغي لي فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك ويخلده في النار مع شريكه إن كان حجرا أو حيوانا غير إنسان أما الإنسان فلا يخلد في النار مع عبدته إلا إن رضي بما نسب إليه من الألوهية أما نحو عيسى والعزير عليهما السلام أو علي بن أبي طالب فلا يدخلون النار مع من عبدهم لأن هؤلاء ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى.

....

غيرهم من الخلق فكان المتوجه على إيجادهم من الأسماء الإلهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر ، فلذلك خرجوا أذلاء تحت القهر الإلهي فلم يمكن لهم أن يعرفوا الكبرياء طعما وأطال في ذلك . وقال فيه : إنما جاءت بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة لأن السور تحتوي على أمور مخوفة تتطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك قدم أسماء الرحمة تأنيسا وبشرى للمؤمنين ولهذا قالوا في سورة التوبة إنها والأنفال سورة واحدة ومن قال : إن كل واحدة سورة مستقلة تحتاج إلى بسملة قال : إن بسملة سورة النمل مكانها حتى لا ينقص القرآن عن مائة وأربع عشرة بسملة ولذلك جاءت بسملة النمل محذوفة الألف كما جاءت في أوائل

فإن قيل فهل لقوله تعالى : وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ [المؤمنون : 117] مفهوم فالجواب كما قال في " الفتوحات " في الباب الثامن والتسعين ومائة : إنه لا مفهوم له لأن الاجتهاد في الأصول ممنوع عند المحققين فيأثم من أخطأ فيه . فإن قيل : فما وجه تنكير قوله تعالى إِلهاً في هذه الآية . فالجواب أنه إنما نكره لأنه لم يكن موجودا ثم إذ لو كان موجودا لتعين ولو تعين لم يصح تنكيره فدل على أن من يدعو مع الله إلها آخر قد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم وليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين وكان مدلول ادعائه العدم المحض ولم يبق إلا من له الوجود المحض إذ كل شيء يتخيل فيه أنه شيء فهو هالك في عين شيئيته عن نسبة الألوهية إليه لا عن شيئيته في نفسه فإن وجه الحق تعالى فيه باق إذ هو معلوم علمه الله تعالى فالله تعالى هو المعلوم المجهول انتهى.
فإن قلت : لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذي وحد ربه وفي ذلك رائحة الافتقار وتعالى الله عن ذلك فالجواب ما قاله في " الفتوحات " في الباب الثالث والسبعين أن الحق تعالى غني عن توحيد عباده له فإنه الواحد لنفسه ووحدانيته ما هي بتوحيده موحد وذلك لئلا يكون الحق تعالى الذي هو المقدس أثرا لهذا العمل فتفطنوا أيها الإخوان لهذه النكتة فإنها دقيقة جدا.
قال الشيخ : ولغناه تعالى عن توحيد عباده قال : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران : 18] فأخبر تعالى أنه الموحد نفسه بنفسه وعباده إنما هم شهداء على شهادته لنفسه على سبيل التصديق ، والاعتراف والإذعان . فإن قيل عطف الملائكة أولوا العلم على شهادته لنفسه بالواو قد يوهم الاشتراك في الوقت والاشتراك هنا لأن شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها والملائكة وأولوا العلم محدثون بلا شك . فالجواب أنه لا اشتراك إلا في الشهادة قطعا ، وأما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له إنما هي حين أظهرهم فافهم.
فإن قيل فلم خص في الآية أولي العلم بالشهادة دون أولي الإيمان . فالجواب أنه تعالى إنما خص أولي العلم بالشهادة لأن شهادتهم ليست عن علم من طريق الإيمان وإنما هي عن

....
السورة ليعلم أن المقصود بها أوائل السور بدليل أنهم لم يعملوا بذلك في : بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها [هود : 41] و اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ [العلق : 1].
(قلت) : وقد ذكر الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلثمائة ما نصه الأوجه عندي أن سورة الأنفال وبراءة سورة واحدة ولذلك تركت البسملة بينهما وإن كان لتركها وجه هو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري ولكن ما لهذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف وذلك أن البسملة موجودة في كل سورة أولها : وَيْلٌ وأين الرحمة من الويل انتهى وذكر أيضا في الباب السابع والعشرين وثلاثمائة ما نصّه أخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني بعد أن جعلني في ذلك

"63"
تجل إلهي لقلوبهم أفادهم العلم الضروري بتلك الشهادة لأنه شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ما هي عن إخبار عن غيره حتى تكون إيمانا فإن متعلق الإيمان إنما هو الخبر عن وقوع أمر فيسمعه السامع فيؤمن به ، وإخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من إضافتهم إلى العلم دون الإيمان الإعلام من الله تعالى لنا بأن المراد بأولي العلم أهل التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من حصل له التوحيد من طريق العلم النظري وليس المراد بهم من حصل له ذلك من طريق الخبر وكأنه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروري الذي استفادوه من التجلي لقلوبهم وقام لهم مقام النظر الصحيح في الأدلة فشهدت لي يعني الملائكة بالتوحيد كما شهدت لنفسي وشهد بذلك أيضا أولوا العلم بالنظر العقلي الذي جعلته لهم انتهى . قلت : ويؤيد ما قرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول بل قال : يعلم وأفرد العلم وذلك لأن الإيمان متوقف وجوده على وجود الخير كما مر وذلك متوقف على مجيء الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ليس ثم إلا إله واحد ثم يقول ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا إله إلا الله لقول الله له : قل ذلك له وحينئذ يسمى مؤمنا فإن الرسول أوجب عليه أن يقولها لو كان عالما هو بها في نفسه من غير واسطة قال الله تعالى : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ [النساء : 136] أي آمنوا بمحمد ولو كنتم مؤمنين من جهة شريعة موسى وعيسى إذ الحكم إنما هو لشريعة محمد الآن وكذلك الحكم في أهل الفترات يؤمرون كذلك بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا أدركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك بالنور الذي قذفه الله في قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذي يزن وأضرابهما . فعم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع أنواع التوحيد من طريق الخبر أو العلم الضروري وإنما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا التوحيد العلمي سعيدا ويدخل الجنة وإن لم يتصف بالإيمان لأن النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيه أبدا بأيّ طريق كان توحيده . فإن قيل : فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث السابق ويعلم أن محمدا رسول الله مع أنه لا بد من ذلك في طريق سعادة المؤمن فالجواب كما قاله القصري في " شرح شعب الإيمان " أنه إنما لم يأت بها في الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة في حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فإن القائل لا إله إلا الله لا يكون مؤمنا إلا إذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

....

على بينة من ربي أن اختصاص البسملة في أول كل صورة إنما هو تتويج الرحمة الإلهية في منشور تلك السورة وأن الرحمة تنال كل مذكور فيها من المسلمين فإنها علامة الله على كل سورة أنها منه كعلامة السلطان على مناشيره والحكم للتتويج فإن به يقع القبول ، وبه يعلم أنه من عند الله هذا أخبار الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل ولله الحمد لكن في حجاب عن شهود المحل الذي نزلت منه الشرائع ليفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم (وذكر) أيضا في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة ما نصه : أعلم أن الله تعالى جعل البسملة أول كل سورة من القرآن حاكمة على كل وعيد فيها لأحد من المسلمين فمال كل موحد إلى الرحمة لأجل بسم

"64"
له : قل ، فإذا قالها لقوله له قل ، فهو عين إثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل في الحديث ويعلم أن محمدا رسول الله على أنها قد جاءت في رواية أخرى انتهى.

ويحتمل أن يكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالكف عمن قال لا إله إلا الله فقد ورد عنه أن من مات عليها دخل الجنة ثم إن الله تعالى أمره بأن يكلفهم بالإيمان بالرسول آخر الأمر لما خف عنهم الحد الذي كان عندهم أوائل البعثة وأذعنوا له كما هو سنة الله تعالى في تكليفه لعباده بالأحكام شيئا فشيئا ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم إنما سكت عن لفظة وأن محمدا رسول الله ليدخل أهل الفترات ومن لم يبلغهم الرسالة والله تعالى أعلم . فإن قيل فأي التوحيد أعلى ؟ توحيد من ينظر في الأدلة أو توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات ؟ فالجواب كما قاله سيدي علي الخواص أن توحيد من لا ينظر في الأدلة أعلى إذا كان توحيده كشفا فإن كان تقليدا فتوحيد من ينظر في الأدلة أعلى منه والله أعلم . بل سمعته يقول : من توقف في توحيده لله عز وجل على دليل فهو جاهل لأن كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة وغاية الإنسان إذا نظر في الأدلة أن ينتهي أمره إلى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهائم لأنهم مفطورون على الحيرة والإنسان لما خلقه الله تعالى على صورة الكمال يريد الخروج عن الحيرة وما علم أن ذلك لا يصح له . فإن قيل فهل يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما وجده في نفسه من صفات المحدث أم لا يصح له الترقي عن ذلك . فالجواب ما قاله في " الفتوحات " في الباب العشرين وثلاثمائة : إنه لا يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه أبدا فكل عبد ينزه ربه عن كل ما هو عليه إذ كل ما هو عليه العبد محدث والحق لا ينزه إلا عن قيام الحوادث به ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين فالعرض يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده إلى محل يكون به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده إلى أداة تمسكه والجسم يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده إلى موجد يوجده قال وفي هذا حصر التنزيه من حيث الأمهات فإنه ماثم إلا جسم أو جوهر أو عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم فيه انتهى.

فإن قيل : فهل عبادة الخلق للحق تعالى من طريق أحديته أو من طريق واحديته ؟ فإن قلتم

....

الله الرحمن الرحيم فهي بشرى عظيمة لزوال كل صفة توجب الشقاء على أحد من عصاة الموحدين ، وأما سورة التوبة عند من لم يجعلها من سورة الأنفال فيجعل لها اسم التوبة وهي الرجعة الإلهية على العباد بالرحمة ، والعطف فقام اسم التوبة مقام البسملة فإن الرجعة على عباده تعالى لا تكون إلا بالرحمة والله أعلم.

[الباب الخمسون في معرفة رجال الحيرة والعجز]

(وقال) في الباب الخمسين : سبب الحيرة في الله تعالى طلبنا معرفة ذاته تعالى بأحد الطريقين : إما بطريق الأدلة العقلية وإما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من

"65"
إنها من طريق الأحدية فكيف صح ذلك مع امتناع التجلي فيها فإن الأحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية . فإن الجواب ما قاله في " الفتوحات " في الباب الثاني والسبعين ومائتين:
أنه لا يصح لعبد أن يعبد الله تعالى من حيث أحديته ذوقا لأن الأحدية تمحي وجود العابد فكأنه تعالى يقول لا تعبدوني إلا من حيث ربوبيتي فإن الربوبية هي التي تعرفونها لكونها أوجدتكم فما صح لأحد تعلق إلا بها ولا تذلل إلا لها فمن تعبد لحضرة الأحدية فقد تعبد نفسه لغير معروف وطمع في غير مطمع لأن الأحدية من خصائص الذات التي تمحق الأغيار فعلم أن ما سوى الله لا أحدية له مطلقا وأن المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا المجاز لا الحقيقة لأنه خلاف ما يفهمه أهل الله تعالى في تقديرهم المعاني وإن كانت لفظة الأحدية جاءت ثابتة الإطلاق على ما سواه تعالى كما في هذه الآية ويؤيد ما قررنا قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص : 1] أي لا يشاركه أحد في صفة الأحدية.
قال الشيخ محيي الدين : وأما الواحد فقد نظرنا في القرآن فلم نجده أطلقه على غيره كما أطلق الأحدية وما أنا منه على يقين فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالأحدية ، إذ الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت على ما سوى الله كما مر انتهى.
فإن قيل : قد أجمعوا على أن كل صادق ناج ومعلوم أن المشرك صادق في أنه مشرك فلم لا ينفعه صدقه .
فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلاثمائة من " الفتوحات " : أن الصدق لا ينجي صاحبه إلا إن وافق الحق فإن النميمة والغيبة قد تكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ [الأحزاب : 8] يعني أهل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه ؟ فكل حق صدق وليس كل صدق حقا . فعلم أن المشرك صادق في أنه مشرك وما هو صادق في أن الشركة في الألوهية صحيحة وقد بحث هو بالأدلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا في الصدق انتهى.
فإن قيل : فهل يصح أن يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث إنه عدم لا وجود له في نفس الأمر .
فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الحادي وثلاثمائة : أنه لا يصح أن يتبرأ الحق تعالى من الشريك لأنه عدم وإنما يتبرأ من المشرك من حيث إنه اتخذ آلهة من دون الله بغير
....
المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ إليها وما صرح وقد منع الدليل العقلي من إدراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو في نفسه عليها فلم يدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير وقد سموا ذلك معرفة ، وكلما زادت الحيرة زاد العلم بالله تعالى
ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم وقال : لولا منازعة الإنكار من العلماء وأولي الأمر على أهل الله عز وجل لأتوا بنظير ما جاءت به الأنبياء من صفات الله تعالى من تعجب ، وفرح ، وضحك ونزول ومعية ولكن نعم ما فعل العلماء في إنكارهم ونعم ما فعل أهل الله في عدم التلفظ بما أطلعهم

"66"
سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه وبغضه وإلا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منه حكم صفة تنزه الحق عنها لأن متعلق البراءة عدم انتهى.
وقال في الباب الخامس والأربعين وثلثمائه : لا تصح الشركة بالله أبدا لأن شرط صحتها عدم تمييز الأنصباء والأمور كلها معينة عند الله تعالى في هذا الشيء المسمى مشتركا.

وقال في الباب الثاني والسبعين لا تصح الشركة في الوجود لأنه كله فعل واحد فما للشركة مصدر تصدر عنه . فتحقق يا أخي هذا التنبيه في الشركة فإنه بعيد أن تسمعه من غيري وإن كان يعرفه فإنه يغلب عليه الجبن الذي فطر عليه فيفزع من حيث كون الحق تعالى أثبت الشركة وصفا في المخلوق وأنه يشرك بربه وما شعر هذا بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل إن الشركة صحيحة ولا أن الشريك موجود فالعبد الذي أشرك وما في نفس الأمر شركة لأن الأمر من واحد هذا هو الحق الذي إن قلته لا تغلب وما سوى ذلك فهو مثال يضرب مثل فرض المحال وجوده موجودا انتهى وأطال في ذلك . فإن قيل : فهل كل كافر مشرك كما أن كل مشرك كافر أم لا . فالجواب ما قاله في الباب الخامس والسبعين ومائتين أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا ، فأما كفر المشرك فلعدو له عن أحدية الإله وأما شركه فلأنه نسب الألوهية إلى غير الله مع الله وجعل له نسبتين فأشرك ، وأما وجه كونه لا يلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو أن الكافر هو الذي يقول إن الإله واحد غير أنه أخطأ في تعيين الإله كما قال تعالى:
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [المائدة : 72] ما قال لقد أشرك الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فكفره من حيث إنه جعل ناسوت عيسى إلها كما أنه يكفر أيضا بكفره بالرسول أو ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين الأول أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله . الثاني أن يكون عالما برسول الله وبما جاء من عند الله أنه من عند الله ثم ستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم وأطال في ذلك . (فإن قيل) من أين جاء للناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع أنهم كلهم أجابوا بالإقرار بالربوبية له وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلثمائة : أنهم ما ادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا

....

الله عليه من معرفته وأطال في ذلك.

[الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن]

(وقال) في الباب الحادي والخمسين : من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال في المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك ، فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال ، ثم إن هذا الأمر لا يكون لهم إلا بعد التضييق الشديد في التورع وهناك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم بإعطائهم تلك العلامة في المطعوم مثلا فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك أنهم أكلوا حراما وليس كذلك.

[الباب الثاني والخمسون في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف إلى عالم الشهادة إذا أبصره]

(وقال) في الباب الثاني والخمسين : اعلم أن نسبة الإنسان إلى أمه أولى من نسبته إلى

"67"

حكمت عليهم الأوهام بوجود الشريك مع أنه عدم في نفس الأمر فإنه لو صح شريك للحق ما صح من العباد الإقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ما صح إقرارهم بالملك له وحده هناك فإن ذلك الموطن كان موطن حق من أجل الشهادة فنفس إطلاقهم الملك له بأنه تعالى ربهم هو عين نفي الشريك ، قال الشيخ : وإنما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لأنه لا يجرهنا للتوحيد لفظ أصلا وإنما المعنى يعطيه فعلم أن الشريك منفي من الأصل والسلام (فإن قيل) فإذن المشرك جاهل بالله تعالى على الإطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين : نعم إذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الإيجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لأنهم إنما وجدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وإنما أضافوا الفعل إليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما أن الأشعرية

وجدوا أفعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك أيضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين ، بل قالوا إن الله تعالى خالق كل شيء . قال : ولكن لا يخفى أن ما ذهبت إليه الأشاعرة أقوى عند أهل الكشف مع أن كلّا من الطائفتين أصحاب توحيد شرعي انتهى.

وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ [النساء : 116] أي لأن الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بإيمانه وإذا كان عدما فلا يغفره الله إذ الغفر والستر لا يكون إلا لمن له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به أي لأنه لا وجود للشريك ولو كان له وجود لكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس والأربعين وثلاثمائة : اعلم أن الشرع قد يتبع العرف في بعض المواضع كما في قوله تعالى : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ [الإسراء : 111] فنفي الشريك مع أنه لا وجود له في الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك في العرف العام تبعه الشرع في ذلك ليفهم عنه الحكم فإنه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤوا عليه انتهى . (فإن قيل) فهل في الجن المخلدين في النار من يشرك كالإنس (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين

....

أبيه وذلك لأنه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابنها حقيقة ،

[الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقي المريد على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ]

وقال في الباب الثالث والخمسين : يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخا وهو : الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين وأطال في بيان كل واحد منها.

[الباب السابع والخمسون في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس]

(وقال) في الباب السابع والخمسين : قوله تعالى : فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها (8) [الشمس: 8] إنما قدم الفجور على التقوى في الذكر لينبه تعالى على أن الفجور هو الغالب على الإنسان ويرجع العبد إلى ربه في كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال : والإلهام بالفجور

"68"

وثلاثمائة : أنه ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وإن كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى : كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ (16) [الحشر : 16] فليتأمل (فإن قيل) فإذا كان مذهب الأشعرية لا بد فيه من إضافة العقل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى : (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة : وهو أنه يجب على الإنسان أن ينزه ربه عن الشريك لا عن الشركة في العقل والملك لأجل صحة التكليف فإن للعبد في الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الأسباب كالنجار تضاف إليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وإنما فعله بآلات متعددة من حديد وخشب فهذه أسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت إلى شيء منها انتهى . (فإن قيل) فما الفرق بين من يقول بالأسباب وبين من قال عن الأوثان ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى [الزمر : 3] وهلا كان يكفر من وقف مع الأسباب كما يكفر من عبد الأوثان . (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على الحج : اعلم أن عباد الأوثان قد اجتمعوا معنا في كوننا ما عبدنا الذات لكونها ذاتا بل لكونها إلها وإنما خالفونا في الاسم فإنا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغي لمن ينبغي فهو الله حقا لا إله إلا الله هو وأولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فأخطؤوا ، فسمينا

نحن علماء سعداء وأولئك سموا جهلاء أشقياء فنحن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً [الرعد : 15] فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لأنه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم أنفه.

وقال في الباب السبعين من " الفتوحات " : إنما لم يقبل توحيد المشركين شرعا في قولهم ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى لأن الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى . (فإن قيل) فهل لنا علة أخرى في برهان التمانع غير الفساد في قوله تعالى : لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [الأنبياء : 22] (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين : أنّ علة منع وجود إلهين كون الحق تعالى لا مثل له فلو صح أن يكون في الوجود إلهان لصح أن يكون له تعالى مثل وذلك محال لأن الله تعالى نفى أن يكون له مثل

....

من باب : كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً [الإسراء : 20] فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس أمارة بالسوء من حيث ذاتها لأن مرتبتها المباح الشرعي لا تتعداه وأما قول الله إن النفس لأمارة بالسوء فليس هو حكم الله تعالى وإنما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز وهل أصابت في هذه الإجابة أم لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم.

بخلاف الأسماء فإنه يصح اجتماعها في عين واحدة لعدم التشبيه بالكون . قال : وانظر إلى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة في جوهر واحد ويستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين في ذلك الحيز ، قال : ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين أو الباطنين انتهى.
وقال في الباب الأحد والثمانين ومائة : إنما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين إلهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى.
وقد قيل للشيخ محيي الدين رحمه الله : إن الإله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الإله الذي أدركه العقل وأحاط به علما أم هو عينه ولكن قصر العقل عن الإحاطة به ؟ فأجاب الشيخ في الباب السابع والستين من " الفتوحات " بما نصه : أن الإله الذي أدركه العقل ليس هو عين الإله المنزه المقدس لأن الإله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الإله محمد رسول الله في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فعلم أن التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذي أدركه النظر العقلي إذ الإله الذي دعا الشرع إلى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته لسائر الحقائق وأطال في ذلك فليتأمل ، ثم قال : ومن عرف ما قررناه علم أن الإله الذي أدركه العقل لا يحتاج إلى تأويل شيء من صفاته التي أدركناها بعقولنا وتنزل الحق تعالى فيها لعقولنا فيصح وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد وغير ذلك من غير تأويل انتهى.
قلت فما احتاج إلى تأويل إلا من ظن أن الإله الذي كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التي لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها في علي ذاته ومرتبة تنزل منها لعقول عباده فما عرف الخلق منه إلا رتبة التنزل لا غير ، لأن الله تعالى لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه أبدا ولو كلفهم بذلك لأدى إلى الإحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوي علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى . وقد قال الشيخ أيضا في الباب الثاني والسبعين إلى التنزيه سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى . وقد أنشد

....

[الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود والمقدر]

<u>(قال) في الباب التاسع والخمسين</u> : في حديث الدجال : " يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم " قد توهم بعضهم أن هذا الطول إنما هو من شدة الأهوال في ذلك الزمان وليس كذلك فإن تمام الحديث قد رفع الإشكال بقول عائشة رضي الله تعالى عنها فكيف نفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال : اقدروا لها فلو لا أن الأمر في حركات الأفلاك باق على ما هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعلم بها الأوقات في أيام الغيم إذ لا ظهور في ذلك اليوم للشمس فإنه في أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث إنه يستوي في رأى العين وجود الليل والنهار . قال : وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان

سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه في هذا المعنى:
عقال عقلك بالأوهام معقول * وقد قلب القلب منك القال والقيل
نحت بالفكر معبودا وقلت به * وصنت عقدا بكف الحق محلول
قد عشت قبلك دهرا في مكابدة * ولي فؤاد بهذا الداء معلول
انتهى فعلم أنه ما ترقى عن الأوهام إلا الأنبياء وكمل ورثتهم من الأولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الأوهام في الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لأنفسهم وإنما أولوها لاتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالي ومخاطبتنا منه لنتعقل عن أمره ونهيه فإذا تعقلنا ما خاطبنا به ذهبت المثلى المتخيلات كأنها جفاء وبقي معنا العلم وهذا نظير ما نزل إلينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والأصوات فإنا لا نتعقله إلا إن كان بصوت وحرف ولو أنه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما أن الحق تعالى إذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس في صورة ولو أنه حقق النظر لم يجد للحق صورة ونظير ذلك أيضا السراب يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً [النور : 39] . وقد ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين أن للحق أن يناقش الموحدين ويقول لهم : فبماذا وحدتموني ولماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي فإن كنتم توحدوني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لأنهم أثبتوا أمرين حالا ومحلا ، وإن كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات الأفعال فما وحدتموني لأن العقول لا تبلغ إليها والخبر لم يجئكم بها من عندي ، وإن كنتم وحدتموني في الألوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فبم وحدتموني هل بعقولكم أو بي فكيفما كان ما وحدتموني لأن وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي فإن توحيدكم إياي بي هو توحيدي وتوحيدكم بعقولكم هباء منثورا كيف تحكمون علي بحكم من خلقته ونصبته وإن كان الذي اقتضى توحيدي هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد ؟ وإن قلتم إن الذي اقتضى توحيدكم هو أمري فأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصل إليكم ؟ وإن قلتم إنه هو ما رأيتموه مني فمن ذا الذي

....
فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء ، والحركات كما هي فتظهر الحركات التي عملها أهل علم الهيئة ومجاري النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك قال : ولو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر للصلاة بل كنا ننتظر زوال الشمس فما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر المشروع لو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة وأكثر لم يكلفنا الله غير ذلك قال : وقد اختلفت الناس في معقول لفظة الزمان ومدلولها فأكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث يسأل عنه بمتى والعرب يريدون به الليل والنهار قال : وهو مطلوبنا في هذا الباب والله أعلم.

رآه منكم وإن لم تروه مني فأين التوحيد ؟ وأنتم تشهدون الكثرة انتهى . وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الجامع : اعلم أن التوحيد المطلوب منا معقول غير موجود والجمع موجود ومعقول ولو أنه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذي ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم . لكن لما سبق علمه أنه إذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وماثم شيء خارج عن حكمه وإرادته وأطال في ذلك.
ثم قال : وهذا هو وجه استناد وجود الشرك في العالم وقد كان تعالى ولا شيء معه يتصف بالوجود ولا الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فما فتح العالم عينه على نفسه إلا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له في التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحد خالقك لم يفهم هذا الخطاب فكرر عليه القول فقال : لا أدري ولا أعقل التوحيد إلا بين اثنين موحّد بكسر الحاء وموحّد بفتحها وأطال في ذلك . ثم قال في باب الوصايا من " الفتوحات " اعلم أنه لا يعرف التوحيد الذي يستحقه الحق إلا الحق وأما نحن فإذا وحدناه فإنما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فإن توحيد الاستحقاق محال أن يصحبه هم أو حزن أو اختيار أو حب رياسة أو بغض أحد من الخلق لأن الوجود كله في قبضة قهره وتصريفه فافهم . وقال في الباب الثاني والسبعين ومائة بعد كلام طويل : فإذن التوحيد الشرعي هو التعمل في حصول العلم في نفس الإنسان بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته وأما الوحدة فهي صفة الحق والاسم صفة الأحد والواحد وأما الوحدانية فهي قيام الوحدة بالواحد من حيث إنها لا تعقل إلا بقيامها بالواحد وإن كانت نسبته في التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فإذا حصل في نفس العالم أن الله تعالى واحد فهو موحد وأطال في ذلك.
خاتمة : قال الشيخ في باب الوصايا من " الفتوحات " : إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطئوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئا فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه وأطال في ذلك ، ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله تعالى أعلم فتأمل في هذا المبحث وأمعن النظر فيه فإنك

....

الباب الثامن والستون في أسرار الطهارة

(وقال) في الباب الثامن والستين : إنما شرط بعضهم القصد الذي هو النية في التراب دون الماء لأن الماء سر الحياة فهو يعطي بالحياة بذاته سواء قصد ، أو لم يقصد بخلاف التراب لأنه كثيف لا يجري على العضو ولا يسري في وجه القصد فافتقر للقصد الخاص بخلاف الماء فإنه تعالى قال : اغسلوا ولم يقل : تيمموا ماء طيبا مثل ما قال في التراب صعيدا طيبا قال : فإن قالوا : إنما الأعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل بماء فالماء تابع للعمل ، والعمل هو المقصود

لا تجده في كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.
المبحث الثاني : في حدوث العالم
اعلم أن مسألة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين أهل السنة والفلاسفة وقد انعقد الإجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققي المتكلمين في هذه المسألة ثم بنقول محققي الصوفية رضي الله تعالى عنهم فأقول وبالله التوفيق : قال الجلال المحلي محقق أهل الأصول إنما كان العالم محدثا لأنه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث بفتح الدال من محدث بكسرها ولا بد أن يكون واحدا ضرورة . قال شيخ الإسلام الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومعنى قول الجلال المحلي في علة المحدث إنه يعرض له التغير أي على الوجه الذي يشاهد فإنا نشاهد تغير الحركة بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده أن مستند كل تغير المشاهدة فإن كثيرا من أجزاء العالم لا نشاهده كما في باطن الأرضين وما في السماوات فالحكم بالتغير فيه مستند إلى دليل العقل . قال : وتمام التقرير ليلة الحدوث المذكور أن يقال : العالم أعيان وأعراض فالأعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة في نفس الأمر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفي الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من أحوال الأفلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن ، وبعضها بالدليل وهو طريان العدم فإن العدم ينافي القدم وأما الأعيان فإنها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فقدمه محال انتهى . (وأما كلام أهل الطريق) فمن أكثرهم في هذه المسألة إطنابا سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه وها أنا أجلي عليك عرائس كلامه رضي الله تعالى عنه . فقال في أول خطبة " الفتوحات " : الحمد لله الذي خلق الوجود من عدم وأعدمه . انتهى . أي لأن عدم العدم وجود لأنه موجود في العلم الإلهي ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية وأما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث بإجماع . فمن قال إنه قديم مطلقا أخطأ أو حادث مطلقا أخطأ وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثاني عشر إن شاء الله تعالى نظما ونثرا عن الشيخ رحمه الله . (فإن قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من

....

بالنية وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع فيحتاج إلى نية أخرى عن الشروع في الفعل كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص المأمور به وهو النية وأطال في ذلك وقد تقدم ما له تعلق بالنية أيضا في الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه وقال فيه أجمع أهل العلم في كل ملة ونحلة على أن الزهد في الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل ، وأما المال الذي فيه شبهة تقدح فيه فليس له إمساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وأطال في ذلك . وقال فيه : إنما كان الاستجمار بثلاثة أحجار فما فوقها من الأوتار لأن الجمرة هي الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذي هو

الفلاسفة (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين ومائتين إن شبهة وجود الارتباط المعنوي بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق فإن الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل واحد إلا بوجود الآخر . فإن قيل فهل وجد العالم للدلالة على الحق تعالى . فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الأربعين ومائة : إنه لم يوجد للدلالة على الحق تعالى لأنه لو وجد للدلالة عليه لما صح للحق تعالى الغنى عنه ولكان للدليل سلطنة وفخر على المدلول فكان الدليل لا ينتقل عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يكن للمدلول أن يتوصل إليه إلا به فكان يبطل غناه تعالى عن العالمين . انتهى . وقال أيضا في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : إنما سمى العالم عالما من العلامة لأنه الدليل على المرجح انتهى فليتأمل مع ما قبله .
فإن قيل : فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من سائر الوجوه ؟
(فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين إنه لا تصح المنافرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فإن العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده في وجوده منه فهذا هو الباب الذي دخل منه من قال بقدم العالم على أنه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد في نوع ولا شخص ولا جنس فإن الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية في الوجود وأطال في ذلك . ثم قال : فعلم أن المنافرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلمي الأزلي لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى في حال عدم العالم فإن الأعيان الثابتة في العلم الأزلي لم تزل تنظر إلى الحق تعالى بالافتقار أزلا ليخلع عليه اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر إليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى ربا لنا في حال عدمنا وفي حال وجودنا على حد سواء فالإمكان لنا كالوجوب له وأطال في ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذي ذكرناه زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف أي لأن الوجود إذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه وذلك محال ، أما الارتباط الجسماني فلا يصح بين العبد والرب لأنه تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لأن الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوي كما مر فإنه من جهة مرتبة الألوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الألوهية على إيجاد جميع العالم بأحكامها ونسبتها وإضافتها وهي التي استدعت الآثار ، فإن قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا

………………………………………………………………

الحق مشهودا للخلق ولو في حال الاستجمار وأطال في ذلك ثم قال أواخر الباب الذي أقول به : إن الاستجمار بحجر واحد لا يجزئ لأن ذلك نقيض ما سمي به الاستجمار فإن الجمرة هي الجماعة وأقل الجماعة اثنان والثالث يوتر به.
(وقال) في الكلام على الرمي من كتاب الحج : اعلم أنه لا معنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد إذا كان له ثلاثة أحرف ، فإن العرب لا تقول في الحجر الواحد أنه جمرة ا ه ، فتأمله وحرره والله أعلم وقال فيه مما يدلك على أن المراد بوجه الشيء حقيقة المسمى وعينه

وقوة وفعلا محال ، ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت أحكام الألوهية لعدم وجود من يتأثر فالعالم يطلب الألوهية وهي تطلبه والذات المقدس غني عن هذا كله . قال الشيخ : ومن هذا المبحث ظهر القائلون بقدم العالم لظنهم ارتباط الذات بالعالم كارتباط الألوهية التي هي مرتبة الذات لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الإجماع من الطائفتين بأن العالم ممكن وأن كل جزء منه حادث وأنه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وإنما هو واجب الوجود بغيره إذ الخالق مثلا يطلب مخلوقا ولا بد انتهى . وقال في هذا الباب في قول الإمام الغزالي رحمه الله ليس في الإمكان أبدع مما كان هذا كلام في غاية التحقيق لأنه ما ثم لنا إلا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث ، فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما مثله لأنه سؤال مهمل لاستحالته انتهى.

(قلت) ويحتمل أن يكون مراده أنه ليس في الإمكان شيء يقبل الزيادة والنقص على خلاف ما سبق في العلم أبدا . وقال أيضا في باب الأسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فإن مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور لا يصح انتهى.

وقال في " لواقح الأنوار " أيضا : اعلم أن كل أمر يطلب الكون فهو من كونه سبحانه وتعالى إلها وكل أمر لا يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فمهما أتاك من كلام أهل التوحيد فزنه بهذا الميزان يتحقق لك الأمر فيه إن شاء الله تعالى انتهى.

وقال فيه أيضا : إن قيل ما قلتموه من كون الألوهية طالبة للذات هو مضاه للعلة والمعلول (فالجواب) أن ذلك ليس بمضاه للعلة والمعلول لأن العلة والمعلول أمران وجوديان عندهم وأما الألوهية فهي عندنا نسبة عدمية لا وجودية فإياك والغلط انتهى.

وقال في باب الأسرار من " الفتوحات " لو كانت العلة مساوية للمعلول في الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته والعلة معقولة وماثم علة إلا وهي معلولة ولو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له تنزيه انتهى . وقال فيه أيضا : ما قال بالعلل إلا القائل بأن العالم لم يزل وأنى للعالم بالقدم وماله في الوجود الوجوبي قدم لو

....

وذاته قوله تعالى : وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ (25) [القيامة : 24 ، 25] فإن الوجوه التي هي في مقدم الإنسان لا توصف بالظن وإنما الظن لحقيقة الإنسان وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص : 88] أن المراد وجه الشيء الذي يكنى عنه بعجب الذنب فإنه لا يفنى كما صرحت به الأحاديث وليس المراد به وجهه تعالى كما توهم فإن ذلك لا يحتاج إلى التنبيه عليه والله تعالى أعلم . قلت: وسيأتي في الباب الحادي والثمانين وثلاثمائة إن شاء الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم : " إن عيني تنامان ولا ينام قلبي " أي لأنه صلى الله عليه وسلم لما انقلب إلى عالم الخيال ورأى صورته هناك وهو قد نام على

ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود . وقال في الباب التاسع والستين: العالم كله موجود عن عدم ووجوده مستفاد من موجد أوجده وهو الله تعالى فمحال أن يكون العالم أزلي الوجود لأن حقيقة الموجد أن يوجد ما لم يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لا أنه يوجد ما كان موجودا أزلا فإن ذلك محال فإذن العلم كله قائم بغيره لا بنفسه والسلام.
وقال في موضع آخر من هذا الباب : اعلم أن مدلول لفظة الأزل عبارة عن نفي الأولية لله تعالى أي لا أول لوجوده بل هو سبحانه عين الأول لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالأوليات المخلوقة وأطال في ذلك . ثم قال : فالحق تعالى يقال في حقه إنه مقدر الأشياء أزلا ولا يقال في حقه موجدها أزلا فإنه محال من وجهين الأول : هو أن كونه موجدا إنما هو بأن يوجد ولا يوجد تعالى ما هو موجود وإنما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود هو المعدوم ومحال بأن يتصف المعدوم بأنه موجود أزلا إذ هو إنما صدر عن موجد أوجده فمن المحال أن يكون العالم أزلي الوجود (الوجه الثاني) من المحال وهو أنه لا يقال في العالم إنه موجود أزلا وذلك لأن معقول لفظة الأزل نفي الأولية والحق تعالى هو الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالأزل لأنه رجع إلى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لأن الأولية قد انتفت عنه تعالى بكون العالم معه أزلا انتهى.
وقال في كتابه المسمى " بالقصد الحق " : لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى إلا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لأن الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله تعالى أن يكون مصدر الأشياء لعدم المناسبة بين الممكن والواجب وبين من يقبل الأولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا يقبل الافتقار وإنما يقال : إنه تعالى أوجد الأشياء موافقة لسبق علمه بها بعد أن لم يكن لها وجود في أعيانها ثم إنها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير ممكن يغني واجب فلا يعقل لها وجود إلا به سبحانه وتعالى لأن تقدمه عليها وجودي ولو كان العدم أمرا يشار إليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود إلى وجود ويكون له عين قائمة في الأزل وذلك محال انتهى.

....

طهارة ولم ير أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه ، ولهذا يقول : إن النوم سبب أحدث ما هو حدث قال:
ومن حصل له هذا المقام لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبي الربيع المالقي شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر لكن كان له هذا المقام يوم الاثنين خاصة ا ه والله أعلم وقال فيه إنما أمر العبد بالاستنشاق بالماء في الأنف لأن الأنف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه والرغام هو التراب أي أنزلك الله من كبريائك وعزك إلى مقام الذل والصغر فكنى عن ذلك بالتراب فإن الأرض قد سماها الله

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة : مما استند إليه القائلون بقدم العالم قوله تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) [النحل : 40] فقالوا إنه تعالى ما أضاف التكوين إليه تعالى وإنما أضافه إلى الذي تكون فإن الحق أمره بالتكوين فامتثل ولو أنه تعالى أضاف التكوين إلى نفسه أو إلى القدرة لانتفت الشبهة ثم إنهم اضطروا إلى أن قالوا إن للحق تعالى تجليا يقبل القول والكلام بترتيب الحروف.
قالوا : والحق الذي يقول به إن العالم كله حادث وإن تعلق به العلم القديم انتهى . فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في قوله بحدوث العالم فكذب من افترى على الشيخ أنه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم في " الفتوحات " في نحو ثلاثمائة موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم أن يقع في مثل هذا الجهل الذي يؤدي إلى إنكار الصانع جل وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم أو ببقائه أو شك في ذلك هذا مع أن مبنى كتب الشيخ ومصنفاته كلها في الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى وتوحيده وعلى إثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوي والأخروي والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت شيئا من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل أن الشيخ بريء من هذا كله . وقد قال في الباب الخامس والستين من " الفتوحات " : اعلم أن سبب غلط منكري النبوة من الحكماء قولهم إن الإنسان إذا صفى جوهر نفسه من كدرات الشهوات وأتى بمكارم الأخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط . قال الشيخ : والأمر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وإن جاز وقوع ما ذكروه في بعض الأشخاص وذلك أنه لم يبلغنا قط عن أحد من نبي ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحتوي عليه حاله في كل نفس إلى حين وفاته أبدا بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك إلا أن يشاء الله فانظر يا أخي كيف غلط الشيخ رضي الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ أنه يرد على أحد شيئا ويتدين هو به والله إن هذا لبهتان عظيم . (فإن قيل) إن الحكماء تسمى الذات علة الوجود والأشعرية تسمي تعلق العلم بكون العالم أزلا علة فما الفرق بين العبارتين ؟ (فالجواب)

....
ذلولا على المبالغة وأذل الأذلاء من وطئه الذليل ثم إن الكبرياء لا يندفع من الباطن إلا. باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له : اجعل الماء في أنفك ثم انتثروا الماء هنا هو عملك بعبوديتك فإذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار.
(وقال) : إنما أمر العبد أن يستر عورته في الخلوة وإن كان الحق تعالى لا يحجبه شيء لأن حكمه تعالى في أفعال عبيده من حيث ما هم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف ، وقال

ما قاله الشيخ في الباب الثامن والأربعين من " الفتوحات " أنه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فإن الذي هرب منه الأشعرية وشنعوا على الحكماء لأجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم في سبق العلم بكون المعلوم فإن سبق العلم بطلب كون المعلوم بذاته ولا بد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته في جميع المراتب إذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك سواء أكان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ، ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن كون زماني ولا تقدير زماني لأن كلامنا في وجود أول ممكن والزمان من جملة الممكنات فإن كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وإن لم يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول حدوثا عقليا لا حدوثا وجوديا وإذا لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون زماني فلم يبق إلا الرتبة ولا يصح أبدا أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها وأطال في ذلك . ثم قال على أن من أدل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة للعالم عند الحكماء فإنه توحيد ذاتي ينتفى معه الشريك بلا شك لكن إطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بها عندنا شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى . وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة : اعلم أنه إنما سمى العالم عالما من العلامة لأنه الدليل على المرجح انتهى . وقد مر ذلك أوائل المبحث وسيأتي آخر المبحث الحادي عشر ما له تعلق بهذا المبحث فراجعه والله سبحانه وتعالى أعلم (خاتمة) إن قيل هل اطلع أحد من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الأدلة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التسعين وثلاثمائة أنه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك أن أكثر الكواكب قطعا في الفلك الأطلس الذي لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والأعمار لا تدرك حركتها لظهور ثبوتها للأبصار مع أنها سابحة سبحا بطيئا والعمر يعجز عن إدراك حركتها لقصره فإن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى في مائة سنة إلى أن ينتهى إليها فما اجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فتحسب ثلاثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكر لنا في التاريخ المتقدم أن أهرام مصر بنيت والنسر في الأسد وفي نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الأهرام

....

الطهارة الباطنة للأذنين تكون باستماع القول الأحسن فإنه ثم حسن فأحسن فأعلاه حسنا ذكر الله في القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلوها إلا ذكر الله فإنه ما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله فإنه فيه حكاية لأحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأه من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من سماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي . وقال فيه أصل مسح الرأس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة إلا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس في التيمم لأن وضع

فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في " شرح كلام الشيخ " ومعلوم أن النسر الطائر لا ينتقل من برج إلى غيره إلا بعد ثلاثين ألف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك إلا بعد ثلاثمائة ألف سنة انتهى . فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر . قال الشيخ محيي الدين رحمه الله : ولقد رأيت وأنا بين النائم واليقظان أني طائف بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فأنشدوني بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر:

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا أجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال أما تعرفني ؟ فقلت له لا ، فقال أنا من أجدادك الأول قلت له : كم لك منذ مت ؟ فقال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت له : ليس لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الأقرب إليك أم عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق مائتي ألف آدم فقلت في نفسي قد يكون الجد الذي نسبني ذلك الشخص إليه من أولئك . قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى.

وقال أيضا في الباب السابع والستين وثلاثمائة : اجتمعت بإدريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له إني رأيت شخصا في الطواف فأخبرني أنه من أجدادي فسألته عن زمان موته فقال لي أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن أي آدم تسأل عن آدم الأقرب أم غيره ، فقال إدريس عليه السلام : صدق هذا الشخص ، إني نبي الله ولا أعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال في المخلوقات بانتهاء المدد لانتهاء الخلق فإن الخلق مع الأنفاس بتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال دنيا وآخرة ، فقلت له : يا نبي الله عرفني بشرط من أشراط الساعة فقال وجود أبيكم آدم الأقرب من علاماتها فقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا إلا بكم انتهى.

وقال في الباب السابع من " الفتوحات " : اعلم أن عمر الدنيا لا يحصى بآلاف ألوف وقال في الباب السابع أيضا قد أكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات

....

التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى إذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتي زيادة على ذلك وأطال في ذلك وقال فيه : اعلم أن الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة دون الرأس بحديث مسلم في المسح على العمامة معلول أعله ابن عبد البر وغيره فإن المسح فيه قد وقع على الناصية والعمامة معا فقد 7 الماء الشعر وحصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح البعض ، وقال فيه مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب.

(قال) : والآية تحتمل العدول عن الظاهر إلا على مذهب من يرى أو ينقل عن العرب أن

عند انتهاء إحدى وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال لما انتهى : خلق العالم الطبيعي وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون ألف سنة خلق الله الآخرة التي هي الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا أولى لأنها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة أمدا ينتهي إليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم إذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الأرض ليصفو الهواء من تلك العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله فيه حياة هذا الإنسان وعافيته لكان سقيما مريضا معلولا مدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الأسقام والعلل انتهى والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث : في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه

قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) [الذاريات : 56] قال ابن عباس إلا ليعرفوني فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا يخرج الإنسان عن الجهل بالحق إلا إن عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرق الإسلامية من كل وجه فهو كاذب ، فإن من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الإلهية وإذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة إليها ومتصلة بها كاتصال الأصابع بالكف فأقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وإنما منع الأشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الأشياخ ليختصروا له الطريق فإن حكم طريق كل شيخ كالإصبع المتصلة بالكف فإذا سلك الإنسان مقدار عقدة ثم انتقل إلى شيء آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم

....

المسح لغة في الغسل فيكون من الألفاظ المترادفة . قال : ومذهبنا أن الفتح في لام أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فإن هذه الواو قد تكون واو المعية تنصب تقول : قام زيد وعمرا وأطال في ذلك . (قلت) : قوله : ومذهبنا أي من حيث النحو لا من حيث الأحكام والله أعلم . وقال فيه ليس في مقدور البشر مراقبة الله تعالى في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعا في جميع أحواله فلا يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم وإليه الإشارة بقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ، وقال فيه : “ إذا وقع في القلب خاطر

انتقل إلى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ولو أنه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فإن كل أصبع ثلاث عقد فنفذ عمر هذا وهو في أول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الأشياخ مريدهم أن يشرك معهم في السلوك غيرهم انتهى.

ثم اعلم أن المعرفة عند أئمة الأصول هي العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا إذ الذات مجهولة من حيث الإحاطة بها (فإن قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض . فالجواب أن الحق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته تعالى والإقرار بوحدانيته . فإن قيل : فما الدليل على كون معرفته الحق تعالى واجبة ؟

(فالجواب) أن دليل ذلك كون المعرفة من الأمور التي تصل العقول إليها فإن الإنسان إذا دهاه أمر وضاقت به المسالك فلا بد أن يستند إلى إله يتأله إليه ويتضرع نحوه ويلجأ إليه في كشف بلواه ويسمو قلبه صعودا إلى السماء ويشخص ناظره إليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق أجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد في الوحوش والبهائم أيضا فإنها ظاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤوسها إلى السماء عند فقدان الكلأ والماء وإحساسها بالهلاك والفناء . وكذلك شاهدنا الأطفال عند البلوى يرفعون مسبحتهم نحو السماء هذا كله مركوز في جبلة الحيوانات فضلا عن الإنسان العاقل وهي الفطرة المذكورة في القرآن والحديث ولكن أكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك في حالة السراء وإنما يردون إليه في الضراء قال تعالى : وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ [الإسراء : 67] (وحكي) أن رجلا أنكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب الاستدلال فلم يصغ إليه فقال هل ركبت السفينة قط ؟

قال نعم انكسرت بنامرة فطلعت على لوح إلى الساحل فانفلت مني اللوح حين طلعت إلى الساحل فقال له جعفر : لما ذهب عنك اللوح كنت ترجو السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الأسباب فسكت الرجل فقال له جعفر : الذي رجوع السلامة منه هو الله الذي خلقك فأسلم الرجل (فإن قيل) قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز فيه نهي عن الاستدلال العقلي أم لا ؟

(فالجواب) ليس في ذلك نهي عن الاستدلال العقلي وإنما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التي غفل عنها أصحاب السلامة من الأحداث والشبان . ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني أنه رأى

....

غريب يقدح في الشرع وجب على الإنسان أن يجرد النظر في ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع كالبرهمي الذي ينكر الشريعة فإنه لا يقبل الدليل الشرعي على إبطال هذا القول الذي انتحله فإن الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه وهو لا يثبته فليس له دواء إلا النظر العقلي فنداويه بقولنا : انظر بعقلك في المسألة . وقال فيه الذي أقول به وجوب الوضوء من أكل لحوم الإبل لكن تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه لم ينقض طهارة الآكل له فتصح صلاته بالوضوء المتقدم على الأكل وهو عالم أنه لم يتوضأ من لحوم الإبل وقال هذا القول ما أعلم أن أحدا قاله قبلي قال : وإن نوى في هذا الوضوء رفع المانع فهو أحوط قال : ودليل من قال : إن أكل لحوم

في كتاب " ديانات العرب " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين : كم لك من إله ؟ قال : عشرة ، قال فمن لغمك وكربك والأمر العظيم إذا نزل بك ودهاك فقال الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فمالك يا ابن حصين من إله إلا الله فأسلم . ومن هذا القبيل قوله تعالى : وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [الزخرف : 87] وقوله تعالى : فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ [غافر : 84] وأيضا فإن عامة الناس في جميع أقطار الأرض دعت أنفسهم إلى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم ولا ثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الأتراك والأكراد وأهل البوادي وأقاصي الهند والصين وأهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع إلى الإسلام ولا إلى الشرك فإنهم استغنوا بشهادة أنفسهم على الأعم الأغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المساعي ومفاجأة الفرج في حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط من السلامة وربما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبتخلصهم من أيدي الأعداء في مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالإله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ [إبراهيم : 10] ورأى أعرابي مرة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

برئت من الأصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شك غالب

وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم : المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون إلى الصانع جل وعلا وإن اختلفت طرائقهم وعللهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الأنبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وإنما أتونا ليدعونا إلى التوحيد قال تعالى : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ [محمد : 19] والخلق إنما أشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى أو لنفي واجب من صفاته أو لإثبات مستحيل منها أو لإنكارهم النبوات . ولما فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد شومنات الهند أتي إليه براهب قد طعن في السن وكان يهمهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقول فذكر أنه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وأنتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شيئا فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط إلى المركز متساوية وهذا مثاله على الهامش

....

الإبل ينقض الطهارة ما ورد أنها شياطين والشياطين بعداء عن الله تعالى والصلاة حال قربة ومناجاة فنقضوا الطهارة به.

(وقال فيه) : الذي أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فإنه صلى الله عليه وسلم قال : " ثمرة طيبة وماء طهور " أي قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لأن الله تعالى ما شرع لنا الطهارة عند فقد الماء إلا بالتيمم بالتراب خاصة وقال فيه : الأوجه عندي أن الخف إذا تخرق يمسح عليه ما دام ينطبق

"82"

فعلم أن الأنبياء لو جاءونا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله وإنما كان يقول فاعلم أن لك إلها وكذلك القول في قوله تعالى وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ [إبراهيم: 52] (فإن قيل) فلأي شيء سلك أهل الأصول طريق الاستدلال على هذا (فالجواب) إنما سلكوا ذلك قطعا للأطماع التي تشرئب إلى ذلك كالاستدلال بإمكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك وإلا فهم يعلمون أن ما شهدت به الفطرة أقرب إلى الخلق وأسرع تعقلا لأن الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى : أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ [النمل : 62] . أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [النمل : 64] .

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً [النمل : 61] إلى غيرها من الآيات التي كلها استفهامات تقرير كأنه تعالى يقرر على عباده شيئا فطرهم على ذلك الشيء ومثله قوله تعالى : أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ [الأعراف : 172] وقوله : أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ [إبراهيم : 10] ولهذا ورد مرفوعا أن الله تعالى خلق العباد على معرفته فاختالهم الشيطان عنها فما بعثت الرسل إلا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء وكان إمام الحرمين رحمه الله : يقول إذا سئل عن معرفة الذات : هذا أمر تاهت فيه العقول وإنما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تحييث ولا تمييز وليس إلا وجهه العزيز فإن الركون إلى معتقد محصل بمثل والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس إلى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى . قال الإمام أبو طاهر القزويني رحمه الله : فقول الإمام بلا تحييث إشارة إلى نفي المكان فلا يقال أنه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسي وقوله ولا تمييز أي لأن التمييز إنما يكون بين الجنسين أحدهما يمتاز عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها فلا تتمايز بشيء عن جنسها وإنما يتمايز الأشياء عنه تعالى بالحدوث . ومعنى قوله معتقد محصل أي محاط به ينتهي الفكر إليه بالإحاطة وفي الحديث مرفوعا " كلكم في ذات الله حمقى " والله تعالى أعلم . وذكر الأنصاري في نكث الأدلة أن القاضي أبا بكر الباقلاني أثبت لله تعالى أخص وصف لا سبيل لأحد من الخلق إلى إدراكه ثم قال : وقد أشار أبو إسحاق الأسفرايني إلى هذا المعنى . وقال إمام الحرمين : للعقل مزية فلا يبعد أن يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات إذ قال تعالى:

....

عليه اسم الخف وإن تفاحش خرقه قال : ولا نص في هذه المسألة صريحا في كتاب ولا في سنة وإذا تخرق الخف على قولنا هذا فظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه ومن الخف ما دام يسمى خفا.

(وقال فيه) : يستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها ، فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس . قال:

وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن المجاهد . وقال في المضمضة والاستنشاق

"83"

عِلْماً [طه : 114] انتهى . ولعله يعني المزية كمال قوة وثائق في النظر قال صلى الله عليه وسلم " أنا أعلمكم بالله تعالى وأخشاكم منه " وسيأتي في المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن إدراك الذات وما كلف الله العبد إلا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا إله إلا الله وبه عرف الإمام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين . وأما مقالات الصوفية

فهي واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لأن المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون إلا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه : اعلم أنه لا يصح وصف أحد بالعلم والمعرفة إلا إن كان يعرف الأشياء بذاته من غير أمر آخر زائد على ذاته وليس ذلك إلا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالأشياء إنما هو تقليد لأمر زائد على ذاته وإذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى في العلم به وإيضاح ما قلناه من أن العبد لا يعلم شيئا إلا بأمر زائد على ذاته أن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بقوة من قواه التي أعطاها الله تعالى له وهي الحواس والعقل فالإنسان لا بد أن يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الأمر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالأمور بالانفاق فما ثم إلا تقليد وإذا كان الأمر على ما قلناه فيجب على العاقل إذا طلب معرفة الله تعالى أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وهناك يعرف الأمور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب . فقد نبهتك يا أخي على أمر ما طرق سمعك أبدا فإن العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم صاروا علماء بالله تعالى بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم في مقام التقليد لقوتهم وما من قوة إلا ولها غلط قد علموه ومع هذا قد غالطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال إلا أخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد أن يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لأنك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس بمقلد في علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون إصابته بالاتفاق . فاشتغل يا أخي بما أمرك

....

في الغسل الذي أقول به إن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث أنه متوضىء في اغتساله لا من حيث إنه مغتسل فإنه ما بلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق في غسله إلا في وضوئه فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا في اختلافهم في وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندي راجع إلى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد في الاغتسال من الجنابة وأطال في ذلك وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفاس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الأول فإنه خارج في حال الصحة فلذلك شدد فيه قال : والعناية بدم

"84"

الله تعالى به وبالغ في فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى لجميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فإنك لن تصل إلى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فإن الحق تعالى قد أخبر عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية والأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الإيمان بها فالكامل من قلد ربه ولم يقلد عقله في تأويل الصفات فإن العقل قد أجمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول أنه من عند الله فما للعبد منازع منه يقدح فيما عنده . واصرف يا أخي علم حقيقة الصفات إلى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هي المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى.

فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت كشفا " من عرف نفسه عرف ربه " (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة : أن المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف به نفسه من كونه له ذات وصفات وما أعطاه من علمه ومن استخلافه في الأرض يولي ويعزل ويعفو وينتقم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون معناه أن يعرف نفسه بالافتقار في وجوده ويحتمل أن يكون المراد المعنيين معا لا بد من ذلك (فإن قلت) فلم زاد تعالى في قوله سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ [فصلت : 53] ذكر الآفاق ولم يكتف بأنفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) إنما زاد قوله في الآفاق تحذيرا للعبد أن يتخيل أنه بقي في الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فأحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيئا خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل إذ النفس جامعة لحقائق العالم كله . فانظر يا أخي كثرة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كيف اختصر الطريق إلى معرفة الله تعالى بقوله في الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من أمره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك إلى الله تعالى (فإن قلت) فهل يصح لأحد أن يعرف الله تعالى من كل طريق للخلق إليها سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الأكابر من أهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طرق المعتقدات الإسلامية إذ ما من شيء إلا والحق تعالى هو ممهده بسره القائم أو بوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذي يخاطب الحق تعالى من سره القائم بهياكل الخلق . وقد

....

النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك أن الله ما أمسكه بقدرته في الرحم ثم أرسله إلا ليزلق طريق الولد رفقا بأمه فكان خروج هذا الدم معينا على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص قال : واعلم أن ما تعود أحد الكذب على الناس إلا واستدرجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم أن الكذب لغرض صحيح شرعي لا يقدح في العدالة بل هو نص فيها وأغلب الكمل من الرجال قال : وأما امتناع حبيب العجمي من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصري ليقتله فكان خوفا من إطلاق اسم الكذب عليه فحبيب كان رجلا ساذجا ولكل مقام رجال وقال : والذي أقول فيه إنه لا يجوز لأحد أن يصدق فيما يضر الناس

"85"

نقل عن السيد سهل بن عبد الله أنه كان يقول لي منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يظنون أني أكلمهم (فإن قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عند هذا الكامل (فالجواب) نعم لأن علمه من علم الله فلا يخطئ لا في الأصول ولا في الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيي الدين رحمه الله . (فإن قلت) فهل التجلي الإلهي للقلوب دائم بوجود

المعارف أم يكون بقلب دون قلب وفي وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة : أن التجلي الإلهي لجميع القلوب الإسلامية دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف أنه هو فإن الله تعالى لما خلق العالم أسمعه كلامه في حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لأنه كان على أعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهي معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء للنور مع وجود الظلمة أصلا وكذلك العدم والوجود فلما أمر الحق الممكنات بالتكوين لإمكانها واستعداد قبولها سارعت لترى ما تم لأن في قوتها الرؤية كما في قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم فتح عينه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم أنه الذي أمره بالتكوين فأفاده التجلي علما بما رآه لا علما بأنه هو الذي أعطاه الوجود فلما انصبغ في النور التفت إلى اليسار فرأى العدم فتحققه فإذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث في الشخص إذا قابله النور فقال : ما هذا ؟ قال له النور من الجانب الأيمن هذا هو أنت ، فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فأنا النور وأنا مذهبه ونورك الذي أنت عليه إنما هو من حيث ما تواجهني من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست أنا ، فأنا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فإن نسبت إلى قبلتك وإن نسبت إلى العدم قبلك فأنت عين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر ، فإن أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن إمكانك وإذا أعرضت عن إمكانك جهلتني ولم تعرفني فإنه لا دليل لك على أني إلهك وربك وموجدك إلا إمكانك وهو شهودك ظلك فلا تنظر إلى نظر نفسك عن ظلك فتدعي أنك أنا فتقع في الجهل ولا تنظر إلى ظلك نظرا يغنيك عني فإنه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقت لك عينين إلا لتشهد لي بالواحدة وتشهد ظلك بالأخرى وأطال في ذلك . ثم قال : واعلم أن من أجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص في الوجود

....

إلا أن يكون له حال يحمي من غلبه ذلك الظالم وعلى ذلك يحمل حال حبيب العجمي والله أعلم.
(وقال فيه) : ينبغي لكل عالم أن لا يلقي علمه إلا في محل قابل لذلك العلم عطشان إليه فإن لم يجد من هو بهذه المثابة فليتربص حتى يجد لعلمه حاملا على هذا الوجه ويحتاج إلى صبر شديد وقال فيه : ينبغي أن يقيد قول من قال : لا تجب النية في التيمم بمن نشأ في الإسلام ، أما الكافر إذا أسلم فإنه لا بد له من نية قطعا لأنه لم يكن عنده شيء من القربة إلى

كما يشهد لذلك حضرات الأسماء الإلهية من أسماء الحنان والامتنان وأسماء القهر والانتقام فلو لا العاصي ما ظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك . فعلم أن من كمال الوجود وجود النقص النسبي فيه قال تعالى في كمال كل ما سوى الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ [طه : 50] فما نقصه شيئا أصلا حتى النقص أعطاه خلقه ووفاه إياه وقوله ثم هدى أي بين الأمور التي خرجت عن الكمال بلسان الأمر فتقرها على اسم النقص كما أقرها الحق تعالى فافهم (فإن قلت) فهل ظهرت النقائص في شيء غير الإنسان أم هي خاصة بالإنسان
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة أن النقص المعنوي لم يظهر في شيء من العالم كله إلا في الإنسان فقط وإن كان في الجن فهو معلوم غير ظاهر إلا للخواص وذلك لأن الإنسان مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط ، قال : واعلم أنه لما كان كمال الألوهية ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم للعقل سلب أحكام كثيرة عن الله جاء بها الشرع إذ الشرع قد أخبر عن الله بثبوت ما سلب العقل عنه وجاء بالأمرين معا وهذا هو الكمال الذي يليق به سبحانه وتعالى فحير تعالى العقول ولو أنه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ما خلق فإن القوى الحسية والخيالية بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفي وإثبات ووجوب وجواز وإحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شيء وخاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شيء منه . فتعالى عن إدراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوا له عينا فآثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد والإله منزه ومشبهه يعبد فهذا هو الكمال الإلهي وبقي الإنسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحمد وهو كما العالم فبالإنسان كمل العالم وما كمل الإنسان بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الإمام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع إلى العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان.
وقال الشيخ محيي الدين : والذي نقول به إن المعرفة ليس لها طريق إلا المعرفة بالنفس
....
الله قبل إسلامه بل كان يرى أن ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله عز وجل وقال فيه : الذي أقول به إن الطهارة بالتيمم ليست بدلا من الوضوء والغسل وإنما هي طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع ولم يرد لنا شرع أن التيمم بدلا فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة قال : وإنما قلنا : مشروعة لأنها ليست بطهارة لغوية فما هي بدل وإنما هي عبادة مشروعة مخصوصة مبينة لحال مخصوصة شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله ورسوله فهي ناشئة عن استخراج الحكم في تلك المسألة من نص ورد في الكتاب أو السنة يدخل الحكم في هذه المسألة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين

انتهى . والله تعالى أعلم . وسيأتي في هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقر به عينك إن شاء الله تعالى فإن غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى أعلم.
(خاتمة) : في بيان العارف بالله تعالى وصفاته . ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة أن العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى وإذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الأكوان يهابه كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فعل كثير الحياء في قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه : بطنه جائع ، وبدنه عار لا يأسف قط على شيء لكونه لا يرى غير الله طيارا أمد الدهر تبكي عينه ويضحك قلبه هو كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يجب وما لا يجب لا يقضي وطره قط من شيء وذلك ليدوم افتقاره إلى الله تعالى ذوقا شأنه الفقر والذل بين يدي الله يفتح له في فراشه كما يفتح له في صلاته وإن اختلفت الواردات بحسب المواطن وأطال في ذلك . ثم قال وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما بالحق في جمعيته ، نافذ الهمة ، مؤثرا في الوجود على الإطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله جهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة فيتميز هو خامل الذكر مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بإرادة الحق تعالى قبل ظهور المراد فيريد بإرادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريد ، شديد في لين يعلم مكارم الأخلاق من سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه يحسن إليه مع البراءة منه يشاهد لتسبيح المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها لا يظهر إلا لعارف مثله وأطال في ذلك ثم قال وقد اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة رباني ومقام العلم إلهي ، قال وبه أقول ووافقني على ذلك المحققون كسهيل بن عبد الله التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين وطائفة قالت مقام المعرفة إلهي ومقام العلم كذلك وبه أقول أيضا فإنهم إن أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي وعهدتنا قوله تعالى : وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ [المائدة : 83] فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال : يقولون ربنا آمنا ولم يقل

....

قال : ولا يحتاج فيها إلى قياس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر . وقال فيه : والذي أقول به : إنه لا يشترط الطلب للماء في صحة التيمم بل إذا فقده تيمم ، وقال جماعة : لا بد من الطلب وينبني ذلك على أن المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده في الأصول أو الفروع فمن قال : لا يشترط طلب الماء قال : لا يلزم المقلد البحث ، ومن قال يشترط طلب الماء قال:
يلزم المقلد أن يسأل المسؤول عن دليل ما أفتاه به من كتاب أو سنة وأطال في ذلك . وقال الذي أقول به : إن حديث الضربة الواحدة في التيمم أثبت من حديث الضربتين ، قلت : ذكر الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة ما نصه : اعلم أن من شرف الإنسان أن الله تعالى

يقولون إلهنا آمنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا المبحث أن طريق المعرفة بالله عند القوم إنما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر وتأمل قوله تعالى:
وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ [آل عمران : 30] كأنه تعالى يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله إلا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما أثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بأدلتكم العقلية فتحرمون الإيمان بها فتشقون شقاء الأبد ولذا اختلفت مقالات أهل النظر في الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر وما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه نهي شفقة ورحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا أخي على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته أو لم تفهمه فإنه تعالى أعلم بنفسه وأصدق في قوله والله تعالى أعلم.
المبحث الرابع : في وجوب اعتقاد أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها ليست معلومة في الدنيا لأحد
وقال كثير من المتكلمين إنها معلومة للناس في الدنيا لأن الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته قال الجلال المحلي وغيره . وأجيب بمنع التوقف على العلم به في الحقيقة وإنما يتوقف على العلم به بوجه وهو أنه تعالى يعلم بصفاته كما أجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال لموسى وما رب العالمين إلى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها . وقال بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيئا في هذه المسألة والتي قبلها.
وقال شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني : الصحيح أنه لا سبيل للعقول إلى علمها . قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعني في الدنيا إنما هو كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة كلام في الجواز العقلي انتهى هذا ما رأيته في هذه المسألة من كلام محققي المتكلمين.
....
جعل له التطهير بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر بذاته تشريفا له ولذلك أبقى النص على التطهير بالتراب دون غيره مما له اسم الأرض فإن كل شيء فارق الأرض لا يتطهر به إلا إن كان ترابا بخلاف التراب يتطهر به لو فارق الأرض فإن الله أبقى اسم الأرض عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك وأيضا فإن الله ما قال : إنه خلق الإنسان من حجر ولا زرنيخ وإنما قال : خلقه من تراب والله أعلم.
]الباب التاسع والستون في معرفة أسرار الصلاة وعمومها[
(وقال) في الباب التاسع والستين : اعلم أن الصلاة مشتقة من المصلى وهو الذي يلي

"89"

وأما كلام محققي الصوفية من أهل الكشف فتجلى عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك اللبس إن شاء الله تعالى وتعرف أن القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لا سيما الشيخ محيي الدين رحمه الله إذا علمت ذلك فأقول : اعلم أن الخلق ما خبطوا خبط عشواء في آيات الصفات وكثرة اختلافهم فيها إلا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وإلا فلو شهدوا ذلك لم يقفوا في شيء من آيات الصفات وأخبارها ولم يحتج أحد منهم إلى تأويل ولم يخف قط من لحوق نقص في الجناب الإلهي كالقول بالجهة والتجسيم مثلا . وأيضا ذلك أن تنظر يا أخي إلى صفات الخلق كلها وتنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شأن الخلق الجهل من ذواتهم فليس الحق تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شيء ومن شأن الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن إنفاذ وقوع شيء مما أراده بل هو قادر ومن شأن الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه أبدا لا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي إيضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلاثمائة ما نصه : اعلم أنه لا يجوز لأحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما ، كما وقع فيه فرعون فأخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى عن جواب سؤاله على المطابقة لأن السؤال إذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد سؤاله لتخيله أن سؤاله متوجه وما علم فرعون أن ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وإنما تدخل تحت مطلب هل وهو سؤال عن وجود المسؤول عنه هل هو متحقق أم لا ولما علم فرعون ما وقع منه من الجهل قال إشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الإصغاء لمقالة موسى خوفا أن يتبعوه .

<u>وقال في الباب الأول من " الفتوحات "</u> : اعلم أن الحق منزه عن أن يحيط به خلق أو يعرفه أحد لا يحسب ما وقع به التجلي له لا غير ألا ترى أنه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير العلامة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لربهم فيقرون له

....

السابق في الحلبة والسابق هنا التوحيد ، والمصلي الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت " ، ولما علم الصحابة ما يدخل الواو من الاحتمال وأن الشارع راعى الترتيب أنكروا على من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له : قل صوم رمضان والحج إشارة إلى أن الشارع أراد الترتيب في القواعد والصلاة ثانية في القواعد قال : وإنما جعل الزكاة تلي الصلاة لأن الزكاة تطهر قال تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) [الشمس : 9] أي طهرها بالطاعات يعني النفس قال : ولما كانت الصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة إلى

"90"

بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى إلا بالعلامة ومن قال منهم إنه عبده تعالى عينا فقوله زور ، وكيف يدعي ذلك وعندما تجلى له أنكره فما عبده تعالى عينا إلا الأنبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ [هود : 123] أي عينا فافهم . (فإن قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع أن العلم هو الذي يكشف عن

حقائق الأمور (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني من " الفتوحات " أنه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله أن يريد القوم ذلك ، وإنما مرادهم أن أحدا لا يعلم الحق تعالى إلا بواسطة العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا أنت فما علم الحق تعالى حقيقة إلا علمك لا أنت وعلمك دائما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت في العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلي الحق لك حتى تدركه لأن كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين أبدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم . فعلم أنه ليس مشهود كل أحد من الحق إلا علمه فإياك إن جريت على أسلوب الحقائق أن تقول إنك علمت العلوم فإنك ما علمت إلا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذي هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها فإن سر التعلق بينهم مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الإشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحسن بها أنها على عين بصيرته إلا الأنبياء وكمل ورثتهم من الأولياء لدقتها وغموضها وإذا كانت عسرة المدارك فأحرى من خلقها .

(فإن قلت) قد ثبت عندنا وتقرر أن العلم بأمر ما لا يكون إلا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون به بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر أنه لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى

(فالجواب) كما قاله الشيخ أيضا في الباب الثاني من " الفتوحات " أن المراد بمعرفتنا له بالآثار وأما الذات فلا تعلم أبدا بعلم سابق وإنما تعلم من طريق الكشف لبعض المختصين علما لا يصح التعبير عنه أبدا (فإن قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب في مسألة العلم الإلهي من أنه عين أو غير (فالجواب) لا يصح هذا الاستدلال لأن الحق تعالى مباين لخلقه في سائر شؤونه فلا يصح قياسه على خلقه وأصل دخول الشبه على هذا المستدل أنه لما رأى الإنسان يسلب علمه وذاته كاملة لم تنقص قال : علم الله غير ذاته ثم من العجب أنه يقدسه بعد ذلك مع أنه قد حمله على

....

جانبها لكونها طهارة للأموال التي يكون بها جل قوتهم وملبسهم وجعل الصوم يلي الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم أقرب نسبة إلى الزكاة جعل إلى جانبها فلم يبق للحج مرتبة إلا المرتبة الخامسة فكان فيها .

(قلت) : وسيأتي في الكلام على صلاة الجنازة تفسير قوله تعالى : إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت: 45] فراجعه.

(وقال) : من شأن العارف أن يعبد ربه من حيث أولية ربه في خلقه المخلوقات لا من

حال نفسه وقاسه عليها (فإن قلت) فهل يصح لأحد معرفة ربه من حيث الدليل العقلي (فالجواب) لا يصح لأحد ذلك لأن من المعلوم أن العقل لا يدرك كنهه تعالى من حيث ما هو ناظر وباحث أبدا لأن برهانه الذي يستند إليه الحس أو الضرورة أو التجربة ، والحق تعالى غير مدرك بهذه الأصول بإجماع المحققين ولو أن هذا الناظر والباحث نظر بعقله إلى المفعولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم أن الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلي وإنما غاية علم العقل أن يعلم أنه تعالى موجود وأن العلم كله مفتقر إليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة انتهى ، (فإن قلت) فما الحكمة في تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة : أن الحق تعالى إنما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك أن القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها لتعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول ، والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شيء . وخاطب أيضا العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بأيدينا منه تعالى شيء كما تقدم وتعالى الله عن إدراك العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة في وصف كما له فما علمه سواه ولا شاهد غيره ولا أحاط أحد به علما وقد تقدم هذا أيضا في مبحث التوحيد انتهى . (فإن قلت) فهل إطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح في بعض الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث من " الفتوحات " لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وإن وقع في مثل ذلك أبو حامد الغزالي فهو بضرب من التكلف وبمرمى بعيد من الحقائق فأي نسبة بين المحدث والقديم وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال . قال وما طلب الحق تعالى منا إلا العلم بوجوده وألوهيته لا غير وأما الحقيقة فلا وإذا كان المبدع الأول لا مناسبة بينه وبين ربه فكيف تصح مناسبة من بينه وبين ربه وسائط لا تحصى انتهى.

(فإن قيل) فعلى ما قدرتموه لا يصح لأحد مراقبة ذات الحق تعالى أبدا وقد أمرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائة من

....

حيث أوليته هو عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الأسباب ، فهذه هي الصلاة لأول الوقت فإذا عبده العارف في تلك الأولية المنزهة عن أن يتقدمها أولية شيء انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على كل عبادة مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات بين لي حين وجوده ومن جمع هذا وبين الصلاة لأول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين وقال فيه : إنما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المغرب وتر صلاة النهار قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل فإنه قال إن الله قد زادكم صلاة إلى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها أبو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه رضي الله عنه لأنه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة

" الفتوحات " إننا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وإنما المراقبة حقيقة للمثل التي تنزل الحق تعالى للعقول تقريبا لها لنقف على مركزه ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى أنه ليس كمثله شيء ارتفعت الأمثال والأشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم أمر الإله المنزه عن الأمثال ولم ينضبط بل جهل الأمر وهناك يعني عند ارتفاع الأمثال يعلمون أن الحق تعالى لم يكن معلوما لهم في وقت ذلك الاعتقاد وأن علمهم به تعالى إنما هو من حيث نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة في الأعيان لا غير وإذا كان الأمر كذلك فلا كيف ولا أين ولا مثل ولا وضع ولا إضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار وما ثم إلا فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحدده زمان ولا من تعدده صفات وأحكام ولا من يكيفه أحوال ولا من يميزه أوضاع ولا من تظهره إضافة فكيف تصح مراقبة من لا يقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع حكم الخيال والحادث لا يتعلق إلا بالمناسب وهو ما عندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عثرت إلا على صورة اعتقادك . قال : ولهذا اختلفت المقالات في تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ما هو كذا وإنما هو كذا وما منهم من أحد أحاط به علما فالكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل منه مقصوده وذلك لأنه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال في ذلك ثم قال : فأذن لم يعرف أحد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه أبدا والسلام.

فإن قلت : فعلى ما قدرتموه جميع الأمور المعلومة معلولة والكيفية في حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الأسرار نعم لا يخلو علم الخلائق من العلل أبدا فإن الحق تعالى هو المنفرد في علمه بعدم العلل فأصل الأبد من الأزل وقد خلت المثلاث بأهل التفكر والمحدثات إذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك بالدليل فليس إلى معرفة كنه ذاته من سبيل وقد دعانا إلى معرفته وما دعانا إلا لصفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم في العقل إلا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الأول انتهى . وقال في باب الأسرار أيضا لا تعلم الذات إلا مقيدة وإن أطلقت هكذا عرفت الأشباه وحققت ، فالإطلاق تقييد في حق السادات والعبيد.

....

النافلة بل قال : " زادكم صلاة إلى صلاتكم " يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين ولينفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى : وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ [الذاريات : 49] فافهم . وقال فيه:

رأيت قولا غريبا لا أدري من قاله ولا أين رأيته أن وقت صلاة العشاء ما لم تتم ولو سهرت إلى وقت الفجر وقال فيه : ما عرفت مستند من كره قول المؤذن حي على خير العمل فإنه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الآذان بل اقتدى إن صح هذا الخبر وأطال في ذلك.

وقال فيه أيضا الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا هي للدليل مدلولة فإن من شأن وجه الدليل أن يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى.
وقال فيه أيضا : اعلم أن التنزيه وإن جلت مراقيه فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث أنه لا بد له من مقابل والتشبيه يرجع إلى تثنية المشبه وإذا كان التنزيه يرجع إلى التشبيه فأين المعرفة بالله تعالى فإذن التنزيه إنما سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى . وقال فيه أيضا لا يصح الأنس بالله تعالى لأحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الأنس بالله تعالى من الخلق فإنما أنس بنور أعماله الصالحة وإيضاح ذلك أن الأنس لا يكون إلا بالمشاكل والمشاكل ممائل والممائل ضد والضدية بعد . وقال الشيخ في كتاب العبادلة تنتهي همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم في المعرفة فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى.
وقال أيضا في شرحه لترجمان الأشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب العزة الأحدي فعند هذا الحجاب تنتهي علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لأحد أن يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الأحباب . وقال سيدي علي بن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى أن تدخل تحت إحاطة علم أو إدراك انتهى ، (فإن قلت) إذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم فلان من العلماء بالله تعالى ، (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس من " الفتوحات " أن مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لأن ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حدّ ومعرفتنا به سبحانه وتعالى إنما هي علمنا بأنه ليس كمثله شيء وأما الماهية فلا يمكن لنا علمها قطعا انتهى . (فإن قيل) من قول بعضهم إن معرفة الحق لا تكمل إلا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه أن التشبيه موجود حقيقة (فالجواب) أن الذي نعتقده أن التشبيه لا وجود له حقيقة وإنما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهود هو كثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينا أن الحق تعالى لا يلحقه قط تشبيه بخلقه في جميع الصفات التي تنزل فيها لعقول عباده وتأمل يا أخي : السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فإذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الأول وقس على ذلك أيضا سماع كلام الله تعالى بصوت وحرف

....
(وقال فيه) : مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظه الناس وهو من أجل ما يأكله وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الأجرة فإنه ما من نبي دعا الله إلا قال : إِنْ أَجرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ [هود : 29] فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوقين وأطال في ذلك . وسيأتي أيضا في الباب السابع عشر وأربعمائة فراجعه.
وقال فيه : مذهبي أن الأذان قبل الفجر ليس بأذان حقيقة وإنما هو ذكر الله عز وجل بصورة الأذان تحريضا للناس على الانتباه لذكر الله تعالى فإذا طلع الفجر فهناك الأذان المشروع إعلاما بدخول

ورؤيته في التجلي الأخروي في صور مختلفة فإن ذلك إنما هو تنزل العقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى في غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلونه تعالى إلا في صورة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : جميع ما منا إليك لا يكيف وجميع ما منك إليه يكيف انتهى .

(فإن قيل) فما وجه قول من منع أن الذات تعلم الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر من " الفتوحات " إن وجهه أن الكون لا تعلق له إلا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعل أن الذات غنى عن العالم لا تعلق له بأحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى .

(فإن قلت) فإذن ليس للفكر حكم ولا مجال في ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكير في ذات الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه أي أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كلكم حمقى في ذات الله أي فلا تصلوا إلى التحقق بمعرفتها

(فإن قلت) ما سبب المنع من التفكر في ذات الله (فالجواب) أن سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا أنف أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم لأنه حال لا يعطى الحفظ فلا يدري أيصيب صاحبه أم يخطئ . وقال في الباب الخامس والأربعين ومائة : إنما منعوا التفكر لأنه لا يتعدى أحد أمرين إما الجولان في المخلوقات وإما الجولان في الإله وأعلى درجات جولانه في المخلوقات أن يتخذها دليلا ومعلوم أن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول في حد عند الناظر أبدا وأما جولانه في الإله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الأدب ما لا يخفى لأنه طلب الحق لغيره أي ليدله على الكائنات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فإنه لا شيء أدل على الشيء من نفسه (فإن قيل) فهل يتعدى علم أحد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره أو هل يصح اجتماع اثنين في العلم بالله على حكم التساوي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائتين : إن علم كل إنسان بالله تعالى إنما هو على قدر نظره وما هو عليه في نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد في الله تعالى من جميع الجهات أبدا كما أنه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد في الاثنين عن وجود ما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد ولو لم

....

وقت الصلاة ، قال : ولهذا ابتدع السلف الصالح للمؤذنين الدعاء والتذكير بآيات القرآن والمواعظ وإنشاد الشعر الحاث على قيام الليل وعلى الزهد في الدنيا ليعلموا الناس أن الأذان الأول ما كان إلا لغرض الإيقاظ للقائمين لا لدخول الوقت . وقال فيه : معنى قول المؤذن قد قامت الصلاة إنما قال : قامت بلفظ الماضي مع أن الصلاة بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة أو كان في الطريق آتيا إليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن

يكن الأمر كذلك لم يصح أن يكونا اثنين انتهى.
وقال في الباب السادس والسبعين ومائة : قد جاء النهي عن التفكر في ذات الله فزل العقل في ذلك وتعدى وظلم نفسه وما أمرنا الله تعالى قط أن نعلم كيف ذاته وإنما أمرنا أن نعلم أنه إله واحد لا إله إلا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل سبح بنظره وفكره إلى ما لا حاجة له به حتى أنه وقع في ذلك جماعة انتموا إلى أهل الله كأبي حامد وغيره انتهى . وقال في الباب الثامن ومائتين أجهل الطوائف من طلب أن يعلم الله كما يعلم الله نفسه (فإن قلت) فأيما أولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين أن خطاب العبد ربه بضمير الغائب أشرف وأعلى في التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو اللهم إني أسألك لأن الحقائق تعطي أنك ما حضرت إلا مع ما عرفته أنت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك وإذا كان الأكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم . وقال في الباب الثاني والسبعين من " الفتوحات " : اعلم أن خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحديد وخطابه بضمير الغائب تمييز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثاني أقوى في التنزيه وقال في الباب التاسع والأربعين ومائة كما لا يجتمع الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع أنت وربك في حد ولا حقيقة فإنه الخالق وأنت المخلوق .
وقال الشيخ أيضا في باب الأسرار : اعلم أن كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فإياك أن تقف مع الحق مع كونه دليلا على نفسه فإنك إن وقفت معه على هذا الحد حرمته لأن الدليل والمدلول لا يجتمعان قط في حد . وقال فيه أيضا : لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فإن ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك يستوي البصير والأعمى .
وقال فيه أيضا لو كانت العلة في الأزل لكان المعلول لم يزل فإياك من ظهور الشبه في صور الأدلة فإنها مضلة فما عرفه تعالى سواه . وقال فيه أيضا : اعلم أن البراهين لا تخطىء فإنها قوية السلطان وإنما الخطأ راجع إلى المبرهن وإذا كان المدلول لا يعرف إلا بالدليل فليس ، إلى العلم به تعالى سبيل فإن من علمت به معلوما وجهلته فما علمته لأنك ما علمت به . وقال فيه أيضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك لا يصح ولا يوجد في العين.

....
قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بأن الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها إن كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي ليحقق الحصول ، فإذا حصلت بالفعل أيضا فله أجر الحصول كذلك ، وقد ورد أن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة .
(قلت) : وقد ذكر الشيخ أيضا في أواخر كتاب الحج في الكلام على نحر البدن قائمة إنما قال صلى الله عليه وسلم : " قد قامت " بلفظ الماضي قبل قيام العبد لها تنبيها على قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد إلى الصلاة فيقوم بقيامه نشأتها كما قال تعالى : هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ [الأحزاب : 43] قال : فالقيام معتبر في سائر العبادات كالوقوف بعرفة ورمي الجمار وغير ذلك والله أعلم.

وقال في " شرحه لترجمان الأشواق " : اعلم أن كل عقل له عقل مثله وليس للحق تعالى حق مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه . وقال في باب الوصايا من " الفتوحات " إياك أن تدعي معرفة ذات خالقك فإنك في المرتبة الثانية من الوجود وأما في حال فنائك فما عرفه تعالى هناك إلا هو فجل معنى التوحيد عن الذوق انتهى .
(فإن قيل) فما سبب وقوع الحيرة في الله تعالى
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخمسين من " الفتوحات " إن سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته بأحد الطريقين إما بطريق الأدلة العقلية وإما بطريق المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ إليها وما صرح وقد منع الدليل العقل من إدراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التي هو عليها تعالى في ذاته فلم يدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب وقد سمى القوم ذلك معرفة .
(فإن قلت) فإذن كلما زادت حيرة العبد ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن ضبط ما يدركه
(فالجواب) نعم ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم لإدراكهم التجليات مع الآيات فلا يستقر لهم في معرفته قدم يستقرون عليه وقد قال في باب الأسرار لا يعقل الحق تعالى قط إلّا إلها غير معقول ولا يمكن قط في العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فإذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هي فأشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التي بين نفسك وبدنها فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التي بين الله تعالى وبين العالم . قال:
وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهية لأنها لا تعقل نفسها قط إلا في مركب انتهى . وعبارة الشيخ في " شرح ترجمان الأشواق " اعلم أن اللطيفة الإنسانية لا توجد دنيا ولا أخرى إلا وهي مدبرة فمركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهي عرية من مركبها من غير علاقة أبدا قال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الأمر عليه فعلم أنها لا تتصل أبد الآباد بالمنزه البسيط الأعلى لأن تدبيرها لمركبها وصف لازم فلا تتفرع لغيره انتهى.
وقال في باب الأسرار : قد تكون المعرفة بالشيء هي العجز عن المعرفة به فيعرف العارف أن هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشيء إلا أن يتميز عن غيره فقد ميز وتمييز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى . وقال في كتاب " لواقح الأنوار"
....
(وقال فيه) : لولا أن الإجماع سبقني لم أقل أن التوجه إلى الكعبة شرط في صحة الصلاة لأن قوله تعالى : فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة : 115] نزلت بعد قوله : وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [البقرة : 144] فهي آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الإجماع على هذا ، وجاء قوله : فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة : 115] محكما في الحائر الذي جهل القبلة فيصلي حيث يغلب على ظنا باجتهاده بلا خلاف انتهى . فليتأمل ويحرر والله أعلم.
(وقال فيه) : ما معناه : اعلم أن قبلتك في الصلاة إنما هو ما استقبلت من الكعبة ولا

من سلك إلى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده غيره . وقال في باب الأسرار : حقيق على الخلق أن لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وإنما يعبدون ما يعتقدونه من صفات الحق دليلي في ذلك الله أكبر حتى عند تحوله يوم القيامة في الصور . وقال فيه أيضا : إذا لمح القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن إكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام أن الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يحجبنك حديث أنزلوا الناس منازلهم لأنا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة (فإن قلت) فإذن عظمة الحق تعالى إنما هي راجعة لما يقوم في قلب العبد من شدة التعظيم أو قلته وليست راجعة لذات الحق في نفسها لإدراك العبد الزيادة والنقص في علمه بالله تعالى (فالجواب) هو كما تقول . فقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من " الفتوحات " اعلم أن العظمة الإلهية ليست راجعة لذات الحق تعالى وإنما هي راجعة إلى مقام العبد ومشاهدته إذ لو كانت العظمة صفة للذات الإلهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية أو معنوية ومعلوم أن قيام صفات المعاني بذاته تعالى محال كما يستحيل أن تكون العظمة صفة نفسه وذلك من أجل ما ورد من إنكار بعض الخلق بعض التجليات في الآخرة مع كونه هو هو وإذا بطل الوجهان فلم يبق إلا أن تكون العظمة صفة للعبد ولذلك إذا خرج ملك متنكرا في غير هيئته المعروفة ومشى في شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم في قلب أحد ولو أن العظمة كانت صفة له لعظمه كل من يراه في حال تنكره انتهى . وقال في هذا الباب أيضا:

احذر أن تقول إن الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه أخبار الصفات فإن ذلك سوء أدب فما في صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وإنما الأدب أن تضيف إليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن أولها أوردها فقد أخطأ طريق الصواب فإن في التأويل فوات كمال مقام الإيمان لا فوات أصل الإيمان إذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة في جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى.

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تؤول أخبار الصفات فإن في ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الإيمان بعين ما أنزل الله قال تعالى : آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ [البقرة : 285] وهذا المؤول ما آمن حقيقة إلا بما أوله بعقله ففاته

....

يضرك استدبارها في غير جهة وجهك إذا صليت داخلها فإن الشارع لم يتعرض للاستدبار إنما تعرض للاستقبال فقط فإنا إنما نحن مع الحق على حكم ما نطق فلا يقتضي الأمر بالشيء النهي عن ضده في كل المواضع فإذا لم تعمل بما أمرك به فقد عصيت أمره ، ولو كان الآمر بالشيء منهيا عن ضده لكان على الإنسان خطيئتان أو خطايا كثيرة بقدر ما لذلك المأمور من الأضداد وهذا لا قائل به فلا يؤاخذ الإنسان إلا بترك ما أمره به الحق لا غير فهو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى إلا مثلها انتهى . وهو كلام نفيس في نفسه وإن رجح جماعة من أهل الأصول خلافه فليتأمل ويحرر والله أعلم.

الإيمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل انتهى . (فإن قيل) فما أعلى معارف الأولياء وهل يدرك أحد كيف الحق إذا تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ . في الباب السادس والسبعين ومائتين أن أعلى المعارف للأولياء أن يعرف أحدهم التجليات الإلهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير وأما كيف تجلّى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وذلك لأن الذات مجهولة في الأصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا مدرك لأحد من خلق الله تعالى

(فإن قلت) فمن هم أهل الإنكار في التجليات الأخروية

(فالجواب) هم ثلاثة أقسام كل قسم ينكر ما فوقه لأنه ماثم إلا أربعة أقسام إسلام وإيمان وإحسان وإيقان فإذا تجلى الحق تعالى لأهل مقام الإسلام أنكره الكفار جملة وإذا تجلى لأهل مقام الإيمان فربما أنكره بعض أهل الإسلام وإذا تجلى الحق تعالى لأهل مقام الإحسان فربما أنكره بعض أهل مقام الإيمان وإذا تجلى لأهل مقام الإيقان فربما أنكره بعض أهل مقام الإحسان .

وقد قال الشيخ في الباب الستين وأربعمائة : إن كل من لم يذق شيئا في هذه الدار أنكره في الآخرة فصاحب مقام الإيقان لا ينكره تعالى في تجل من التجليات كالأنبياء وكمل ورثتهم لأنهم جاوزوا مقام الإسلام والإيمان والإحسان إلى مقام الإيقان فإن قيل هل في منع التجلي الذاتي في غير مظهرة خلاف بين المحققين فالجواب كما قاله الشيخ في الباب التاسع والسبعين ومائتين أنه لا خلاف في منع التجلي الذاتي في غير مظهره عندنا وعند أهل الحقائق ثم أنشد:

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الأرواح شيء سوى القرص
وليس تنال الذات في غير مظهر * ولو هلك الإنسان من شدة الحرص
ولا ريب في قول الذي قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

(فإن قيل) فإذا قلتم بمنع وقوع التجلي الذاتي فبماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى ؟

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين ومائتين إن الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص إذ لو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم أنه علم ذات الحق من رؤيته له فلا بد أن ينكشف له جهله في

....

(وقال فيه) : إنما أمرت المرأة بتغطية رأسها في الصلاة لأن الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور في العالم برياستها والمرأة مظهر النفس في الاعتبار فأمرت النفس أن تغطي وجه رياستها في الصلاة بين يدي ربها إظهارا لذلّها وانكسارها على أن مذهبي أن عورة المرأة هي السوأتان فقط قال الله تعالى : وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ [الأعراف : 22] فسوى بين آدم وحواء في الستر للسوأتين ، فليس المراد بالستر في الصلاة من حيث كونها كلها عورة وإنما ذلك حكم شرعي ورد بالتستر ، ثم لا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة ا ه ، فليتأمل ويحرر.

وقال : مذهبي أن عورة المرأة هي السوأتان فقط . قال الله تعالى : وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ

الدار الآخرة فيعلم يقينا أن الأمر على خلاف ما كان يعتقده في دار الدنيا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون انتهى .
(فإن قيل) فهل التجلي في صور المعتقدات والمعقولات واقع أو هو ممنوع كالتجلي الذاتي
(فالجواب) أنه واقع وذلك لأن صور المعتقدات والمعقولات إنما هي جسور يعبر عليها بالعلم أي يعلم أن وراء هذه المظاهر أمرا لا يصح أن يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذي لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا . انتهى كلام الشيخ في الباب التاسع والتسعين ومائتين
(فإن قلت) فإذن من خاض في الذات بفكره فهو عاص لله ورسوله
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والعشرين وثلاثمائة : نعم هو عاص لله ورسوله وما أمر الله تعالى بالخوض في معرفة ذاته لا النافي ولا المثبت وذاك لأن العبد إذا عجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب أولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هي داخلة فيه أو خارجة عنه أو لا داخلة ولا خارجة وهل الزائد الذي يتحرك به هذا الجسم الحيواني ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لماذا يرجع هل لواحد أو كثيرين وهل يرجع إلى جوهر أو عرض أو جسم ويطالبه بالأدلة العقلية فضلا عن الشرعية ما وجد لذلك دليلا عقليا أبدا ولا عرف أن للأرواح بقاء ووجودا بعد الموت أبدا انتهى .
(فإن قيل) فإذن عبادة الناس كلهم لله تعالى إنما هي على الحسن والسماع إلا من شاء الله لعدم رؤيتهم له في هذه الدار
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والعشرين وثلاثمائة إنه لا سبيل إلى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلا بد من تعلق العبادة بما هو مشهود أو كالمشهود كما أشار إليه خبرا " اعبد الله كأنك تراه " ويكفينا هذا التعلق من فضل الله وكرمه وإلا فلو آخذ الله أصحاب العقائد من طريق فكرهم لأهلكهم فإن كل صاحب عقل قد قيد أوصاف ربه في معرفته هو من طريق عقله ونظره وحضرة ربه في كذا دون كذا ولا ينبغي أن ينسب لله تعالى إلا الإطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق في هذا التقييد وعفا عنهم إذ قد بذلوا وسعهم في طريق معرفته ولولا أن الحق تعالى عند كل معتقد إسلامي لكان العبد يعبد عدما من حيث إن الحق تعالى إذا وجد محصورا عند عبد لزم أن يكون مفقودا عند العبد الآخر . فعلم أن من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لأمر يعجز عنه . وبرهان ما قلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف المقالات

....
الْجَنَّةِ [الأعراف : 22] فسوى بين آدم وحواء في ستر العورتين وهما السوأتان فالمرأة وإن أمرت بالتستر في الصلاة وغيرها فليس هو من كونها عورة وإنما ذلك حكم شرعي رد بالتستر ولا يلزم من الأمر بالتستر لشيء أن يكون ذلك عورة انتهى . فليتأمل ويحرر.
(وقال) : معنى قول المصلي : الله أكبر بلسان الظاهر : الله أكبر أن يقيد ربي حال من الأحوال بل هو تعالى في كل الأحوال أكبر قال : وإنما سميت إحراما أي تكبيرة منع إشارة إلى أنه تعالى لا يشاركه في مثل هذه الكبرياء كون من الأكوان وأطال في ذلك وقال في قوله صلى الله عليه وسلم:

فيه تعالى من كل من جاء من عند الله ورسوله وولي ملهم . قال ولو أن العاقل فهم معنى قوله تعالى : وَلَمْ يُولَدْ [الإخلاص : 3] لعلم أن جميع ما أنتجه العقل من فكره بترتيب مقدمته في معرفة الله تعالى بمولود وقد نفى الحق تعالى عن نفسه كونه يولد فأين إيمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله ، فإن كان مؤمنا كان ذلك طعنا في إيمانه وإن لم يكن مؤمنا فيكفيه أنه ليس بمؤمن انتهى.

وكذلك قال في باب الأسرار : إنما نفى الحق تعالى كونه لم يولد ليشمل ما ولدته العقول في حقه تعالى من المعارف فإن ولادة العقول إنما هي عن نكاح سفاح بخلاف ولاة النصوص الشرعية انتهى . (فإن قلت) فعلى ما قررتموه لا يسلم لأحد من أهل النظر الفكري معرفته بل لا بد في طريق معرفته من حصول أوهام وخيالات

(فالجواب) نعم ذلك أمر لازم له وذلك أنه لا يشهد الحق إلا منعزلا عن العالم ببعد اقتضاه له تنزيهه فيحمل هذا نفسه في جانب والحق تعالى في جانب إذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادي ربه بالتائه المشعر بالبعد مع أنه ماثم بعد في نفس الأمر إلا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلاثمائة ، وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة : اعلم أن الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكري أبدا وليس عندنا ذنب أكبر من ذنب الخائضين في ذات الله بفكرهم فإنهم قد أتوا بأقصى درجات الجهل ثم إنهم لما أعطاهم الفكر خلاف ما جاءت به الرسل احتاجوا إلى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على إعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو أنهم لزموا الأدب ووقفوا على حد ما ورد من أخبار الصفات ووكلوا علم كيفية ذلك إلى الله تعالى ولم يتأولوا إلا أعطاهم الله الفهم في ذلك بإعلام آخر ينزله في قلوبهم فتكون المسألة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى بإعلامهم لا بنظرهم انتهى .

(فإن قلت) فهل تزول الحيرة من أحد في جانب الله تعالى إذا بلغ مراتب الكمال (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلاثمائة أن الحيرة تزول من قلب العبد إذا تجلى الحق تعالى له في غير مادة وحينئذ يسكن قلبه من الاضطراب وتزول عنه الحيرة ويعلم عند ذلك من الله ما لم يكن يعلم قبل ذلك التجلي لكن لا يقدر أحد على تعيين ما قد تجلى له من الحق إلا كونه تجلى له في غير مادة لا غير (فإن قيل) فما سبب عجز العبد عن تعيين ما تجلى له من الحق (فالجواب) أن سبب ذلك

....

اللّهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وقد ثبت أنه كان يقول ذلك بين تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة إنما لم يقل فيه كما باعدت بين السواد والبياض لأن اللونية تجمع بينهما فذلك ذكر المشرق والمغرب اللذين هما ضدان لا يجتمعان أبدا.

(قال) : والسبب في ذلك أن الحق إذا دعا العبد إلى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه ، وإذا أشهده خطاياه في مواطن القرب وهي في محل العبد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد على طلب الحق منه من القرب فلذلك أمر أن يدعو الله قبل الشروع في المناجاة أن يحول

كون الحق تعالى ما تجلى قط لعبد بعين ما تجلى به لعبد آخر أبدا فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم إن العارف إذا رجع من هذا المقام إلى عالم نفسه الذي هو عالم المواد صحبه تجلى الحق تعالى فما من حضرة فيدخلها من جميع الحضرات إلا ويرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لأن العارف قد ضبط منه أولا ما ضبط فلا يجهله بعد ذلك أبدا لأنه تعالى ما تجلى لقلب عبد في شيء من المعارف وانحجب عنه بعد ذلك وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك . ثم قال : وفي هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على إمكان ذلك من نفسه والله تعالى أعلم . وقد قدمنا في هذا المبحث أن علم كيفية تجلي الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب . ويؤيده قول الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة أن للحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما شاهده البصر وحكم به عليه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى.
وقال الشيخ عبد الجبار النفري في " المواقف " : أوقفني الحق تعالى وقال لي وعزتي وجلالي ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه . وقال أيضا : أوقفني الحق تعالى وقال لي اعلم أن حجابي الجهل بي فهو دائما أمام حضرتي فلا معلوم لخلقي إلا بجهلهم بي لعدم إحاطتهم بي . وقال أيضا : أوقفني الحق وقال لي اعلم أني لا أظهر لعبد إلا بعد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه ويدخل حضرة الجبروت فإذا دخل فهناك يشهد المعرفة أصناما والعلوم أزلاما . وقال أيضا : قال لي الحق لي معرفة لا جهل فيها لا تقع وجهل لا معرفة فيه لا يبدو ، وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب إلى كل شيء من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادي من التعرفات لا يحتمل تعرفي الذي لا يبدو فإني لا أنا التعرف ولا أنا العلم ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم وليس القرب الذي عرفه عبادي هو القرب الذي أعرفه أنا فلا قربي عرفوا ولا بعدي عرفوا ولا وصفي كما يليق بجلالي عرفوا فأنا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون قربي وبعدي . وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي إن أردت أن أتعرف لك فارم علمك بي من وراء ظهرك لا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واسأله عني تجد الكون جاهلا بي واسأل الجهل عني نجده جاهلا بي فإني أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدي لي مع غيري لا يصح فإن أردت أن أتعرف لك فلا تجعل

....
بينه وبين مشاهدة خطاياه أن تعرض له في قلبه في هذا الموطن بتخيل أو تذكر فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أخفاه وأدته حيث تأدب مع الله أن يبعده من خطاياه ولم يطلب إسقاطها عنه لئلا يكون في ذلك الموطن ساعيا في حظ نفسه وأطال في ذلك بكلام نفيس.
(وقال فيه) : إنما كان لا يجب أن يوافق المأموم إمامه في النية لأن النية أمر غيبي والائتمام لا يكون إلا فيما يشاهد من الأفعال ولذلك فصل الشارع ما أجمله في الائتمام فذكر الأفعال بقوله فإذا كبر فكبروا الخ . وما ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الإمام إلا في الصلاة

الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا في علمك ولا في وجدك ولا في ذكرك ولا في فكرك وانظر من قبل الكون فهناك مقامك فأقم فيه ناظرا لي كيف أخلق الأمور .
وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي إن أردت أن أتعرف لك فأخرج عن شهود الموصول والمفصول وعن العلم الذي ضده الجهل وعن الجهل الذي ضده العلم وعن المعرفة التي ضدها الفكر وأطال في ذلك . فإن قلت فما تقول فيمن أخذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحروف والألفاظ الواردة في الكتاب والسنة فهل يسمى عارفا . (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الوصايا من " الفتوحات " ليس هو عارفا بل هو جاهل بالله تعالى وليس له نفحة من نفحات الجود الإلهي.
قال وإيضاح ذلك أن من أخذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون إلى كون بداية ونهاية . وقال الشيخ أيضا في " شرحه لترجمان الأشواق " : من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه . وقال الشيخ أيضا في " لواقح الأنوار " : اعلم أن من الناس من أوغل في تحرير الأدلة وغرق في التفتيش وكلما قام بباطنه أمر نفاه فكان غاية هذا أنه وقف بعد التعب مع قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] فهذا قد قطع عمره في التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاستراح من أول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا للمواهب والمعارف . وقال الشيخ في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة : اعلم أن غاية أمر من خاض في الذات من القدماء والمتصوفة أنهم عصوا الله عز وجل بذلك واحتجوا بأمور وهي عليهم لا لهم ثم إنهم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو أنهم لزموا الأدب مع الله تعالى لكان ذلك الإقرار وقع منهم في أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود وجعلوا ذلك قربة إليه والحال أنهم في ذلك من أبعد ما يكون عن حضرته تعالى (فإن قيل) فما أعلى المحامد التي يثني بها العبد على الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وأربعمائة : أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا وشرعا : قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شيء إذ لا يصح لعبد أن يثني على ربه عز وجل بما لا يعقله العبد وما بقي إلا أن يثني عليه العبد بما يعقله فقط ومعلوم أن الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت فكل

....
من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد ما نوى ، وقال الذي أقول به : إن قوله : وَجَّهْتُ وَجْهِيَ [الأنعام : 79] الخ لا ينبغي أن يكون إلا في صلاة التهجد لأنه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ذلك في الفرائض والوقوف عندما أورد أولى حتى يأتي ما يخالفه انتهى ، فليتأمل ويحرر ، فإن بعض العلماء ذكر أنه ورد في الفرائض أيضا . وقال من شأن الأديب العالم أن لا يناجي ربه إلا بكلامه الجامع ولذلك قال : " لا صلاة إلا بأم القرآن " والأم هي الجامعة فكان هذا الحديث مفسر لقوله تعالى : فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ [المزمل : 20] وإذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم

شيء علمته أو عقلته كان على صفتك ولا بد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبة هي التوبة من التوبة وإيضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص في حاجب الحق تعالى يتعقله العبد حتى ينزه خالقه عنه فافهم . وقال أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة : اعلم أن من فهم معنى قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] لم يفكر قط في كنه ذات الحق أبدا وما رأيت أحدا ممن يدعي أنه من فحول العلماء من أصناف النظار إلا وقد تكلم في ذات الله تعالى بفكره زاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع في ذلك أبو حامد الغزالي رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبيل موته.
قال الشيخ : وكان من فضل الله تعالى علي أن حفظني من التفكر في ذاته فلم أعرفه تعالى إلا من قوله وخبره وشهوده فبقي الفكر مني معطلا في هذه الحضرة فشكرني فكري على ذلك وقال الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغي لي أن أتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فإني كنت قد بايعت فكري أن لا يتعب في التفكر في ذات الله وأن يصرف تعبه في الاعتبار فبايعني على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذي لم يخلق له واستعماله في الشغل الذي خلق له . انتهى وقال الشيخ أيضا في الباب الثالث والسبعين : اعلم أن أكثر الشريعة قد جاء على فهم العامة في صفات الحق رحمة بهم ولم يجيء على فهم الخواص إلا بعد تلويحات نحو قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] وقوله : سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) [الصافات : 180] لأن العزيز هو المنيع الذي لا يوصل إليه تفكر ولا عقل انتهى .
(فإن قلت) فإذن لا سبيل للعبد إلى التنزيه الخالي عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والسبعين نعم لا سبيل لمخلوق إليه إلا برد العلم فيه إلى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد الخراز حيث قال لا يعرف الله إلا الله انتهى . (فإن قلت) فإذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه في شيء مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته
(فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة : إن المراد هنا بالصورة أن الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهي ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة في الأرض ، إذ الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والأمر أي إن الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله له فهذا هو معنى الصورة ا ه.

....
ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك المجمل كان الأولى عند الأدباء من العلماء الوقوف عنده . (قلت) : قد ذكر ؟ ؟ ؟ الشيخ في الباب الثالث والأربعين وثلاثمائة ما نصه : اعلم أنه لما كانت الصلاة محلا يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلي في الصلاة 7 فما صلى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فإنه ما قال : قسمت الفاتحة وإنما قال : قسمت الصلاة بالألف واللام اللتين للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور في الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة قال : وهذا أقوى دليل يوجد في فرض قراءة الحمد في الصلاة ا ه . وذكر الشيخ في الباب الخامس والتسعين ومائتين

وذكر الجلال السيوطي أن الحديث وارد على سبب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فإن الله خلق آدم على صورته فينبغي لك إكرام صورته ا ه . فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم (فإن قلت) ما معنى حديث الطبراني " رأيت ربي في صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب " الحديث
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين أن هذه الرؤية كانت في عالم الخيال ومن شأن الخيال أن يجسد ما ليس من شأنه التجسد من المعاني فيريك الإسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا في الدين ونحو ذلك فلا شيء في الكون أوسع من الخيال فإنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر " اعبد الله كأنك تراه " وقال " إن الله في قبلة أحدكم خطابا لمن هو في حضرة الخيال " وإنما خص وجود الحق بالقبلة فتحا لباب تخيله تعالى في القبلة ليراقبه العبد ويستحي منه ويستفهم من ربه الآية إذا ارتجت عليه فيعلمه الحق تعالى بها من باب الإلهام ويلزم الأدب في صلاته فلو لا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن عند الإنسان حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك تراه أي كأنك تراه ببصرك مع أن الدليل العقلي يمنع من كأن لأنه تخيل بدليله الشبيه . والبصر ما أدرك شيئا سوى الجدار وأطال في ذلك . ثم قال : فما خاطبك الشارع بما قلنا إلا لتتخيل أنك مواجه للحق في قبلتك وإن كان الحق تعالى لا يتحيز لأنك لا تعقل الحق إلا كذلك ما دمت محبوسا في دائرة عقلك فإذا أعطاك الحق تعالى القوة التي فوق طور العقل فحينئذ تشهد الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت أن من شأن الخيال أن يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور انتهى.
وقال في الباب الثالث والسبعين إنما سمي العقل عقلا لأنه مأخوذ من العقال فلا قدم له في معرفة الحق تعالى في مرتبة الإطلاق انتهى . وقال في الباب الثامن والستين : اعلم أن أدنى حجاب حجب به العبد عن رؤية الحق تعالى هو الصورة التي يقع في ذهن العبد تجلي الحق فيها فإنه تعالى ما هو تلك الصورة المتحيزة تعالى الله عن ذلك مع أن العبد لا يصح قط أن يرقى عن التجلي الصوري إلا إن خرج عن عالم المواد انتهى . (فإن قلت) فما حكمة منع المخلوقات من أن تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث

....

ما نصه : " اعلم أن القاف الغير المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هي كاف خالصة ولا قاف خالصة. "
(قال) : ولهذا ينكرها أهل اللسان فأما شيوخنا في القراءة فإنهم لا يعقدون القاف ويزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم في الأداء إلى أن وصلوا إلى العرب الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك أداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبني فهم فإني رأيتهم يعقدون القاف . وهكذا جميع العرب

والسبعين أن حكمة ذلك أن تمنع من علم سر القدر إذ لو صح للمعلومات أن تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شيء وما احتاجت إلى الحق تعالى في شيء وذلك محال انتهى . (فإن قيل) قد أخبر الله تعالى بأنه أقرب إلينا من حبل الوريد وإذا كان منا بهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين : أن شدة القرب حجاب كما أن شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء إذا غطس فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فإن قلت : فإذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فأين السبعون ألف حجاب من النور والظلمة التي أخبرنا الشارع بأنها بيننا وبين الحق تعالى

(فالجواب) كما قاله الشيخ : إن هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق تعالى لما يعصي الله تعالى مثلا فهي راجعة إلى شهود العبد للحق والحق تعالى لا يحجب وإيضاح ذلك أن العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم . (فإن قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذي بين العبد وربه

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين ومائتين لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى أبدا الذي هو كناية عن عدم الإحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط إلا على هذا الحجاب فإذن العبد رآه وما رآه.

وقال في الباب الحادي والخمسين ومائتين : فسبحان من لا يعلم إلا بأنه لا يعلم . وقال في الباب السابع عشر وثلاثمائة : فسبحان الظاهر الذي لا يخفى وسبحان الخفي الذي لا يظهر وقد حجب تعالى الحق به عن معرفته وأعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون (فإن قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى : قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف : 108] (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين : إن المراد به أدعو إلى طريق الله تعالى الخاصة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى أنه يدعو إلى الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شيء حتى تدعو الناس إليه فإنه لو كان مثله شيء لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شيء وليس مثله لا شيء ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك

....

فما أدري من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها في القرآن ا ه ، والله أعلم.

(قال) : وإنما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام غيره من أحوال الصلاة للاشتراك في القيومية قال : وهذا كان من أدب الملوك إذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين أيديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع في ذلك العرف وأطال في ذلك . قال : وإنما أمرنا الحق أن نقول : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) [الفاتحة : 5] وبنون الجمع إشارة إلى أن الحق يريد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن

معرفته تعالى انتهى.
وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر : ممن اعتقدت القرب حتى دعوت الناس إليه . فإن قلت اعتقدت قربي من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد الحق ومن حدد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وإن قلت إنما دعوت الناس إلى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت معهم في حال دعائهم إليها وما دعت الأكابر قومها إلا امتثالا لأمر ربهم لا غير انتهى (فإن قلت) فإذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية في توجهنا له تعالى فلماذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال صلاتنا وغيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ في " لواقح الأنوار " أن الحكمة في تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا تجتمع قلوبنا إلا إذا توجهنا إلى جهة واحدة لأن أحدنا ذو وجهة فلا يقبل أن يتعقل إلا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك ، وأوجبوا على العبد أن ينزه الحق تعالى عما ظهر له ويصرفه عن خاطره فافهم . فكان تخصيص توجهنا إلى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا ليجمع هممنا عليه سبحانه وتعالى وإلا فسائر الجهات في حقه تعالى سواء قال تعالى : فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة : 115] قال واعلم أنه من أعجب الأمور أن العبد يعلم ويتحقق أن الحق تعالى ليس في جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على عقله فلا يشهد الحق تعالى إلا متعاليا في جهة الفوق وربما يستدل بعضهم بقوله تعالى : يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل : 50] وليس في الآية دليل صريح على ذلك لأن المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعني من السماء أو المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذي مرفوعا إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار والملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه ، قال : ومن هنا قال المحققون : إن علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل في التنزيه من شهود كون العبد كأنه يراه لأن العبد لا يشهده إلا مقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد . قال الشيخ وليحذر المصلي حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا في جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية وهي وجه الحق تعالى عند المحققين ومن توهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقي الحق في وهمه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محققا لرأى نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لأنها ليست من عالم

....
المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا في قوله : نعبد ونستعين فإذا رآه الحق ملتفتا إلى شيء قال له : كذبت ، قال كذلك قول الحق إذا حمده عبده : حمدني عبدي ، لا يكون له ذلك الحمد إلا إن حضر بكليته فإن غاب فما حمد الحق إلا لسانه فقط فلا يقول له الحق : حمدني عبدي وإنما يقول : حمدني لسان عبدي وذلك لأن الله لما فرض على العبد أن يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه إلا عن نفسها فقط.
(قلت) : وسيأتي في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة إن شاء الله تعالى : أن الشارع صلى الله عليه وسلم

الحس فكما يرى نفسه في غير جهة كذلك يشهد الحق في غير جهة وأما ظاهر العبد فهو متوجه إلى جهة الكعبة فقط فعلم أن رؤية الحق في غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال في ذلك . واعلم يا أخي أن مسألة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدي عبد القادر الجيلي وسيأتي بسط ذلك في المبحث السابع وفي مبحث الاستواء على العرش إن شاء الله تعالى.
وقال الشيخ في الباب التاسع عشر وثلاثمائة : اعلم أن الذات المقدس له الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم . وقال الشيخ في الباب الرابع والعشرين والثلثمائة في قوله تعالى : وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ [محمد : 19] المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ما هو الحق تعالى عليه من الحقيقة التي لا تعرف في الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم . وقال في الباب الستين وثلاثمائة ما حرم النظر بالفكر في ذات الله إلا لكون ذلك لا يؤدي صاحبه إلى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذي عقل سليم . وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن إلا لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى . وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة وإذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم.
وقال في الباب التاسع والستين وثلاثمائة : اعلم أن ذات الحق تعالى لا يعلمها أحد من خلق الله تعالى فهي وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيي الدين في جميع أبواب " الفتوحات المكية " وغيرها . فتأمل يا أخي فيه فإنك لا تكاد تجده في كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب أن الشيخ رضي الله عنه بلغ في مقام التنزيه لله تعالى ما لا يكاد يرى أحدا من الأولياء بلغه وأنه رضي الله عنه بريء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح في عقيدته الصغرى بما معناه : اعلم أن الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء فهو منزه عن الجهات والأقطار انتهى.
وقال في باب الأسرار إنما ذهب جمهور المتكلمين إلى انعدام العرض لنفسه ليكون

....

إنما جاء ببعض الأذكار مثلثا أي بأن يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس ، والثواب المتخيل والثواب المعنوي ، فينعم حسا وخيالا وعقلا كما يذكر حسا وخيالا وعقلا وأطال في ذلك والله أعلم . وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين أن من أدب العارف إذا قرأ في صلاة مطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي إليه الحق في خاطره والله أعلم.
(وقال) في حديث : فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد

الخالق خلّاقا على الدوام ، وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه في سائر المراتب وهو من وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك.
(خاتمة) كان الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني رحمه الله يقول : جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحق في كلمتين . الأولى اعتقاد أن كل ما تصور في الأوهام فالله بخلافه . الثانية اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (4) [الإخلاص : 4].
واعلم يا أخي أن الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه . وقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين ومائتين ما نصه : اعلم أن الحق تعالى إنما هو ينزّه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد إياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لأن تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه إلا ما يشاكله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه أقريناه في موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة إليه مع اعتقادنا أنه ليس كمثله شيء فليس التنزيه الذي أمر به العبد هو عين التنزيه الذي نزه الحق تعالى به نفسه (فإن قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس (فالجواب) كما قاله الشيخ في " لواقح الأنوار " أن الفرق بينهما هو أن التنزيه لا يكون إلا مع استشعار توهم نقص في جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون إلا في صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هناك فعلم أن التقديس أكمل في حق العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ في باب الأسرار التسبيح تجريح فإن من لا يلحقه نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين حملوا الحق تعالى على صفاتهم في بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وإن كان ذلك محالا عند المتأمل . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : تسبيح العلماء بالله تعالى إنما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لسلامتهم من الوقوع في التوهم المشعر بنقص ما رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك في مبحث التوحيد والله تعالى أعلم.
المبحث الخامس : في وجوب اعتقاد أنه تعالى أحدث العالم كله من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه
وإنما علمه تعالى به سبق فلا بد أن يخلق ما خلق فهو تعالى غني عن العالمين فاعل

....

موافقتهم في الطهارة ، والتقديس ، والتلفظ وغير ذلك . وذكر في الباب الثالث والسبعين في الجواب الموفي مائة من أسئلة الحكيم الترمذي ما نصه : اعلم أن معنى آمين : أجب يا رب دعاءنا يقال : أم فلان جانب فلان إذا قصده وقال تعالى : وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ [المائدة : 2] أي قاصدين . قال : وإنما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة في الإجابة إذ الخفة تقتضي الإسراع في الأشياء ، قال : وإنما قال : غفر له ولم يقل : أجيب دعاؤه لأنه لو أجيب لما غفر له لأن المهدي إلى الصراط المستقيم ما له ما يغفر . (قلت) : قد ذكرنا نحو

بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين ولنبسط الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ في الباب التاسع والعشرين ومائتين من " الفتوحات " أنه لا يجوز أن يقال إن الحق تعالى مفتقر في ظهور أسمائه وصفاته إلى وجود العالم لأنه له الغنى على الإطلاق . قلت وهذا رد صريح على من نسب إلى الشيخ أنه يقول إن الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات أسمائه إلى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه أحد وأجمع العقلاء كلهم على أنه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالإرادة لوجوده لأن من شأن الإرادة أن لا تتعلق إلا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق إلا بممكن أو واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى . (فإن قلت) إذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شيء فما معنى قوله : كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام : 54] ونحو قوله:
وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم : 47] فإن ذلك مؤذن بأن الحق تعالى ليس له أن يخلف ما أوجب على نفسه من الرحمة والنصر للمؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة أن للحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لأنه تعالى يفعل ما يريد فله تعالى أن يخلف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لأن الواحد المختار لا يصح منه أن يلزم نفسه ولو ألزمها لا يلزمه الوفاء بخلاف العبد إذا أوجب على نفسه شيئا بالنذر يلزمه الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعي ويأثم إذا لم يوف بنذره مع القدرة وذلك كالعقوبة له لكونه أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق في التشريع وأما قوله تعالى : وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [الروم : 47] فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثلاثين : إن العلم الإلهي إذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أي لا بد من وجود تلك الطريق الموصلة إلى ذلك الأمر الذي تعلق به العلم وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن الحق تعالى لا يجب عليه شيء ولو أوجب هو على نفسه شيئا فله الرجوع عنه من حضرة الإطلاق فإن للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى : إِنَّ

....
ذلك في أجوبة شيخنا والله أعلم . قال : وأما قوله : فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمنية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم إن الملائكة لا يخلو قولها : آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين فإن قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لأن التجسد يحكم عليه بالإتيان بلفظ : آمين أي بترتيب هذه الحروف وأما إن قالوها غير متجسدين فلن يبق معنى الموافقة إلا أن يقولها العبد بالحال الذي يكون عليها الملك وأطال في ذلك بكلام دقيق فراجعه إن شئت والله أعلم.
(وقال فيه) : في الكلام على التشهد : إعلم أن الألف واللام في لفظة : السلام عليك أيها

"110"
اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ [النساء : 116] فهذه لا يصح شرعا أن يخلف ما أخبر به منها وحضرة إطلاق نحو قوله تعالى : يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ [آل عمران : 129] ومذهب المحققين من أولياء اللّه تعالى أن يطلقوا ما أطلقه الحق تعالى ويقيدوا ما قيده الحق أدبا لفظيا ولا يحملوا خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى . ويؤيد ما ذكره الشيخ أيضا في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ [الأعراف : 156] إلى آخر النسق وهو أن للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو نحو قوله تعالى : كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام : 54] أي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قول أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ [الأنعام : 54] الآية فهذا الجود تقيد بالوجود لمن هذه صفته بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فإن التوبة والإصلاح من الجود المطلق وقد قابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره فالعبد بين هذين الجودين كأنه عرض زائل ا ه . قال : وقد بان لك أن وجه الإطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما أنه تعالى حجر إطلاق نسبة الولد إليه وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الإلهي بقوله : ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ [ق : 29].
قال الشيخ : والعقل يدل على الإحالة في الولد دلالة عقلية وفي نحو قوله تعالى : وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ [النحل : 9] دلالة عقلية وقد دلت لفظة لَوْ على أنه تعالى مخير في نفسه إن شاء أمر ما شاءه وإن شاء لم يشأ فقد رأيت ورود الأخبار الإلهية كما يرى ومع ذلك فالعقل يخيله وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك مما قررناه أن الحق تعالى إنما أوجب على نفسه بعض أمور تأنيسا لنا فيما أوجبه على أنفسنا لنا من الصلاة والقربات الشرعية فإن أوجبناه لربنا سبحانه وتعالى كالنذر أوجبه علينا لتميز عنه فنعصي بتركه ولو أنه تعالى ترك فعل ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فما وجب علينا فعل ما أوجبناه على أنفسنا إلا من حيثما أوجبه الحق علينا لا من حيث إيجابنا ذلك على أنفسنا فإن لو لم يوجب تعالى علينا ما أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة إذا تركناه وأما الحق تعالى إذا وفي بما أوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم أخلاق (فإن قلت) هذا ظاهر فيما إذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فإن

....

النبي للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات للّه في الشمول ، والعموم أي : السلام عليك بكل سلام .
قال : وإنما كان السلام عليه هنا بلفظ النبي دون الرسول لأن النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف ، فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لأمته الذي هو منه رسول نعم قال : وإنّما أتى المصلي به صلى اللّه عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالعبد لأنه في حال قربة منه باحضاره في ذهنه ولهذا جاء بخرف الخطاب في قوله : عليك.
(قلت) : وذكر الشيخ في الباب الثالث والسبعين : أن السلام إنما شرع من المؤمنين لأن

"111"
كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) أنه ماثم شيء يصدر منه تعالى إلا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذي لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو الذي فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه فصاحب هذا الخير

كالمعذب المرحوم يجد عذابه إذا تأمله رحمة وتأديبا هذا حكم عصاة الموحدين وأما من حقت عليه كلمة العذاب من الأشقياء فذلك في شر محض لا رحمة فيه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف.

وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضا ما يؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة من أن الحق تعالى لا يجب عليه شيء وهو أن سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه قال : لقيت إبليس مرة فعرفته وعرف مني أنني عرفته فوقع بيني وبينه مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث إنه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لي يا سهل إن الله تعالى قال : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف : 156] نعم ولا يخفى عليك أنني شيء ولفظة كُلَّ تقتضي الإحاطة والعموم إلا ما خص وشيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته أنا وجميع العصاة فبأي دليل تقولون إن رحمة الله لا تنالنا قال سهل فو الله لقد أخرسني وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه ، فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أردد الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى : فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ [الأعراف : 156] إلى آخر النسق فسررت بها وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما تقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون إن الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم فقال فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ إلى آخر النسق فتبسم إبليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ، ثم قال : يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت ولا ظننت أنك ههنا ليتك سكت ليتك سكت ليتك سكت ، قال سهل : فرجعت إلى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي وما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت أنه طمع في مطمع وانصرف وانصرفت وو الله ما أدري بعد هذا ما يكون ، فإن الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك إلا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الإيمان به انتهى كلام سهل.

....

مقام الأنبياء يعطي الاعتراض عليهم لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول : يا رسول الله أنت في أمان من اعتراضي عليك في نفسي وقال كذلك : السلام على عباد الله الصالحين فإنهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الإرث للأنبياء قال : وأما تسليمنا على أنفسنا فإن فينا ما يقتضي الاعتراض واللوم هنا علينا ، فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ، ولا نعترض كما يقول الإنسان . قلت لنفسي : كذا فقالت : لا أنتهي قال : وإنما أمر المصلي أن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بالألف واللام أيضا لتشمل جميع السلام بأجناسه على نفسه قال : وإنما جاء بنون الجمع ليؤذن بأن كل جزء من هذا المسلم يسلم عل بقية

"112"
قال الشيخ محيي الدين : وكنت قديما أقول ما رأيت أقصر حجة من إبليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكاها عنه سهل رضي الله تعالى عنه تعجبت وعلمت أن إبليس قد علم علما لا جهل فيه فله رتبة الإفادة لسهل في هذه المسألة انتهى . فقد بان لك أن الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (وأما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمه الله في الباب الثاني والسبعين : إن الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره إليه وإنما الأشياء في حال عدمها الإمكاني لما طلبت وجودها ممن هي مفتقرة إليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فلما طلبت بفقرها الذاتي من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها لا من حاجة قامت به إليها لأنها كانت مشهودة له تعالى في حال عدمها النسبي كما هي مشهودة له في حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ما هي عليه في حقائقها حال وجودها وعدمها بإدراك واحد فلهذا لم يكن إيجاده للأشياء عن فقر بخلاف العبد فإن الحق تعالى ولو أعطاه حرف كن وأراد إيجاد شيء لا يوجده إلا عن فقر إليه وحاجة فما طلب العبد إلا ما ليس عنده ليكون عنده فقد افترق إيجاد العبد عن إيجاد الحق تعالى . قال الشيخ وهذه مسألة لو ذهبت عينك جزاء لتحصيلها لكان قليلا في حقها فإنها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل الله تعالى والتحقوا فيها بمن ذمهم الله تعالى في قوله : لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ [آل عمران : 181] انتهى . (فإن قلت) قد نقل بعضهم عن الشيخ أنه كان ينشد:
الكل مفتقر ما الكل مستغني * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكني
(فالجواب) أن مثل ذلك مدسوس عليه في كتاب " الفصوص " وغيره فإن هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك . وقال أيضا في الباب الحادي والستين وثلاثمائة في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ [العنكبوت : 6] أي غني عن وجود العالم لكن لما أظهر الله الأسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل نظر بعضهم فقال إن الله تعالى غني عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور مع غفلته عن كون ذلك فعل مختار في الأصل غني عن العالمين فزلت بهذا قدم الغرور في مهواة من التلف فإنه لا يلزم من كون العالم ثابتا في العلم الإلهي الافتقار إلى وجوده فإن من كان غنيا عنه وعن

....
أجزائه وعوالمه حين رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر أن يسلم إذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذي يشهده في قلبه كما قال : إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال : وإنما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على أن المراد بالصالحين المستعملين في أمور مطلق الإسلام من المسلمين لا الصالحين في العرف قال : وإنما لم يعطف المصلي السلام الذي سلم به على نفسه بالواو على السلام الذي سلم به على نبيه لأنه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة وتعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا

"113"
إيجاده لا يوصف بافتقار إليه وإذا تعارض عند العاقل مزلات الأقدام فليكن مع وصف الحكم تعالى بالكمالات فإنه حينئذ ناصر جناب الحق . قال : وإيضاح ذلك أن تعلم يا أخي أن العلم لما تعلق بالعالم من حيث ثبوته فيه اكتفى بذلك ثم إن شاء الحق تعالى أوجده إلى عالم الشهادة وإن

شاء لم يوجده فهو تعالى ولو أوجده لا يوصف بالافتقار إليه بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الألوهية حقها بكونه ممكنا ولولا أن الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار أن يذيقها طعم الوجود كما ذاقت طعم العدم ما أظهرها تعالى فإنها سألت بلسان ثبوتها في علم واجب الوجود أن يخرجها من العدم ويوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقا فأوجدها تعالى لها لا له إذ هو الغنيّ عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها في ترك الدلالة أظهر من وجودها فأي شيء رجح من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال : فلهذا قلنا إن غناه عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسألة غريبة لأن فيها اتصاف الممكن بالعدم في الأزل وكون الأزل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته في العلم وذلك أنه من حيث ما هو ممكن في نفسه استوى في حقه القبول لحكمين فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه في حال فرضه فهو مرجح فإن الترجيح ينسحب على الممكن أزلا في حال عدمه وإن كان منعوتا بعدم المرجح (وإيضاح ذلك) أن الترجيح من المرجح الذي هو اسم فاعل لا يكون إلا مع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر حكمها في كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فإن كان محسوسا شغل حيزا وفرغ حيزا آخر وإن كان معقولا أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال إلى حال انتهى.

وحاصل كلام الشيخ أنه لا يقال إن الحق تعالى غني عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه إذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال إن الله تعالى غني عن ثبوت المعلومات في علمه كأنه قال إن الحق تعالى غني عن علمه على حد سواء وذلك محال فافهم . فرجع الأمر إلى أنه تعالى غني عن إبراز العالم من مكنون علمه إلى عالم الشهادة لا غني عن ثبوته في علمه فليتأمل . ويؤيد ما فهمناه قول الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى البارىء : اعلم أن الحق تعالى من وراء جميع

....

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه في المرتبة التي لا تبغى لنا فابتدأنا بالسلام علينا في طورنا من غير عطف ، انتهى.

(قلت) : وفي هذا القول من الشيخ رحمه الله رد على من افترى عليه أنه يقول : لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله : " لا نبي بعدي " وقد ذكر في شرحه لترجمان الأشواق أيضا ما نصه : اعلم أن المقام المحمدي ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر إليه كما ننظر الكواكب في السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى إلى من هو في عليين . قال : وقد فتح الشيخ أبي يزيد

المعتقدات لأنه غني عن العالمين لكن لا بد من تخيل وجود العالم لنا في الذهن ليثبت له تعالى الغني عنه كما يقال في صاحب المال إنه غني بالمال عن المال إذا المال هو الموجب له صفة الغني عنه فلا بد من وجود المال لتصور صفة الغني عنه.
قال الشيخ : وهذه مسألة دقيقة لطيفة الكشف فإن العالم سبب الثناء عليه تعالى من حيث وجود العالم كما أنه تعالى لا ينزه عن صفاتنا إلا بنا فما وقع الغناء عليه إلا مع تصور وجودنا فهو غني عنا بنا في الدائرة العقلية لا الكشفية فإن كونه تعالى غنيا إنما هو بغناه عنا فلا بد من ثبوت هذا الغنى له نعتا ، قال : ومن أراد أن يقرب عليه تصور هذا الأمر فلينظر إلى ما سمى الحق تعالى به نفسه من كل سم يطلب العالم فإن الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا إلا بنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد الله إن للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد إذا خرج عنها انتهى.
وقال الشيخ أيضا في الباب الأربعين ومائة : المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين أي غني عن العالم من حيث دلالة العالم عليه إذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على المدلول ولما صح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يتمكن للمدلول أن يوصل إليه إلا به فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال إن الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فإن الله تعالى ما نصب الأدلة لتدل عليه وإنما نصبها لتدل على المرتبة ليعلم العبد أنه تعالى إله واحد لا إله إلا هو انتهى.
ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ في الباب الستين من " الفتوحات " في قوله تعالى : فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ [آل عمران : 97] أي غني عن الدلالات عليه إذ العوالم كلها دلالات كأنه تعالى يقول ما خلقت العالم كله إلا ليدل على نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها وحاجتها إليّ لأنه ماثم في الوجود دليل عليّ ، لأنه لو كان في الوجود دليل علي لربطني به فكنت مقيدا به وأنا الغني الذي لا يقيدني وجود الأدلة ولا يدل على أدلة المحدثات قال وأكثر الناظرين في هذه

....
البسطامي من مقام النبي قدر خرم إبرة تجليا لا دخولا فاحترق فكذب ، والله من افترى على الشيخ وخاب مسعاه والله أعلم.
(قال) : وإنما لم يكن التشهد الأول وجلوسه واجبا لأن هذا الجلوس عارض عرض لأجل القيام بعده إلى الركعة الثالثة والعرض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا يسجد من سها عنه بخلاف الجلوس الأخير . قال : فهو من التجليات والبرزخيات فإنه سبحانه دعا عبده أن يسلم عليه بما شرع فيه من التحيات فلمن رأى أن ذلك المقام يدعوه إلى التحية جلس . قال:

المسألة يتوهمون أن الكون دليل على الله لكونهم ينظرون في نفوسهم فيستدلون وما علموا أن كونهم ينظرون راجع إلى حكم كونهم متصفين بالوجود فالوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى لا نورهم ، فإن ذات أحدهم لو لم تتصف بالوجود فبماذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة ا ه.
وقال الشيخ أيضا في " شرحه لترجمان الأشواق " : جميع الأدلة التي نصبها الحق تعالى أدلة قد محاها بقوله ليس كمثله شيء فأوقف العالم كله في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون أنه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقاديرهم انتهى . وقال في باب الأسرار من " الفتوحات " (مه) إن العالم علامة بدوه ممن فهو علامة على من فما ثمّ إلا الله وفعله وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله . وقد بان لك أنه رضي الله تعالى عنه بريء من القول بأن الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا إلى العالم وأنه تعالى هو الغني على الإطلاق وأن العالم لا ينفك طرفة عين عن الافتقار إلى الله تعالى وأنه تعالى ما أظهر العالم من مكنون علمه إلا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده إلى عالم الشهادة لا غير وهو معنى قول بعضهم إن الله تعالى أوجدنا لنا لا حاجة منه إلينا لنقول بالتكليف إذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله أعلم .
(خاتمة) إن قيل هل يصح لأحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والعشرين ومائة أنه لا يصح لأحد الغنى بالله حقيقة إنما حقيقة الاستغناء ترجع إلى الأسباب وجلت ذات الحق تعالى أن تكون محلا لمثل ذلك وإيضاح ذلك أن الله تعالى ما وضع الأسباب إلا ليزيل بها فاقة المخلوقين فما استغنى أحد إلا بالكون ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم وإنما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وإنما لتحقيق أن العبد مستغن بما من الله لا بالله فإذا جاع أمر بالأكل فزال جوعه عند الأكل لا بالأكل فافهم والله تعالى أعلم.
المبحث السادس : في وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم في ذاته حادث وأنه لا حلول ولا اتحاد
إذ القول بذلك يؤدي إلى أنه في أجواف السباع والحشرات والوحوش وتعالى الله عن
....
والحكمة في ذلك أن الصلاة تقتضي الشفعية لقوله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي وأطال في ذلك قال رضي الله عنه : واعلم أننا لم نقف على رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في تشهده الذي كان يقوله في الصلاة هل كان يقول مثلنا : السلام عليك أيها النبي أو كان يقول : السلام علي أو كان لا يقول شيئا من ذلك ، ويكتفي بقوله : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.
قال : فإن كان يقول مثل ما أمرنا أن نقول من ذلك فله وجهان أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده . والوجه الثاني : أنه كان يقام في صلاته في مقام الملائكة مثلا ، ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه أيضا من كونه

ذلك علوا كبيرا . واعلم أن هذه المسألة مما أشاعها الملحدون على الشيخ محيي الدين كما مر في خطبة الكتاب وها أنا أجلي عليك عرائس كلامه في أبواب " الفتوحات " لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك إذ هو جهل محض فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ في عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها ، وقال في عقيدته الوسطى : اعلم أن الله تعالى واحد بإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد بشيء.
وقال في الباب الثالث من " الفتوحات " اعلم أنه ليس في أحد من الله شيء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه.
وقال في باب الأسرار : لا يجوز لعارف أن يقول : أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه إنما يقول أنا العبد الذليل في المسير والمقبل وقال في الباب التاسع والستين ومائة القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث وإنما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط إضافة وحكم لا ربط وجود عين بعين فإن الرب لا يجتمع مع عبده في مرتبة واحدة أبدا وغاية الأمر أن يجتمع بين العبد والرب في الوجود وليس ذلك بجامع إنما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى إلى كل واحد منهما على حد نسبته إلى الآخر ولسنا نعني إطلاق الألفاظ ومعلوم أن نسبة المعنى إلى كل واحد منهما على حد نسبته إلى الآخر غير موجودة انتهى.
وقالت الولية الكاملة سيدة العجم في " شرح المشاهد " : اعلم أن العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا إذ كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صارا واحدا في النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى.
(فإن قيل) فما معنى حديث فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها فإن جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحدوثه فيه (فالجواب) أن معنى كنت سمعه الخ أن ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط الذي هو حصول المحبة فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث المشار إليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقرير الوجودي ، قاله الأستاذ سيدي علي بن وفا رحمه الله.

....

نبيا فيقول : السلام عليك أيها النبي فعل الأجنبي فكأنه جرد من نفسه شخصا آخر قال : وإنما قال : وأشهد أن محمدا رسول الله ولم يقل : نبي الله لأن الرسالة هنا أعم لتضمنها النبوة فكان يحتاج إلى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيين قال : وأما قوله في تشهد ابن عباس : سلام عليك أيها النبي بالتنكير فوجهه أنه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصل منه على حسب حاله من مقام السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومن مقام السلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة في الرسالة واكتفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك وأسقط في هذه

وقال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين في الكلام على الآذان المراد بكنت سمعه وبصره إلى آخره انكشاف الأمر لمن تقرب إليه تعالى بالنوافل لا أنه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الإلهية انتهى . (فإن قلت) فلم ذكر تعالى في هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة أنه تعالى ما ذكر الحواس الظاهرة إلا لكونها مفتقرة إلى الله لا إلى غيره بخلاف القوى الروحانية فإنها مفتقرة إلى الحواس والحق تعالى لا ينزل منزلة من يفتقر إلى غيره بخلاف من هو مفتقر إليه تعالى وحده لم يشرك به أحدا فقد بان لك أن الحواس الظاهرة أتم لكونها هي التي تهيء للقوى الروحانية ما يتصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله أعلم.
وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس والستين وثلاثمائة : لولا نداء الحق تعالى لنا ونداؤنا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما فصل تعالى نفسه عنا في الحكم كذلك فصلنا نحن أنفسنا عنه فلا حلول ولا اتحاد انتهى.
وقال في باب الأسرار : من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فأثبتك بإعادة الضمير إليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فإنه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولا حتى اتصل والشيء الواحد لا يصل نفسه وماثم إلا ذاته ومصنوعاته انتهى.
وقال في باب الأسرار أيضا : الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل انتهى.
وقال في هذا الباب أيضا : أنت أنت وهو هو فإياك أن تقول كما قال العاشق . أنا من أهوى ومن أهوى أنا . فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فإنه جهل والجهل

....
الرواية ذكر لفظ العبودية لتضمن الرسالة لها انتهى . فتأمل يا أخي هذا المحل المتعلق التشهد فإنك لا تكاد تجده في كتاب والله يتولى هداك ، وقال : إنما أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال لما يظهره للخلق في دعواه الألوهية وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة من إحياء الموتى ، وغير ذلك مما ثبتت به الروايات وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه قال : وهذه مسألة في غاية الإشكال لأنها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرره وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا

لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله . وقال فيه أيضا إياك أن تقول أنا هو وتغالط فإنك لو كنت هو لأحطت به كما أحاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات . وقال فيه أيضا : اعلم أن العاشق إذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإن ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول إذا صحا من سكرته انتهى.

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين : من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه.

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى .

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة : لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدا.

وقال في الباب الثامن والأربعين : لا يصح أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة . وقال في " لواقح الأنوار " من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد في وقت ما فليس هو بعارف وإنما هو في ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده.

وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة : اجتمعت روحي بهارون عليه السلام في بعض الوقائع فقلت له يا نبي الله كيف قلت فلا تشمت بي الأعداء ومن الأعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل إلى مقام لا يشهد فيه إلا الله فقال لي السيد هارون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت في مشهدكم ولكن إذا لم يشهد أحدكم إلا الله فهل زال العالم في نفس الأمر كما هو في مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى لقلوبكم

....
من أهل الكشف والوجود ، انتهى فليتأمل ويحرر.

(وقال) : إنما كان المصلي يسلم تسليمتين لانتقاله من حال إلى حال فيسلم بالأولى على من انتقل عنه وبالثانية على من قدم عليه قال : وكل مصل لم يغب في صلاته عن غير الله عز وجل فما برح من الأكوان فعلى من يسلم وهو ما برح مع الكون فهلا استحى هذا المسلم من الله حيث يرى الناس بسلامه عليهم أنه كان غائبا عند الله فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم . وقال : الحكمة في رفع الأيدي في الصلاة الإعلام بكل شيء حصل في اليدين قد

فقلت له العالم باق في نفس الأمر لم يزل وإنما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فإنه كله آيات الله فأفادني عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندي انتهى.
وقال في باب الأسرار : لا يترك الأغيار إلّا الأغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الأغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الأخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق انتهى.
وقال في " لواقح الأنوار القدسية " : لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهده أن يقول إن العالم عين الحق أو اتّحد به أبدا وانظر إلى ذاتك يا أخي فتعلم قطعا أنك واحد لكن تعلم أن عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك إلى غير ذلك وأن هذه الأعضاء تفاصيل في عين ذاتك لا يقال إنها غيرك قال ومن فهم ما أومأنا إليه فهو الذي يفهم قوله تعالى : قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [الإسراء : 85] فلم يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى.
وقال أيضا في الباب الثاني والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل : وبالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة لتنزيه فلا يقدرون ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو وتارة يقولون هو ما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى . وقد أنشد الشيخ محيي الدين في هذا المعنى:
ومن عجبي أني أحن إليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها * وتشتاقهم روحي وهم بين أضلعي
وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول إنما كانت القلوب تحن إلى التنزيه أكثر من التشبيه لأن من شأن الذات الإطلاق لذاتها وتساوي النسب لصفاتها انتهى . وكان يقول أيضا المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم ينشد:
وعلمك أن كل الأمر أمري * هو المعنى المسمى باتحاد
....
سقط عند رفعهما وكان الحق تعالى يقول : معلما للعبد إذا وقفت بين يدي فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيئا وكل شيء ملكته يداك فارم به وقف صفر اليدين واجعل ذلك خلف ظهرك فإني قد قبلتك قال : ولهذا يستقبل بكفيه قبلته.
(قلت) : ذكر الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة ما نصه : اعلم أن من آداب الوقوف بين يدي الله تعالى في الصلاة الذل والمسكنة ، والتكلف شغل العبد حال الذليل في مناجاة سيده وقد وردت السنة بذلك وهو عندي أحسن من إسبال اليدين . قال : وإيضاح ما

ولعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرءوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى [الزمر : 3] فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنهم إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لأن الله بكل شيء محيط وسمعت شيخنا سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يجوز أن يقال إنه تعالى في كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى:
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ [الأنعام : 3] لإيهامه أنه يحل بذاته في ذلك المكان انتهى. وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثامن إن شاء الله تعالى.
وسمعت أخي الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفي رحمه الله يقول : المراد بكون الحق في السماوات والأرض نفوذ الأوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق الإرادة والله أعلم .
فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم إلى الشيخ محيي الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفتري والله تعالى أعلم.
(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الخامس عشر وثلاثمائة ما يؤيد ما قلناه في الرد عنه وذلك أنه قال : لا أعرف في عصري هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك أني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طمعا ، قال : وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أنله بعمل إنما هو اختصاص إلهي وأرجو من الله أن يمسك عليّ هذا المقام ولا يحول بيني وبينه حتى ألقاه فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس : 58] والله تعالى أعلم . فتأمل يا أخي في هذا المبحث وتدبره فإنك لا تجده في كتاب والله يتولى هداك.
المبحث السابع : في وجوب اعتقاد أن الله تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله في حكم خلقه
فإن المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا أنه مباين لخلقه في سائر المراتب فإنه كان ولامكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذي أنشأ الزمان وخلق

....
قلناه إن الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها يخلص لله من أولها إلى قوله:
مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) [الفاتحة : 4] فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد إشارة للقوة الإلهية قال : تعالى : لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) [الحاقة : 45] والجزء الآخر يخلص للعبد من قوله:
اهْدِنَا إلى آخر السورة فهذا بمنزلة اليد اليسرى الذي هو الجانب الأضعف الأصغر . قال:
ولما كان جزء منها بين الله وبين عبده وهو قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ جمع العبد بين يديه في الصلاة مجامع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين انتهى ، ثم لا يخفى أنه إذا كان جعل

المتمكن والمكان فلا أينية له تعالى (فإن قلت) فما المراد بقوله تعالى : وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ [الحديد : 4] فإنه يوهم الأينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدي محمد المغربي الشاذلي أنه لا إيهام لأن الأينية في هذه الآية راجعة إلى الخلق لأنهم هم المخاطبون في الأين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب أين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه في وجه من الوجوه انتهى . وسيأتي بسط ذلك في المبحث بعده إن شاء الله تعالى.
وقال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من " الفتوحات " : ليس الحق تعالى لنا بأين لأن من لا أينية له لا يقبل المكان . قال : وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فإذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الأين لمن لا أين له يعقل انتهى.
وقال أيضا في الباب الثامن والأربعين منها : إنما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربه في قوله : وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق : 19] وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد إعلاما لنا بأنه تعالى في نسبة الفوقية إليه كنسبة التحتية إليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه إلى السماء في حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيئا قط من جهة السفل فما جعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقريبا من الحق إلا لينبه عباده على أنه لا يقيد تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى . وسيأتي بسط ذلك في المبحث بعده إن شاء الله تعالى.
(خاتمة) رأيت في كتاب " البهجة " المنسوبة لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه ما نصه اعلموا أن عباداتكم لا تدخل الأرض وإنما تصعد إلى السماء قال تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ [فاطر : 10] فربنا سبحانه وتعالى في جهة العلو : الله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالأشياء بدليل سبع آيات في القرآن العظيم في هذا المعنى لا يمكنني ذكرها لأجل جهل الجاهل ورعونته انتهى . فلا أدري أذلك الكلام دس على الشيخ في كتابه أم وقع في ذلك في بدايته ورجع عنه لما دخل في الطريق فإن من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى أنه تعالى لا يتحيز . والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الأرض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا . وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله أنه لا يلزم من قوله تعالى : إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ [فاطر : 10] أن يكون تعالى في جهة الفوق

....

اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه ، فإرسالهما أولى فالتحقيق أن جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وأن إرسالهما أولى لغير الكمل إذ مراعاة وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجيه فليتأمل والله أعلم . قارن معنى قول العهد في حال اعتداله عن الركوع ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع من كان له حظ في الدنيا من جاه ورياسة ومال استناده إلى ذلك دون الله فإذا انكشف الغطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى ، والله أعلم.

دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي والأرض ظرفية تليق بجلاله وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وإن كان السجود في أسفل سافلين وأما قوله تعالى : يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل : 5] أي يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوق رؤوسهم هذا هو الاعتقاد الحق . قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلي السابق إنه تعالى في جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التي قصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وإن كانت في السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم.

المبحث الثامن : في وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا في حال كونه في السماء ، في حال كونه مستويا على العرش ، وفي حال كونه في السماوات وفي الأرض ، في حال كونه أقرب إلينا من حبل الوريد

ولكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة من " الفتوحات " فراجعه (فإن قلت) فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم بنا والرؤية لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين بن أبي منصور في رسالته إنه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالية معية كما أنه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لأنه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة فلا نقول على الله ما لا نعلم انتهى . وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الأسماء من " الفتوحات " في الكلام على اسمه الرقيب : اعلم أنه ليس في حضرات الأسماء الإلهية ما يعطي التنبيه على أن الحق تعالى معنا بذاته إلا الاسم الرقيب لأنه نبه على أن الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فإنه اتبع الضحك توابعه انتهى.

قلت وهذه المسألة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول

....

(وقال) : إنما جوز الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ترك الطمأنينة في الاعتدال وبين السجدتين خوفا من ترك المسارعة إلى الخيرات المأمور بالمسارعة إليها فخاف إن اطمأن أن يفوته ذلك مع أنه رضي الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة ووجه هذا القول أن الطمأنينة لا تنافي المسارعة إلى الخيرات ، والله أعلم.

(وقال) : إنما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة ، واختلفوا في وجوبه على الأنف لأن الأنف ليس بعظم خالص بل هو إلى العضلية أقرب منه إلى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة هي المقصود الأعظم . وفي الحديث : " أمرت أن أسجد على سبعة

إن المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الأدب ممن يقول إنه تعالى معنا بذاته وصفاته وإن كانت الصفة الإلهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسألة عقد مجلس في الجامع الأزهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ إبراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ إبراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة الله تعالى معنا بأسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ إبراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له : ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى : وَاللَّهُ مَعَكُمْ [محمد : 35] وقوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ [الحديد : 4] ومعلوم أن الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شيء لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالإنسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو مع معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى : وَاللَّهُ مَعَكُمْ ومن نحو وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت : 69] إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة : 153] وذلك لما قدمناه من أن مدلول الاسم الكريم الله إنما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الأينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع أنه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات ولا بعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشيء معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الإمكان لأنه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في " شرح عقائد النسفي " إن قول المعتزلة وجمهور البخارية إن الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لأنه لا يلزم أن من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط إلا إن كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى . على أنه يلزم من القول بأن الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بأنفسها دون الذات وذلك

....

أعظم " وبدأ بالجبهة فافهم ، وقال : إنما أمر العبد أن يقول : سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم بإضافة الرب إلى ياء النسبة لأن الرب يتفاضل العلم به من كل عبد ، وكل عبد يعتقد في ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم في الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح إلا ربه الذي اعتقده ربا وكم شخص لا يعتقد في الرب ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره في اعتقاده في ربه فلو أمر العبد أن يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من لا يعتقده ربا فلذلك قال: سبحان ربي الذي اعتقده وأعرفه أنا دون غيري والله أعلم.

غير معقول فقالوا له : فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الإسلام ابن اللبان رحمه الله في قوله تعالى : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ (85) [الواقعة : 85] أن في هذه الآية دليلا على أقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان إذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال : ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فإن من المعلوم أن البصر لا تعلق لإدراكه بالصفات المعنوية وإنما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول في قوله تعالى : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق:
16] هو يدل أيضا على ما قلناه لأن أفعل من يدل على الاشتراك في اسم القرب وإن اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لأن قرب الصفات معنوي وقرب حبل الوريد حسي ففي نسبة أقربيته تعالى إلى الإنسان من حبل الوريد الذي هو حقيقي دليل على أن قربه تعالى حقيقي أن بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ إبراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وأن الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا إذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالي كما مر فقال له العلائي فما قولكم في قوله تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ [الحديد : 4] فإنه يوهم أن الله تعالى في مكان فقال الشيخ إبراهيم لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان لأن أين في الآية إنما أطلقت لإفادة معية الله تعالى للمخاطبين في الأين اللازم لهم لاله تعالى كما قدمناه فهو مع صاحب كل أين بلا أين انتهى.
فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسألة فقال تريدون علم هذا الأمر ذوقا أو سماعا ، فقالوا سماعا ، فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الأشياء كلها ثابتة في علمه أزلا يقينا بلا بداية لأنها متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هي أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما في العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت في عوالم بساطتها وتركيبها وإضافتها وتجريدها من الأزل إلى ما لا نهاية له فأدهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم في المعية واعتمدوه ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم

....

(وقال) : طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لأنه إذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه قال : ومن هنا جازت إمامة ولد الزنا لأنه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال : وكما جازت إمامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة ، فأصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة . وقال : لا تصح إمامة الجاهل الذي لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدي به ضال قال : وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف

من شبهات التشبيه وإن أراد أحدكم أن يعرف هذه المسألة ذوقا فليسلم قياده لي أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وأمنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله إلى علم هذه المسألة ذوقا وكشفا قال الشيخ إبراهيم : فما تجرأ أحد أن يدخل معه في ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى . فتأمل يا أخي في هذا الموضع وتدبره فإنك لا تجده في كتاب الآن . وأما نقول الشيخ محيي الدين رحمه الله في هذه المسألة فكان يقول في حديث : كان الله ولا شيء معه : أن المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً [الفتح : 4] وليس المراد بها كان من الفعل الماضي فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شيء معه فهو تعالى مع الأشياء ولا يقال أن الأشياء معه لأنها لم ترد قال وإيضاح ذلك أن المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا أن نقول إنا معه لأنا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الأسماء والصفات التي هي المرتبة لا بد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فإنه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال أن يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولا بد من حضرة نحكم فيها هذه الأسماء بالفعل أو بالقوة ، إذ الإمكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى . وقد مر تقريره في المبحث الذي مر (فإن قلت) فلأي شيء لم يقل صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق وهو الآن على ما عليه كان كما أدرجه بعضهم (فالجواب) إنما لم يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لأن الآن نص في وجود الزمان ولو جعلناه ظرفا لهوية الباري لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فإنه حرف وجودي من الكون الذي هو عين الوجود فكأنه صلى الله عليه وسلم قال : الله موجود ولا شيء معه في وجوده الذاتي فإن وجود غيره معه تعالى إنما هو بإيجاده وبإبقائه لا مستقلا فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة في الحديث فلا معرفة له بعلم كان ولا سيما في هذا الموضع (فإن قلت) فما الحامل لبعضهم على إدراجها (فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله أنها من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى في الكون هذا التصريف الذي يلحق الأفعال الزمانية تخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فإن من أشبه شيئا في أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخي ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر أدبه في كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيي

....

المتنفل فإن الإمام إذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة لأن الإمام الذي هو المتنفل ما فعل إلا ما هو فرض عليه أن يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل إلا فيما هو فرض على المتنفل قلت : وسيأتي في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل إلا بما هو ركن في النافلة لا بما هو سنة والله أعلم.
(وقال) : إنما شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله تعالى

الدين في " لواقح الأنوار " . وقال في باب الأسرار من " الفتوحات " من زاد في حديث كان الله ولا شيء معه لفظة وهو الآن على ما عليه كان فقد كذب القرآن فإن الله تعالى قال : كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ [الرحمن : 29 و 31] وقد كان ولا أيام ولا شؤون في تلك الأيام وقال تعالى : إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) [النحل : 40] كيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع أنه مؤمن بالقرآن هذا أعجب من عجيب انتهى . وقال في هذا الباب أيضا لا يشترط في المجاورة الجنس لأن ذلك علم في لبس فإن الله جار عبده بالمعية وإن انتفت المثلية ومن صح إيمانه بالمعية لم يحتج إلى طلب الماهية (فإن قيل) فما الحكمة في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التي شكوا في إسلامها وأرادوا عتقها بالأينية حين قال لها أين الله ؟ فأشارت إلى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع أنه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة الأينية على الباري جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين وثلاثمائة أنه صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالأينية ألا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة العالم قال تعالى وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [إبراهيم : 4] ثم إن التواطؤ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه في نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له في ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق تعالى في أينية ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذي عليه أمته فقال للجارية أين الله ولو أن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلي فإنه تعالى لا أينية له في نفسه وإنما الإنسان لقصور إدراكه لا يشهد الحق تعالى إلا في أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك إلا إن أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية ، بانت حكمته وعلمه ، وعلمنا أنه لم يكن في قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها إلا بحسب ما تصورته في نفسها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة لم يحصل لها القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم أن سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الجارية لما أشارت إلى السماء أنها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله في السماء كما قال تعالى وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ [الأنعام : 3] (فإن قلت) فلأي شيء لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها أنها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) إنما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو

....

يوم القيامة في ذلك الموطن المهول والشفعاء من الأنبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بإدمان ذلك التذكر . (قلت) : قد ذكر الشيخ في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة ما نصه إنما لم يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين جبريل كما هو شأن المنفرد لأنه صلى الله عليه وسلم لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف في صفهم خلفه ولو أنه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل وكذلك لو أن الرجل الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه كأن يشاهد من يصلي من الملائكة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم

أنها كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالأينية انتهى . فعلم أن من الأدب أن نقول إن الله تعالى معنا ولا نقول نحن مع الله لأن الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى إلى نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل أن يطبق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه المعية الوجودية الجامعة لحضرات جميع الأسماء والصفات وعلم أيضا أن الحق تعالى ظاهر المعية من الوجهة التي تليق بجلاله كما أنه ظاهر الصحبة من الوجه الذي يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والسفر مأخوذ من الإسفار الذي هو الظهور (فإن قلت) فما تقول في نحو قوله تعالى عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر : 55] وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي " فإن ذلك يوهم أن عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة أن عندية الحق تعالى حيث أطلقت في الكتاب والسنة فهي ظرف ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الإطلاق قال : وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي ثم أنشد رضي الله تعالى عنه:

فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها محمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هنا يعود على عندية الحق والخلق انتهى . وسيأتي إيضاح هذا المبحث في مبحث الاستواء على العرش إن شاء الله تعالى.

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ما نصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان إلى الله تعالى مع أنهما ظرفان محالان في حق الباري جل وعلا فقال تعالى: يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ [البقرة : 210] وقال صلى الله عليه وسلم " للجارية أين الله ؟ " فهذا ظرف المكان فذكر الله تعالى ورسوله ذلك ولم يجرح تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا أنكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ (31) [الرحمن : 31] وقال لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ [الروم : 4] فهذا ظرف الزمان . وقال صلى الله عليه وسلم أيضا " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر "

....

ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الأمور ببصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتأمله . وذكر الشيخ أيضا في الباب الأحد والثلاثين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ، ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه أي ولو كان الإمام الأعظم في حق آحاد رعيته فإنه تحت حكم رب البيت حيثما أقعده قعد ما دام في سلطانه والخليفة وإن كان أكبر منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرءوسا . قال : وكذلك حكم الخليفة إذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب قال : وكذلك الحكم إذا دخلنا على الله الذي هو في بيته الذي هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب إضافة البيت إليه ولذلك أمرنا

تنزيها لهذه الكلمة التي هي من الألفاظ المشتركة كالعين والمشتري والله تعالى أعلم.
المبحث التاسع : في وجوب اعتقاد أن الله تعالى ليس مثل معقول ولا دلت عليه العقول
قال تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] وإذا كان ليس كمثله شيء فمن المحال أن يضبطه اصطلاح لأن ما يشهده منه زيد ما هو عين ما يشهده منه زيد ما هو عين ما يشهده منه عمرو جملة واحدة ذكره الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلاثمائة من " الفتوحات " قال : وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط في مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام .
قال وأما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لأنه تعالى فعال لما يريد.
قال : ولهذا الذي قررناه كان لا يقدر عارف قط أن يوصل إلى عارف آخر صورة ما يشهده بقلبه من ربه عز وجل لأن كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل إلا بالأمثال فالكامل من وصل إلى الحضرة التي يتفرغ منها سائر الاعتقادات الإسلامية وأقر عقائد الإسلام بحق وكان سيدي علي وفا رحمه الله يقول من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم .
(فإن قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق
(فالجواب) إن سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد أكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلي الإلهي آنين حتى يكفيه ويمثله وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلاثمائة ما أثنى الله تعالى على نفسه بأعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى فإن قيل فهل الكاف في قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] كاف الصفة أو زائدة
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين وثلاثمائة أن الكلام على ذلك من الفضول لأن العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع إلى قصد المتكلم ولا يعلم أحد ما في نفس الحق تعالى إلا بإفصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هي أصلية أو زائدة انتهى .
(فإن قيل) إن أفراد العالم يشارك الحق تعالى في كونه لا مثل له فإنا قد اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها لا بد أن يزيد

....
أن نحييه بركعتين وأن لا نعمل فيه إلا ما أذن لنا في عمله . وقال : إنما كان الإمام لا يحمل عن المأموم شيئا من الأركان بخلاف السنن لأن الأركان من فروض الأعيان فلا يجزي فيها نفس عن نفس شيئا بخلاف ما ليس بفرض قال : وما عدا الفرض وإن كان حقا من حيث ما هو مشروع فهو على قسمين جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الأبعاض وقسم هو حق من حيث ترغيب العبد فيه فإن شاء عمل به وإن شاء تركه وليس له بدل كرفع الأيدي في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الأبعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار إليه خبر كانتا ترغيما للشيطان ، والشيطان من الكافرين وقال تعالى : وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ

أحدها على الآخر أو ينقص فلا مثل لها على هذا وقال تعالى وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ [الروم : 22] فلا تكاد تجد صورة تشبه أخرى من كل وجه ولو اصطف لك ألف ألف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة خرج عن المثلية
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين من " الفتوحات " أن الأمثال في العالم معقولة وإن كانت غير موجودة ويكفينا في التمييز عن الحق تعالى كونه معقولة وإن كان التوسع الإلهي يقتضي أن لا مثلية في جميع الأعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة إلهية أن لا يقع إدراك الحق تعالى إلا على من لا مثل له موجود فإذن المثلية أمر معقول لا محقق فإن المثلية لو كانت صحيحة موجودة ما امتاز شيء في العالم عن شيء مما يقال هو مثل له فكان الذي امتاز به الشيء عن ذلك الشيء الآخر هو عين ذلك الشيء إذ ليس هناك ما يميزه عن غيره حقيقة .
قال : وهذه المسألة من أغمض المسائل لأنه ماثم على ما قررناه مثل يوجد أصلا ولا يقدر على إنكار الأمثال لكن بالحدود لا غير ا ه . وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الإلهي علم أنه لا يتكرر شيء في الوجود وإنما وجود الأمثال في الصور يخيل لك أنها أعيان ما مضى وإنما هي أمثالها لا أعيانها ومثل الشيء ما هو عينه (مثاله) في الأشكال التربيع في كل مربع والاستدارة في كل مستدير فالشكل يريك كل متشكل لا يتغير والذي وقع عليه الحس ليس هو المتشكل وإنما هو الشكل فالشكل هو المعقول.
وقال في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر من غير مناسبة فهو مثله في النسبة لا مثله في العين ويسمى هذا في صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام أن يطير وكاد العروس أن يكون أميرا.

وقال في باب الأسرار : ما حجب الرجال إلا وجود الأمثال ولهذا نفى الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو تخيلته هنالك فالله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة إلى قيام الساعة انتهى والله تعالى أعلم بالصواب.
المبحث العاشر : في وجوب اعتقاد أنه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن
فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لأحد بالقهر والسلطان في الدارين غيره ولما كان لا

....
الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ [التوبة : 120] وقد بسط الشيخ الكلام على تكميل الفرائض من النوافل في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة ، فراجعه فيما سيأتي . وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة أن من انتقص من صلاته شيئا فإن الله لا يقبله ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات إلى بعض فإن كانت له مائة صلاة مثلا وفيها نقص كملت بعضها من بعض ، ثم أدخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلا أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك . هكذا حكم صلاة الثقلين . وأما صلاة الملائكة

يصح لأحد من الخلق أن يعرف ربه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فإن قلت) فهل حضرات هذه الأسماء الأربعة متقيدة لا تتصرف إلا في أهل حضرتها أم كل اسم يفعل فعل إخوانه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في " شرحه لترجمان الأشواق: " أن الحق تعالى أول من عين ما هو آخر وظاهر وباطن وآخر من عين ما هو أول وباطن وظاهر وباطن من عين ما هو ظاهر وأول وآخر ففي كل صفة ما في أخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه إذ لا تتعدى كل صفة من صفاتهم ما حده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطي سوى شم العطر والنتن ، وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم أن سبب توقف العقول الضعيفة في كون الصفات الإلهية تفعل كل صفة منها فعل أخواتها كون من توقف رأى أن القوى التي خلق الإنسان عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن أن صفة الحق تعالى كذلك انتهى.
وقال في موضع آخر من " شرحه لترجمان الأشواق " : قد تسمى الحق تعالى أزلا بالظاهر والباطن ولا يجوز حمله على محمل النسب والإضافات وإنما ينبغي أن يحمل على أنه أمر ذاتي يوصف به على الوجه الذي يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه.
وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم في " شرح المشاهد " : اعلم أن الأزل والأبد في حقه تعالى سواء حتى إن بعضهم استغنى بلفظ الاسم الأول عن الاسم الباقي إذ من شأن الأول البقاء السرمدي فإياك يا أخي أن تتوهم من نحو قولهم إن الله تكلم بكذا في الأزل أو قدر كذا في الأزل إن ذلك عبارة عن امتداد متوهم في زمان معقول كزمان الخلق فإن ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فإن الخالق قبل خلق الزمان المعقول لنا لا يتعقل إذ العقل الإنساني إنما وجد وجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم أن مدلول لفظة الأزل عبارة عن نفي الأولية لله تعالى فهو أول لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها وأطالت في ذلك رضي الله تعالى عنها.
وقال الشيخ محيي الدين في باب الأسرار : إنما أخبرنا تعالى بأنه الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ [الحديد : 3] ليرشدنا إلى ترك التعب في طريق معرفته الذاتية كأنه تعالى يقول الذي

....
والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص . انتهى والله أعلم.
وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء إلا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الأخير من الكتاب ما نصه : اعلم أنه لا يسمى نفلا إلا ما له أصل في الفرائض وأما ما لا أصل له في الفرائض فهو إنشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا قال الشيخ رضي الله عنه : : ولما لم يكن من قوة النفل أن يسد مسد

تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تصغ النفوس إلى هذا الإرشاد بل بحثت في الأدلة وصارت كل شيء ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو أنها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه المعارف لعرفت الأمر على ما هو عليه فكان طالبها لما غاب عنها هو عين حجابها ولو قدرت الذي ظهر لها حق قدره لشغلها بما تخيلت أنه بطن عنها والله ما بطن عنها شيء هو من مقامها وإنما حجب كل أحد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى.
وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه : قد محق الحق تعالى جميع الأغيار بقوله هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ [الحديد : 3] فقيل له : فأين الخلق ؟ فقال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالأنابيب التي في كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فإذا قبضت عليها لا تراها فهي موجودة في الشهود مفقودة في الوجود انتهى . (فإن قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور : إن ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر في حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات إنما هو راجع إلى إدراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف عن بصائرهم فإنه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا ينتزل بعد ارتفاع لأن ذلك من صفة الأجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وقال الشيخ في أوائل باب الصلاة من " الفتوحات " : اعلم أن العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى إلا إن شاهده وعبده من حيث أوليته المنزهة عن أن يتقدمها أولية لا من حيث أولية العبد عن أوليات كثيرة قبله فإذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هناك على كل عبادة عبدها أحد من المخلوقين إلى حين وجود هذا العابد انتهى . وهذا أمر نفيس ما سمعناه من أحد.
وقال الشيخ أيضا في الباب السادس والخمسين ومائتين : اعلم أن تجليات الحق تعالى بالأسماء لها ثلاث مراتب : الأولى أن يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شيء من أمر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة ، الثانية : أن يتجلى للعالم في اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الأبصار ولهذا يجد الإنسان في فطرته الاستناد إليه ، والإقدار به من غير

....

الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا ليجبر النفل بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الأصل ، ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها فيه فعلم أنه لا يصح نفل إلا بعد كمال فرض وأن في النفل عينه فروض ونوافل فيما من الفروض تكمل الفرائض والله أعلم.
(وقال) : مذهب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عدم الفتح على الإمام إذا أرتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ، ووجه مذهب علي أن الإمام في مقام النيابة عن الحق تعالى في تلاوة كلامه على العباد ، ولا ينبغي لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم وقال في

نظر في دليل ويرجع في أموره كلها إليه ، الثالثة : أن يتجلى في اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالأنبياء وكمل ورثتهم انتهى . فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك.

المبحث الحادي عشر : في وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الأشياء قبل وجودها في عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها

فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء (فإن قلت) فإذا كان العالم كله موجودا في علم الحق فماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر من " الفتوحات " أن العالم استفاد ببروزه إلى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لا أنه استفاد حالة لم يكن عليها

(وإيضاح ذلك) أن الأمور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى في مراتبها بتعداد صورها فلا بد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو أن الحق تعالى يدرك جميع الممكنات في حال عدمها ووجودها وتنوعات الأحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الأحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهي في العدم أدركت تنوعات الأحوال عليها في خيالها فما أوجد الله الأعيان إلا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئا بعد شيء على التتالي والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء لأنها كانت معلومة للحق تعالى أهي معلوم علمه وهذه المسألة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا من عثر عليها

(فإن قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الإضافي

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلاثمائة إن أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء فإنها تتقلب في لون ما تكون عليه من الأجسام على التدريج شيئا بعد شيء ما هي مثل المرآة تقلب الصورة بسرعة ولا هي جسم صقيل فقد أدركت يا أخي في الحس تقلب الحرباء في الألوان مع علمك بأن تلك الألوان لا وجود لها في ذلك الجسم الذي أنت ناظر إليه ولا في أعيانها في علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا إدراك الحق تعالى للعالم في حال عدمه وأنه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الإلهي انتهى.

ومما يقرب لكم أيضا تعقل شهود الحق تعالى للأعيان في حال عدمها قول الشيخ في باب

....

حديث : إذا قال العبد : الله أكبر يعني في صلاته يقول الله تعالى : أنا أكبر فإذا قال العبد : لا إله إلا أنت فيقول الله : لا إله إلا أنا الخ .

فإذا كان الحق تعالى لا يقول شيئا من ذلك إلا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لإمامه انتهى ، وهذا استنباط حسن .

(وقال) : في فصول الجمعة التي أذهب إليه أن صلاة الجمعة قبل الزوال لأنه وقت لم يشرع فيه فرض . قلت : وفي تعليله نظر فليتأمل والله أعلم . وقال : الذي أذهب إليه أن المسجد إذا كان له ثلاث مؤذنون أن يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لأنه خلاف السنة.

الأسرار : العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعيانا حالها العدم ثم إنه إذا أبرزهم إلى وجودهم تميزوا في الأعيان بحدودهم ولكن انظر وحقق ما أنبهك عليه وأشير وهو أن الله تعالى أوجد في عالم الدنيا الكشف والرؤيا ليقرب ذلك الأمر على ضعفاء العقول فترى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها وترى الساعة في مجلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فإن تفطنت يا أخي فقد رميت بك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى.
وقال في الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وإن لم تكن موجودة فما هي له مفقودة فهي في حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن في تصور ذلك فإن الله على كل شيء قدير انتهى . (فإن قلت) ما المراد بذلك الشيء الذي وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الإضافي (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الأعيان الثابتة في العلم الذي هو العدم الإضافي وليس المراد به العدم المحض لأن العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان ويؤيد هذا قول الشيخ في " لواقح الأنوار " في قوله : أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الطلاق : 12] أي قدير على شيء تضمنه علمه القديم فإن ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشيء وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ في باب التسعين من " الفتوحات " لا تتعلق قدرة الحق تعالى إلا بشيء موجود في علمه تعالى لقوله تعالى : أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الطلاق : 12] فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشيء مما لم يتضمنه علمه القديم قال : وإيضاح ذلك أن لا شيء لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقة لا شيء ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء أبدا وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبدا انتهى . (فإن قلت : قد قال الشيخ أبو الحسن الأشعري إن وجود كل شيء في الخارج عينه وليس بشيء زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين إن وجود الشيء أمر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكي والجلال المحلي . الحق ما قاله الأشعري وعليه فالمعدوم ليس في الخارج بشيء ولا ذات ولا ثابت أي لا حقيقة له في الخارج وإنما يتحقق بوجوده فيه ، وقد قال الجلال المحلي ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر
....
(قال) : وإذا أذن الثلاثة واحدا بعد واحد يقول الأول حي على الصلاة ويقول الثاني: حي على الصلاة في الجماعة ويقول الثالث : حي على الصلاة في الجماعة في هذا اليوم فيعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر انتهى ، فليتأمل ويحرر . وقال الذي أقول به جواز إقامة جمعتين في مصر واحد لأنه لم يأت في المنع من ذلك نص في كتاب ولا سنة ، قال : وكذلك أقول إن خطبة الجمعة ليست بفرض إنما هي سنة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا ينبغي لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الأئمة يصلونها بخطبة كما في صلاة العيدين مع إجماعنا أن خطبتهما سنة قال : ووجه من قال بالوجوب أنه تأول قوله تعالى : إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ

أيضا قال وذهب كثير من المعتزلة الجان المعدوم الممكن في الخارج شيء أي له حقيقة مقررة ، انتهى ما قاله الجلال المحلي في شرحه " لجمع الجوامع " .
(فإن قلت) فما الوجه الجامع بين قول الأشعرية إن العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة إنه وجد عن وجود (فالجواب) أن الوجه الجامع بين قولي الأشعرية والمعتزلة إن العالم حادث في الظهور قديم في العلم الإلهي فمن قال إنه حادث من الوجهين أخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم (فإن قلت) فما المراد بالحق الذي خلق الله تعالى به السماوات والأرض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين وثلاثمائة أن المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو أن العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك في الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ : وقد غلط في هذا الحق المخلوق به السماوات والأرض وما بينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق أن الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية تعالى الله عما يشكرون من أجل الباء فمعنى بالحق أي للحق فالباء هنا عن اللام في قوله تعالى : وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) [الذاريات : 56]
(وإيضاح ذلك) أن الحق تعالى لا يخلق شيئا بشيء وإنما يخلق شيئا عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهي لام فاعلم ذلك فإنه نفيس لا تجده في تفسير والله تعالى يتولى هداك.
المبحث الثاني عشر : في وجوب اعتقاد أن الله تعالى أبدع على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده
فإن أحدا منهم لا يقدر بإرادة الله على اختراع شيء إلا أنشأه في نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية إلى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال في حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بخلقه أزلا كما مر في المبحث قبله .
قال الشيخ محيي الدين : ولا يجوز أن يقال إن الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق تعالى بأنه عالم بها قبل اختراعهم لأن ذلك يؤدي إلى أنه تعالى اخترع شيئا لم يعلمه وقد ثبت بالأدلة القاطعة أنه عالم بكل شيء أزلا وأبدا فثبت لنا أن اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا في علمه تعالى ولو قدر أنا لم نكن كذلك في علمه لخرجنا

....
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ [الجمعة : 9] يعني سماع المواعظ في الخطبة وهو وجه ظاهر أيضا وأطال في ذلك ثم قال : ولما لم يرد لنا نص في إيجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها صح عندنا أن لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل على طريق التأسي لا على طريق الوجوب قال تعالى : لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: 21]
وقال تعالى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران : 31] فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازي من الله فيما فرض جزاء فرضين : فرض الاتباع وفرض الفعل الذي وقع فيه الاتباع ونجازي فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل

للوجود على حد ما لم يعلمه الله تعالى وذلك محال لأن ما لا يعلمه لا يريده وما لا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون إذن نحن موجودين بأنفسنا أو بحكم الاتفاق وإذا كان وجودنا بأنفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أي إضافي لا عدم محض كما مر بيانه في المبحث قبله

(فإن قلت) فعلى هذا التقرير إن قلنا إننا موجودون من عدم صدقنا أو من وجود يعني في العلم صدقنا

(فالجواب) نعم والأمر كذلك كما أشار إليه الشيخ في شعره في الباب الثامن والتسعين ومائة من " الفتوحات " بقوله:

فلو رأيت الذي رأينا * لما نفيت الذي رأيتا
فظاهر الأمر كان قولي * وباطن الأمر أنت كنتا
قد أثبت الشيء قول ربي * لو لم يكن ذاك ما وجدتا
فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين فقل صدقتا
لو لم تكن ثم يا حبيبي * إذ قال كن لم تكن سمعتا
فأي شيء قبلت منه * الكون أو كون أنت أنتا
:

وقد أشار الشيخ أيضا إلى نحو هذا المعنى بقوله في شعره أيضا في الباب الثامن والثلثمائة

عجبي من قائل كن لعدم * والذي قيل له لم يك ثم
ثم إن كان فلم قيل له * ليكن والقول ما لا ينقسم
فلقد أبطل كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذي * قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس في الشرع فلا * تك إنسانا رأى ثم حرم
واعتصم بالشرع في الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم
أهمل الفكر لا تحفل به * واتركنه مثل لحم ووضم
كل علم شهد الشرع له * هو علم فيه فلتعتصم

وإذا خالفك العقل فقل * طورك الزم مالكم فيه قدم
مثل ما قد جهل اللوح الذي * خط فيه الحق من علم القلم
إلى آخر ما قال والنكتة في التعجب كون الحق تعالى أضاف التكوين إلى الشيء دون قدرته الإلهية بقوله للشيء كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وإيضاح ذلك) لا يذكر إلا مشافهة لأهله والله تعالى أعلم ، (فإن قلت) فما فمعنى قوله تعالى : فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون : 14] فإنه يوهم أن ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بإرادة الله وخلق الخلق بلا واسطة (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة إن الفرق بين الخلقين أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود في علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما في شهود الخلق وأما العبد فإذا خلق بإذن الله شيئا كعيسى عليه السلام فلا يخلقه إلا عن تقدم تصور وتدبر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فما خلقها العبد إلّا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف إلى الله بلا واسطة والمضاف إلى الحق بواسطة وسيأتي بسط هذه المسألة في مبحث خلق الأفعال إن شاء الله تعالى فراجعه في المبحث الرابع والعشرين وتقدم في المبحث الثاني في حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين إلا لتشهدني بالواحدة وظلمتك يعني إمكانك بالأخرى والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث عشر : في وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يزل موصوفا بمعاني أسمائه وصفاته وبيان ما يقتضي التنزيه والعلمية ولا ما يقتضيهما
اعلم أن هذا المبحث من أجل المباحث فلنبسط لك الكلام فيه بكلام محققي المتكلمين ثم بكلام محققي الصوفية فأقول وبالله التوفيق : قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلي:
معاني الأسماء والصفات هو كل ما دل على الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كما أنه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهي ما دل عليها فعله من قدرة وعلم وإرادة وحياة أو دل عليها التنزيه له عن النقص من سمع وبصر وكلام وبقاء . قال : وأما

....
من قوله يصلي فناسب سبح اسم ربك الأعلى وهذا المعنى نظير الوتر فإنها شرعت في صلاة الوتر لينزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة إذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبته لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في الصلاة تناسب ما ذكره الإمام في الخطبة وقد قال تعالى : لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: 21] .
(وقال) : شرط من يناجي ربه أن يشاهد بقلبه ومتى تحدث في صلاته مع غير الله فما هو

صفات الأفعال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هي حادثة من حيث إنها متجددة إذ هي إضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها حين أوقات وجدانها وأطال في ذلك ثم قال فإن أريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالي ، انتهى كلام الجلال المحلي . قال ابن أبي شريف رحمه الله في " حاشيته على شرح جمع الجوامع " : ليس في كلام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ولا متقدمي أصحابه أن صفات الأفعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وإنما أخذ ذلك متأخر وأصحابه من معنى قوله في كتاب " الفقه الأكبر " كان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق وذكر أوجها من الاستدلال وأما الأشاعرة فيقول : ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بإيصال الرزق مثلا وفي كلام أبي حنيفة أيضا ما نصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال أبديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما أنه يحيى الموتى واستحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم وذلك بأنه على كل شيء قدير ، انتهى كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه . قال البرماوي : فقول أبي حنيفة ذلك بأن الله على كل شيء قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق موجود قبل الخلق وأن المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الأزل صحيح لمن له قدرة الخلق في الأزل هذا ما يقوله الأشاعرة . قال الكمال في " حاشيته " : وإنما بينت لك هذه العبارة مع طولها لأنها موضحة لكلام الجلال المحلي ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى . وسيأتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه أو غيره في الخاتمة آخر المبحث إن شاء الله تعالى (فإن قيل) فهل الاسم عين المسمى أو غيره

(فالجواب) أن الأصح كما قاله ابن السبكي إن الاسم عينه وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله ، وقال غيره : هو غيره كما هو المتبادر إذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلي : والمراد بما قاله الأشعري بالنظر للاسم الله إذ مدلوله الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فإن مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الأشعري لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات فإنه يفهم منه زيادة على

....

المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده بل لا يتجرأ مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته . وقال: يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء لأن ذلك يرجع إلى مجموع أيام السنة لا إلى أيام الأسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الأيام وذلك لأن فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لأمور عرضت إذا وجدت في أي يوم كان من أيام الأسبوع ، كان الفضل لذلك اليوم لهذه الأحوال العوارض ولهذا قال بعضهم : الغسل لأجل اليوم لا لأجل الصلاة.

الذات من علم أو غيره انتهى . قال ابن أبي شريف في " حاشيته " : على أنه لم يظهر لي في هذه المسألة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما وضح ذلك البيضاوي في أول " تفسيره " فقال : اعلم أن الاسم يطلق لمعان ثلاثة الأول : اللفظ المفرد الموضوع لمعنى ، الثاني : ذات الشيء والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية ، الثالث : الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة أمور لا يظهر كون شيء منها محلا للنزاع لأنه إن أريد بالاسم المعنى الأول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك في كونه غير المسمى إذ لا يشك عاقل أن لفظ النار غيرها كما مر وإن أريد به المعنى الثاني الذي هو ذات الشيء وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ إلى الاستدلال وإن لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وإن أريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأي الأشعري انقسم عنده انقسام الصفة إذ هي عنده على ثلاثة أقسام ما يرجع إلى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع إلى الأفعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع إلى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال إنها عين المسمى ولا غيره فإن المسمى ذاته وهو والاسم علمه الذي ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على تفسير الغيرين بما يجوز انفكاك أحدهما من الآخر ، قال:
وقد نبه الجلال المحلي على أن الاسم المسمى عند الأشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الأول لأن مدلوله الذات من حيث هي كما قال الأشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف.
وأما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة من الفتوحات : مما يؤيد قول من قال إن الاسم عين المسمى قوله تعالى : ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي [الشورى : 10] فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال : قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا [الإسراء : 110] ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله : ذَلِكُمُ اللَّهُ [الأنعام : 102] لم يصح قوله ربي انتهى . (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فإنه تعالى جعل اسمه عين ذاته إذ الذات لا تتحرك بها الشفتان وإنما تتحرك بالاسم الذي هو اللفظ فليتأمل والله أعلم . (فإن قلت) فما التحقيق في أقسام الأسماء

....

(وقال) : إنما قرن البيضة مع الحيوان في حديث التكبير إلى الجمعة لأن منها وفيها تتكون الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبيض قال : وإنما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة ، والبقرة ، والكبش ، والدجاجة لأن بذلك تعظم قوة الحياة في الشخص المتغذي فكأن المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب إلى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر في التقرب إلا الحيوان الذي يؤكل دون غيره . وقال الذي أقول به : إن الساعات التي وردت في فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الأول إلى أن يبتدئ الإمام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الأجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته

الإلهية ترجع هي إلى كم قسم (فالجواب) هي ترجع إلى ثلاثة أقسام أسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الأفعال وماثم مرتبة رابعة حتى ما استأثر الله تعالى بعلمه فإنه يرجع إلى هذه المراتب ثم إن هذه الثلاثة ترجع إلى قسمين : قسم يقتضي التنزيه كالكبير والعلي والغني والأحد وما يصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضي طلبه العالم كالمتكبر والمتعالي والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى إلها ، ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين من " الفتوحات " والباب الثاني والسبعين وثلاثمائة منها.

وقال في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة : اعلم أننا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا لأنه ما وصل إلى علمنا اسم إلا وهو على أحد أمرين إما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد وإما تنزيه وهو الذي يستروح منه إجلاله تعالى عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله تعالى (فإن قلت) فما ثم على هذا اسم علم الله تعالى ما فيه سوى العلمية أبدا إلا إن كان ذلك في علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله أبدا فيما وصل إلينا وذلك لأن الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلا لنثني بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وإنما هي أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمه بها عينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه المعاني اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال : ويؤيد ذلك قوله تعالى : وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف : 180] بها وليست إلا المعاني لا هذه الألفاظ إذا الألفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا

(فإن قلت) فإذن فما سميت أسماء الله الحسنى ليكون لها مقابل غير حسن وإنما هي حسنى من حيث ظهور حسنها في العرف

(فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه في العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة وأما الخاصة فحسن جميع الأسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى في سائر مراتب التنكرات في

....

الشارع . قال : والسعي إلى الجمعة سعيان سعي مندوب إليه وذلك من أول النهار إلى وقت النداء وسعي واجب وهو من وقت النداء إلى أن يدرك الإمام راكعا من الركعة الثانية . وقال في فصول صلاة السفر الذي أقول به : إن القصر جائز في كل سفر قريبا كان أو بعيد مباحا كان أو معصية وأطال في استدلاله على ذلك.

(وقال) : قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر بعرفة ، وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب إلى وقت العشاء بمزدلفة . واختلفوا

"140"
العالم هذا ما ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة وكان قبل ذلك يقول : لم نعلم من الأسماء الإلهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة إلا اسم الله لأنه اسم علم لا يفهم منه إلا ذات المسمى ولا يدل على مدح ولاذم وبسط الكلام على ذلك في الباب السابع والسبعين ومائة من " الفتوحات " بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته لك وكذلك طالعت جميع كتاب " لواقح الأنوار " في هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده . وقد قال الشيخ محيي الدين في هذا الباب الذي هو السابع والسبعون ومائة : وما قلناه من العلمية هو في مذهب من لا يرى أنه مشتق ثم إنه على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أوليس بمقصود له كما إذا سمينا شخصا بيزيد على طريق العلمية وإن كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو في جسمه مثلا وإنما سميناه به لنعرفه ونصيح به إذا ناديناه فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فإذا قبلت هذه الأسماء على هذا المعنى فهي أعلام وإذا قبلت على أسماء المدح فهي أسماء صفات ، قال : وبهذا وردت جميع أسماء الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طريق المعنى ، قال : وأما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وإن قال بعضهم باشتقاقه (فإن قلت) فهل أسماء الضمائر تدل على الذات كالأسماء الصريحة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين إنها تدل على الذات بلا شك فإنها ليست بمشتقة ولكنها مع ذلك ليست أعلاما وإن كانت أقوى في الدلالة من الأعلام فإن الأعلام قد تفتقر إلى النعوت وأسماء الضمائر ولا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والياء من أني والكاف من أنك ، فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وهو أعرف عند أهل الله من الاسم الله في أصل الوضع لأنه يدل على هوية الحق التي لا يعلمها إلا هو وأما ذا فهو من أسماء الإشارة مثل قوله : ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ [الأنعام : 102]

وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله تعالى : فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي [طه : 14]

وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله : كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ [المائدة : 117]

وكذلك القول في لفظة نحن وأنا مشددة ولفظة نا من نحو قوله : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ [الحجر : 9]

وكذلك حرف كاف الخطاب نحو قوله : فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة : 118]

فهذه كلها أسماء ضمائر وإشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار إليه ومكنى عنه وأمثال ذلك انتهى.

....

فيما عدا هذين المكانين ، والذي أذهب إليه أنه لا يجوز الجمع في غير عرفة ومزدلفة لأن أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز إخراج صلاة عن وقتها إلا بنص غير محتمل إذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بأمر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل أن يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص .

قال : وأما الجمع بين الصلاتين في الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى : وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج : 78] ولحديث : " دين الله يسر " ولقول ابن عباس في جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين في الحضر من غير عذر إنه أراد أن لا يحرج أمته . قال : وبذلك قال جماعة من أهل

"141"
وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذي هو آخر " الفتوحات " : اعلم أن الاسم الله إنما مسماه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذي بيده ملكوت كل شيء وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن كل اسم إلهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الأسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو إثبات من حيث

الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الأسماء الحسنى قال : وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال تعالى في معرض الحجة على من نسب الألوهية لغير الله تعالى قُلْ سَمُّوهُمْ [الرعد : 33] فلو سموهم ما سموهم إلا بغير الاسم الله لأنهم قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى [الزمر : 3] فقد علمت أن الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها انتهى.

(قلت) وقد بان لك تناقض كلام الشيخ في قوله إن الاسم الله علم أو غير علم فإنه ذكر أولا في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة أنه اسم علم ثم ذكر في الباب الذي هو التاسع والسبعون وثلاثمائة أنه غير علم ثم ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة أنه علم فليحرر والله تعالى أعلم ،

(فإن قلت) فعلى ما قررتموه من أن المراد من الأسماء الإلهية إنما هو معانيها لا ألفاظها تكون جميع الأسماء التي بأيدينا أسماء للأسماء الإلهية التي سمى الحق تعالى بها نفسه من كونه متكلما

(فالجواب) نعم وهو كذلك فنضع الشرح الذي كنا نوضح به مدلول تلك الأسماء على هذه الأسماء التي بأيدينا فإنه تعالى تسمى بها من حيث ظهورها للعالم فلها من الحرمة ما للأسماء القائمة بالذات كما قلنا في الحروف المرقومة في المصحف إنها كلام الله تعالى وإن كان لها تحقيق آخر يعرفه العلماء بالله

(فإن قلت) فهل يعم تعظيم الأسماء جميع الألفاظ الدائرة على ألسنة الخلق على اختلاف طبقاتهم وألسنتهم

(فالجواب) نعم هي معظمة في كل لغة لرجوعها إلى ذات واحدة فإن اسم الله لا تعرف العرب غيره وهو بلسان فارس خداي وبلسان الحبشة واق وبلسان الفرنج كريطور ، وابحث على ذلك في سائر الألسن تجد ذلك الاسم الإلهي معظما في كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم أن نسافر

....

الظاهر : وهو مذهب مرجوح وخالفهم الجمهور.

(قلت) : رأيت في كتاب “ رحمة الأمة في اختلاف الأئمة “ عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر أنه يجوز لمن وراءه حاجة أن يقدم الصلاة عن وقتها ما لم يتخذ ذلك عادة ، وقد وقع لي أنني حكيت هذا المذهب لبعض الإخوان فظن شخص من الحسدة أنني أفتيته به فأشاع عني ذلك في مكة ومصر ، هذا مع سماعه مني حكاية قول ابن عباس آخر الأمر من جمع بين صلاتين في الحضر من غير عذر فقد أتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه بمنه وكرمه والله أعلم.

"142"

بالمصحف إلى أرض العدو وهو بلا شك خط أيدينا وأوراق مرقومة بأيدي المحدثات بمداد مركب من عفص وزاج مثلا فلو لا هذه الدلالة التي في الأسماء والحروف لما وقع لها تعظيم وأطال الشيخ في ذلك في الباب السابع والتسعين ومائتين فراجعه . (فإن قلت) فإذن يحرم علينا التسمي بنظير أسماء الله تعالى كنافع ونور ووكيل ونحو ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والأربعين ، نعم يحرم ذلك ويجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وإن أطلقنا أسماء منها على أحد فإنما نذكره مع كوننا ذاهلين عن تعلقه بالله تعالى كما إذا قلنا فلان مؤمن فإن مرادنا به كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن وأما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤوفا رحيما فإنما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى فنسميه صلى الله عليه وسلم بما سماه الله تعالى به ولا حرج لأن

صاحب الاسم هو الذي خلع عليه ذلك الاسم مع اعتقادنا أنه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى .

(فإن قلت) فهل في أسماء الله تعالى أفضل ومفضول وإن عمها كلها العظمة والجلال أم كلها متساوية

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر لرجوعها كلها إلى ذات واحدة وإن وقع تفاضل فإنما ذلك الأمر خارج فإن الأسماء نسب وإضافات وفيها أئمة وفيها سدنة وفيها ما تحتاج إليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا تحتاج إليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلي بالنظر للأحوال المشاهدة فالذي يحتاج إليه الممكن احتياجا ضروريا الاسم الحي العالم المريد القادر والأخير في النظر العقلي هو القادر فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقي من الأسماء فكالسدنة لهذه الأسماء ثم يلي هذه الأسماء الأربعة في ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفضل ثم الجواد ثم المقسط فعن هذه الأسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى.

وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يذهب إلى التفاضل في الأسماء ويقول في قوله تعالى : وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا [التوبة : 40] هو الاسم الله فإنه أعلى مرتبة من سائر

....

(وقال) : الذي أقول به : جواز الجمع في الحضر للمريض ثم قال : والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به وأما من كان مرضه استيلاء الأحوال عليه بحيث يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لأن الحال مرض ، والمقام صحة . انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة .

وقال في صلاة الخسوف الذي أذهب إليه أن الإمام مخير في الصور التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فبأي صلاة صلى أجزأته وصحت صلاة الجماعة إلا الرواية التي فيها الانتظار بالسلام فإنه عندي فيها نظر لكون الإمام يصير فيها تابعا وقد نصبه الله متبوعا قال : وسبب توقفي من غير جزم من طريق المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الإمام أن يصلي بصلاة المريض وذوي الحاجة . قال : وقد جاءت الرواية أن الناس كانوا يأتمون بأبي

الأسماء ولذلك تقدم في التسمية وفي نحو قوله : اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [البقرة: 255] على ما ذكر مما يعطف عليه من الأسماء وأجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء كلها قال ونظير ذلك أيضا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت : 45] أي ولذكر الاسم الله أكبر من ذكر سائر الأسماء انتهى . قال الشيخ محيي الدين نحو ذلك أيضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال إنما خص الأمر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الأسماء لأن الطرق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعا له من الوصول إلينا بخلاف الأسماء الفروع انتهى.
وقال أيضا في الباب الثاني والثمانين في قوله تعالى : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ [الذاريات : 50] إنما جاء بالاسم الجامع الذي هو الله لأن في عرف الطبع الاستناد إلى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الأمان باستنادها إلى الكثرة والله تعالى مجموع أسماء الخير ومن حقق معرفة الأسماء الإلهية وجد أسماء الأخذ والانتقام قليلة وأسماء الرحمة كثيرة في سياق الاسم الله انتهى . فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك.
(خاتمة)
(فإن قلت) هل يصح لأحد الأنس بالله تعالى كما يصح الأنس بغيره من الأسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الأربعين ومائتين أن الأنس بالذات لا يصح لأحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول إنه لا يصح الأنس باسم من أسماء الله تعالى أبدا إنما حقيقة الأنس ترجع إلى ما يصل إلى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الأعمال لا غير ومن قال إنه أنس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله أعلم . (فإن قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الأسرار إن الذي أعطاه الكشف أنهما اسم واحد كما ذكر في السؤال انتهى.
وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة : وقد بلغنا أن الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما أفرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى ،
(فإن قيل) فهل كل اسم إلهي يجمع جميع حقائق الأسماء الإلهية أم كل اسم لا يتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع من " الفتوحات " أن كل اسم إلهي يجمع جميع حقائق الأسماء ويحتوي عليها مع وجود التمييز بين حقائق الأسماء في

....
بكر وأبو بكر يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه كان يخفف من أجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالإمام في مثل هذه الحالة يكون مؤتما بوجه إماما بوجه فلهذا لم يترجح عندي نظر في رواية الانتظار انتهى فليتأمل ويحرر .
وقال إذا كثرت وسوسة العبد في الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلي على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها في المحاربة ، ويؤدي الأركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور أنه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره بالإيماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر قال : وإن وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته

الشهود قال وهذا مقام أطلعني الله تعالى عليه ولم أر له ذائقا من أهل عصري انتهى . (فإن قلت) فهل يصح لأحد من الخلق التخلق بالقيومية الذي هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين إنه يصح التخلق به كباقي الأسماء الإلهية التي يصح التخلق بها لأحد من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا أبو عبد الله بن جنيد قال والحق ما قلناه من وقوع التخلق به انتهى . (فإن قلت) فهل يصح لأحد التخلق باسم الهوية أو الأحدية أو الغني عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لأحد لأن هذه الأمور من خصائص الحق تعالى فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لاعيانا ولا نظرا عقليا وقد قال أيضا في باب الأسرار : اعلم أن التخلق بالأسماء على الإطلاق من أصعب الأخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فإياك يا أخي أن يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك إلى مشهد من قال أعوذ بك منك فيمن استعاذ وإلى من لاذ انتهى . فتأمل في هذه الجواهر فإنك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل وإليه المصير.

المبحث الرابع عشر : في أن صفاته تعالى عين أو غير أو لا عين ولا غير

اعلم يا أخي أن نفي الصفات الذاتية ينسب إلى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الإسلام ابن أبي شريف في " حاشيته " وإنما أخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة وإلا فالمعتزلة متفقون على أنه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا فمعنى أنه متكلم أنه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على إنكار الكلام النفسي وزعمهم أن لا كلام إلا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح وأطال في ذلك ، ثم قال : ومذهب أهل السنة أن صفات الحق السبعة زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا : الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال وأما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالأشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وقال القاضي والإمامان وغيرهم كقوله المعتزلة إنه تعالى

....

كما أنه إذا شرع في الجهاد على الإخلاص ثم عرض له في أثنائه أن يقاتل رياء وسمعة فلا يبالي بذلك لأن الأصل صحيح في أول نشأة القتال فلا ينبغي أن يبطل عمله ويقع في مخالفة قوله تعالى : وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ [محمد : 33]

ويوافق غرض الشيطان وقال في صلاة المريض الذي أذهب إليه في دفع المال أن يدفعه من موضع جبهته فقط حال سجوده في الأرض فإذا حال بينه وبين موضع سجوده ، فلذلك المأمور أن يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعه ولا قتاله والإثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى بين يديه عند العرب إذا لم نجد عن الشارع في ذلك شيئا . قال : والصلاة صحيحة على كل حال.

باق لذاته لا ببقاء ، قال : والأدلة من الجانبين مسطورة في كتب أصول الدين قال وإنما نفى المعتزلة الصفات على ما مر تقريره هروبا من تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته ، انتهى . ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في حاشيته انتهى كلام المتكلمين.
وأما ما قاله الصوفية رضي الله تعالى عنهم فقد قال سيدي علي بن وفا رحمه الله : اعلم أن الذات شيء واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وإنما خلاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك إنما هو تعدد اعتباري والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لأصلها أو كالأصابع بالنظر للكف انتهى . (فإن قيل) فما الفرق بين الصفات والأوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة من " الفتوحات " أن الصفات يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف وأما الأوصاف فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة مالها عين موجودة انتهى.
وذكر أيضا في الباب السادس عشر وأربعمائة عن شيخه أبي عبد الله الكناني إمام المتكلمين بالمغرب أنه كان يقول : كل من تكلف دليلا على كون الصفات الإلهية عينا أو غيرا فدليله مدخول لكن من قال إنها عين فهو أكثر أدبا وتعظيما وسيأتي آخر المبحث الآتي عقبه إن من الأدب أن نسمي الصفات أسماء لأنه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هي عين أو غير وأحسن ما رأيته عنه في جميع " الفتوحات " ما ذكره في هذه الأبواب الخمسة الآتي ذكرها
وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلاثمائة والباب السبعين وأربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فأما ما قاله في الباب السابع عشر فقال :
اعلم أن جميع الأسماء والصفات الإلهية كلا نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة لأنه لا يصح هناك كثرة بوجود أعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو إله إلا بها لكانت الألوهية معلومة بها ثم لا يخلو أن تكون هي عين الإله فالشيء لا يكون علة لنفسه أو لا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فإن العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الإله من كونه معلولا لهذه الأعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم إن الشيء المعلول لا يكون له علتان

....

(وقال) : اختلفوا في النفخ في صلاة : هل هو كلام أو لا ؟
ومبناه على أن نفخ عيسى في الطائر بإذن الله هل يقطع حضوره مع ربه ؟ الأصح لا يقطع .
قال : فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما وما يجعل قوله بِإِذْنِي معمولا لقوله فَتَكُونُ طَيْراً لا لقوله فَتَنْفُخُ فِيها [المائدة : 110] ا هـ ، فليتأمل ويحرر .
وقال الذي أقول به أن المصلي يرد السلام على من سلم عليه فإنه ذكر الله وهو من الأذكار المشروعة في التشهد في الصلاة فله أصل يرجع إليه والدعاء في الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله:

وهذه علل كثيرة لا يكون إلها إلا بها فبطل أن تكون الأسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى . وأما ما قاله في الباب السادس والخمسين فهو قوله : اعلم يا أخي أن الاستقراء السقيم لا يصح في العقائد لأن مبناها على الأدلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين أدلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فأعطاه دليله أن لا يكون عالم قط إلا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالما قال وقد علمنا أن الحق تعالى عالم فلا بد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به ، قال الشيخ محيي الدين : وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها إذ لو كان ذلك بأمر زائد على ذاته وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات إلا بها لكان كماله تعالى بشيء زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر إذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذي دعا بعض المتكلمين أن يقول في صفات الحق تعالى إنها غيره فأخطأ طريق الصواب وسبب خطئه أنه رأى العلم من صفات المعاني بقدر رفعه مع كمال ذات العالم من الخلق فلما أعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى .
على أن الشيخ ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم أن من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بأمر زائد وذلك في كل علم يدركه الإنسان بعين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله إلى أمر آخر فإذا ورد عليه ما لا يقبله إلا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى . فليتأمل كأنه يقول فإذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق أولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى أن علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك وإياك والغلط
وأما ما ذكره في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة فهو قوله اعلم أنه لا يجوز الحكم على الله بشيء لأنه خير الحاكمين ومن هنا يعلم أنه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها ولا هو عينها وقد زل في هذه المسألة كثير من المتكلمين وأصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فإن الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير أن تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله أبا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى . وأما ما قاله في الباب السبعين وأربعمائة فهو قوله اعلم أن بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو

....
اللّهم اغفر لي ولوالدي ، وفي القرآن وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها [النساء: 86] فجاء بالفاء فلا ينبغي التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتأمل ويحرر.
(وقال) : الذي أقول به إن صلاة الناسي والنائم إذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لأن النائم والناسي غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه ، وليس ذلك وقتها في حقهما "

المعلوم للعلم والعلم صفة العالم فما عرف الحق تعالى منك إلا علمك لا أنت غير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب أي عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتمشى على قول بعض المتكلمين في الصفات إنها ما هي غيره فقط ويقف .
وأما قولهم بعد هذا المقول ولا هي هو فإنما ذلك لما رأوا من أنه معقول زائد على هو فنفي هذا القائل أن تكون الصفات هو وما قدر على أن يثبت هو من غير علم يصفه به فقال وما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه وقال صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره قال الشيخ محيي الدين وهو كلام خلي من الفائدة وقوله لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكنا إذا قلنا نحن مثل هذا القول لم نقله على حد ما يقوله المتكلم فإنه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد ولا يخالف كشفنا بأن الصفات الإلهية عين فإن من يقول إنها غير واقع في قياس الحق تعالى على الخلق في زيادة الصفة على الذات فما زاد هذا على الذين قالوا إن الله فقير إلا بحسن العبارة فقط فإنه جعل كمال الذات لا يكون إلا بغيرها فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين انتهى . فتلخص من جميع كلام الشيخ أنه قائل بأن الصفات عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك.
المبحث الخامس عشر : في وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية
فلا يجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما إلا إن ورد في الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا أن نطلق عليه الأسماء اللائق معناها به تعالى وإن لم يرد بها شرع ومال إلى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وليس الكلام في أسمائه الأعلام الموضوعة في اللغات وإنما الخلاف في الأسماء المأخوذة من الصفات والأفعال كما نبه عليه السيّد في " شرح المواقف " وقال المولى سعد الدين في " المقاصد " محل النزاع ما اتصف الباري جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا إذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير وهم إخلال انتهى.
قال الشيخ كمال الدين والقيد الأخير للاحتراز عن إطلاق ما يوهم إطلاقه أمرا لا يليق بكبرياء الله تعالى كلفظ عارف مثلا لأن المعرفة قد يكون المراد بها علما يسبقه غفلة وكلفظ فقيه فإن الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم منه شيء وذلك يشعر بسابقة جهل

....
حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه .
قلت : ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها وإذا لم يكن فيها روح فلا نأخذ بيد صاحبها يوم القيامة
قال : وهذه هي صلاة المنافق المصور الذي يقال له يوم القيامة : أحيّ ما خلقت ؟ فلا يقدر ، وإيضاح ذلك أن الحق تعالى ما شرع العبادات لمجرد إقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط وإنما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى أعلم.

وكلفظ عاقل فإن العقل علم مانع من الإقدام على ما لا ينبغي مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى.
هذا ما رأيته من كلام المتكلمين ، وأما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه : اعلم أنه لا يجوز إجماعا أن نشتق له اسما من نحو اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ [البقرة : 15] ولا من نحو قوله : وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ [آل عمران : 54] ولا من نحو قوله وَهُوَ خادِعُهُمْ [النساء : 142] ولا من نحو قوله : نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة : 67] وإن كان تعالى هو الذي أضاف ذلك إلى نفسه في القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط أدبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا ومخاطبتنا بالألفاظ اللائقة بنا لا به ثم أنشد:
إن الملوك وإن جلت مناصبها * لها مع السوقة الإسرار والسمر
فعلم أن تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله يزداد بذلك تعظيما في قلب العارف به قال تعالى : وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى [الأعراف : 180] يعني الواردة في الكتاب والسنة وماثم إلا حسنى لأنه لا يصلح أن يكون لها مقابل انتهى . وقد مر ذلك في المبحث قبله.
وقال في الباب السابع والسبعين ومائة : أليس لأهل الأدب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم إلى ذلك الكشف أو النظر الصحيح وقال أيضا في كتاب القصد لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه وما لا فلا فإنما نحن به وله وقال في باب الأسرار وغيره لا يجوز أن يقال في الحق تعالى إنه مصدر الأشياء وإن كان له وجه بعيد إلى الصحة لأنه قد يفهم العاقل منه أن العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال في شعره:
قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع
وقال الشيخ في كتاب " القصد " : لا ينبغي أن يقال في الحق تعالى قديم وإن كان هو بمعنى اسمه تعالى الأول ومثله الأزلي والأبدي قال وكذلك لا ينبغي أن يقال الحق تعالى ذو حياة وإنما يقال إنه تعالى حي كما ورد وذلك لقول الله تعالى : خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ [الملك : 2]
....
(وقال) : الذي أقول به : إن تارك الصلاة عامدا لا قضاء عليه لأنه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الإجماع على أنه آثم فينبغي له أن يسلم إسلاما جديدا ا ه ، فليتأمل ويحرر .
وقال : لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع إليه فإن أوقات الصلاة المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء إلا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا لا يتصور إلا في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع إليه في نظره ا ه . فليتأمل ويحرر . وقال في سجود السهو الذي أذهب إليه في

وما خلقه تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال إنه تعالى اخترع العالم إلا بوجه ما وذلك لأن العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه إلى عالم الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال إنه اخترعه وإنما يقال أبرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى أن يفعل كذا ويجوز أن يفعله لأن إطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع أن الجواز يفتقر إلى المرجح بوقوع أحد الجائزين وماثم فاعل إلا الله وقد افتقد أهل هذه المذاهب إلى إثبات إرادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير إرادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لأنه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى انتهى.

وقال الشيخ محيي الدين في الباب العشرين وأربعمائة : والذي نقول به إن إطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذي علمه الله تعالى ضرب الأمثال لله تعالى وذلك لأن العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز أنه يخلقها وجائز أن لا يخلقها فلا موجود ثم إذا وجدت فبالمرجح وهو الله وإذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة إلى تكلف إرادة زائدة وبذلك يستقيم كلام أهل هذه المذاهب وإن كان الأدب مع الله أكمل وأتم بل أوجب انتهى .

(قلت) والذي ذهب إليه القلانسي وعبد الله بن سعيد أنه لا يجوز إطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون الله يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسي وعبد الله بن سعيد على قولهم إنه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه جماعة من منكري الرؤية والله أعلم (فإن قلت) فهل الأولى الأدب أن تسمى الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الأولى ذلك قال تعالى : وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى [الأعراف : 180] ما قال الصفات الحسنى وقال الشيخ في باب الأسرار من الأدب أن تسمى الصفات اسما لأن الله تعالى قال وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها [الأعراف : 180] وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا خبر في الصفات لما فيها من الآفات ألا ترى من جعله موصوفا كيف يقول إن لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى أن الذات إذا توقف كما لها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال إلى صفاته ، وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل

....

موضع السجود للسهو أن المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام يسجد فيها قبل السلام والمواضع التي سجد فيها بعد السلام يسجد فيها بعد السلام . قال : وأما غير ذلك مما سها فيه المصلي فهو مخير إن شاء سجد ، لذلك قبل السلام وإن شاء بعد السلام.

(قال) : والمواضع التي سها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعا لأمته خمس شك فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين فسجد سلم من ثلاث فسجد صلى خمسا ساهيا فسجد . قال : واختلف الناس في سجوده هل سجد للزيادة ،

"150"
بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى : سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) [الصافات : 180] فنزه نفسه في هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى . وكذلك لا يقال أدبا : إن الله تعالى شيء إلا في المحل الذي ورد فيه ذلك ولا ينبغي القياس وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من " الفتوحات " سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه لست بشيء لأني لو كنت شيئا لجمعتني الشيئية فيقع التماثل وأنا لا أماثل انتهى . وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وإن كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك المنع كل ما لم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك.

المبحث السادس عشر : في حضرات الأسماء الثمانية بالخصوص وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقي

وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعاني أسماء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق : اعلم يا أخي أن الاسم الحي له التقدم على سائر الأسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الأول ولذلك قال تعالى : اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) [آل عمران : 2] فجعل اسمه تعالى الحي يلي الاسم الجامع للنعوت والأسماء ويستحيل وجود حقائق شيء من الأسماء من غير الحي وحقيقة الحي هو الذي يكون حياته لذاته وليس ذلك لأحد من الخلق إنما ذلك خاص بالله تعالى وقد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى " بعنقاء مغرب " يتعلق بحضرات الأسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخي فربما كأن لم يطرق سمعك قط وهو قوله : اعلم أن القدرة الإلهية لم تتعلق بإيجاد شيء إلا بعد وجود إرادة كما أنه تعالى لم يرد شيئا حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد تعالى ما لم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده تعالى كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال ويلي الاسم الحي في الظهور الاسم الباري وكأن لسان حال الأسماء الإلهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت لبعضها بعضا نريد ظهور أحكامنا لتتميز حضرات أعياننا بأسمائنا وآثارنا فقال بعضهم لبعض انظروا في ذواتكم فنظر كل اسم في ذواته

....

والنقصان أو لسهوه فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان ، والذي أقول به إنه سجد لهما سجدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان.

(وقال) : إنما شرع للمصلي أن يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ثلاثا لتكون واحدة لحسه وواحدة لخياله وواحدة لعقله فهو ينزه الحق في محل القرب أن يكون مدركا بحس أو خيال أو عقل فيرغم بذلك الشيطان.

(وقال) : إنما شرع جبر السهو بالسجود دون غيره من أفعال الصلاة وأقوالها لأن السهو

"151"
فلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا ولا المصور مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما . فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي بها يظهر سلطاننا وأحكامنا فلجأت الأسماء الإلهية التي يطلبها حقائق

العالم إلى الاسم الباري جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الأعيان فتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال الباري ذلك راجع إلى الاسم القادر فإني تحت حيطته قال : وكان أصل هذا كله أن الممكنات في حال عدمها سألت الأسماء الإلهية سؤال ذلة وافتقار وقالت للأسماء إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لأنعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الإجلال والتعظيم وأنتم أيضا كان يظهر علينا سلطنتكم بالفعل فإنكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الأسماء إن هذا الأمر تحت حيطة المريد فلا توجد عين منكم إلا باختصاصه ولا يمكننا الممكن من نفسه إلا أن يأتيه الأمر من ربه عز وجل فإذا أمره بالتكوين وقال كن ممكنا من نفسه وتعلقنا بإيجاده فكوناه من حينه فلجئوا إلى الاسم المريد عسى أن يرجح أن يخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ أجتمع أنا والآمر والمتكلم ونوجدكم فلجئوا إلى الاسم المريد فقالوا له : إنا سألنا الاسم القادر في إيجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه بإيجادكم فأخصص أو لم يسبق فإني تحت حيطته فسيروا إليه واذكروا قصتكم فساروا إلى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمي بإيجادكم ولكن الأدب أولى فإن لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فإنها حضرة الجمع فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال : ما بالكم وهو أعلم فذكروا له الخبر فقال : أنا اسم جامع لحقائقكم وأنا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة مدلولي فدخل على مدلوله وذكر له ما قاله الممكنات وما تحاورت فيه الأسماء فقال : اخرج وقل لكل واحد من الأسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات ، فإني أنا الواحد لنفسي من حيث ذاتي والممكنات إنما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لأني أنا الغني

....

أغلبه من الشيطان فلا يصح الجبر إلا بصفة لا يتمكن للشيطان أن يدنو من العبد حال تلبسه بها ، وهو السجود ، إذ الساجد في حال سجوده محفوظ من الشيطان لقربه من شهود ربه ، فلو أن الشيطان كان يقترب من العبد في سجوده للسهو لسها في سجوده سهوه وكان يتسلسل الأمر .
قال : ولهذا لم يرد لنا شرع فيمن سها في سجود سهوه ، ثم إنه لو وقع فلا يتعين أن يكون من الشيطان وإذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما إذا كان السهو من فعل الشيطان أو الغيبة فإن السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الأول من كونه سجودا والترغيم الثاني من حيث كون وسواسه لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا

والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتظهر آثارها فيهم وجميع الأسماء الإلهية للمرتبة لا لي إلا الأحد خاصة فإنه اسم خصص بي فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والأسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والقادر والمريد والقائل فظهر الممكن الأول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الأعيان والآثار في الأكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت إليه من الأسماء فأدى ذلك إلى منازعة وخصام فقالوا إنا نخاف أن يفسد علينا نظام حضراتنا ونلتحق بالعدم الذي هو عدم ظهورنا كما كنا قبل . تنبهت الممكنات الأسماء بما ألقى إليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كان حكمكم أيها الأسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم بإمام ترجعون إليه ليحفظ علينا وجودنا ويحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكن فالجئوا كلكم إلى الله حتى يقدم لكم من يحدلكم حدا تقفون عنده وإلا هلكتم وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا إن الاسم المدبر هو الذي ينهي أمركم فأنهوا إلى المدبر الأمر فقال أنا لها فدخل وخرج بأمر الحق إلى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى : يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [الرعد : 2] الذي هو الإمام يعني الرب فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الأمر عليه في نفسه فحد الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لإصلاح المملكة ولنبلونهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في " عنقاء مغرب " وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله في ذلك المعنى .

(فإن قلت) هل من الأسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم في كلام " عنقاء مغرب " فنقول مثلا : لا يكون مريد إلا عالما ولا عالم إلا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى

(فإن قلت) فهل الأسماء الإلهية تتراص بين يدي مسماها كما تتراص الملائكة بين يدي ربها

(فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة (فإن قيل) فما أول صفوف الأسماء

(فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين : أولها الحي وإلى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر وإلى جانبه العالم المريد وإلى جانبه القائل وإلى جانبه القادر وإلى جانبه الحكيم وإلى جانبه المقيت وإلى جانبه المقسط وإلى جانبه المدبر وإلى

....

يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان ، وإنما شبيه مغيب المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فإن من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد أو خوف مزعج أو غير ذلك .

وقال : الذي أقول به : إن الإمام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لأننا ما رأينا الشارع فرق بين الإمام والمأموم في الأمر بسجود السهو ، وإنما ذكر المصلي خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى : وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الإسراء : 15] لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً

جانبه المفصل وإلى جانبه الرازق وإلى جانبه المحيي فهكذا صفوف الأسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا (فإن قيل) فهل يكون التخلق بالأسماء الإلهية على حكم ترتيب صفوفها أم لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلف باسم منها إلا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الأوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة في غير محله المشروع (فإن قيل) فهل بين حضرات الأسماء الإلهية بون معقول أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في " الفتوحات " ليس بين حضرات الأسماء الإلهية بون معقول حقيقة لارتباط الأسماء كلها بمسماها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الأسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا بالياء المشعر بالبعد مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يتحكم في أعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى فكان كل اسم يقول بلسان حاله العبد هلم إلى حضراتي فإذا كان العبد تحت سلطان حكم إلهي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به العبد أو نهى عنه فإن الاسم الإلهي الذي يعطي حكمه للعبد موافقة ما أمر به أو نهى عنه بعيد عن هذا المخالف في حضرة الشهود فيناديه ليرجع إلى حضرته ويصغى لندائه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقة لما أمره به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان إلا إن عصم أو حفظ (فإن قلت) فإن العبد أسير تحت سلطان الأسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضي حكم اسم إلا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الأسماء تجاذبه ليلا ونهارا ومحال أن يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطلب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا يخلو عبد من أن يكون في عمل لأحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم إلا المعصوم أو المحفوظ كما مر والله تعالى أعلم انتهى ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحي وتوابعه . (وأما الاسم العالم) فقال الجلال المحلي محقق الزمان : العالم هو الذي علمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم وإلا فمتعلقات علمه تعالى غير متناهية قال تعالى : أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطلاق : 12] وقال : وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً [الجن: 28]وقال : يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى [طه : 7] وقال : يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ (19(

....

[البقرة : 48] و كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) [المدثر : 38] قال : فمن بحث عن هذا المعنى علم أن الإمام لا يحمل سهو المأموم وأن مكحولا كحل عينه في هذه المسألة بكحل الإصابة فانجلت عين بصيرته.

(وقال) : الذي أقول به : إن الإنسان إذا رفع عنه التكليف لغلبة حال أو جنون أو صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور . قال : وإيضاح ما قلته أنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع فإن الشارع قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما

[غافر : 19] وقال : أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) [الملك : 14] فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات وجزئيات أما الكليات فعلى الإطلاق وأما الجزئيات فبالإجماع من أهل النظر والاتفاق
(فإن قلت) كيف أجريت خلافا في كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة إيمانك
(فالجواب) إني أجريت تبعا لغيري في الإشارة للخلاف في تعلق العلم بالجزئيات وإلا فأنا أعتقد جزما أن الله تعالى عالم بكل شيء ولا يعزب عن علمه شيء وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بأرض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شيء فما أدري أين هؤلاء الذين قالوا إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الأئمة ذلك ولعل من حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من أن الظاهر أن الأئمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من " الفتوحات " اعلم أنه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كمال علم الله عز وجل حتى إن الذين نقل عنهم أنهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات بل علمه بها مندرج في علمه بالكليات لا يحتاج ذلك إلى تفصيل في طريق علمه بها كما هو شأن خلقه فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفي العلم عنه تعالى بها مطلقا وإنما قصدوا بذلك أن الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسي بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه فأخطأوا في التعبير من حيث عباراتهم أو همت ما أضيف إليهم من المذهب وإلا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى .
(قلت) ولعل من حكم بتكفير من قال إن الحق غير عالم بالجزئيات ظن أنهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق أنهم كانوا كافرين قبل ذلك بأمور أخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال في باب الأسرار من " الفتوحات " ليس من وصف الكمال أن يكون في علم الحق تعالى إجمال من أن الإجمال في المعاني محال وإنما محال الإجمال الألفاظ والأقوال انتهى.
(فإن قلت) فما المراد بقوله تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] وقوله تعالى : وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ [الحديد : 25] ونحوهما من الآيات فإن ظاهر ذلك يقتضي أن الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات
(فالجواب) أن هذه مسألة اضطرب في فهمها فحول العلماء ولا يزيل إشكالها إلا الكشف الصحيح
<u>وقد قال الشيخ في الباب الرابع عشر وخمسمائة من " الفتوحات "</u> : اعلم أنه ليس وراء الله مرمى وما وراءك أيضا مرمى لأنك معلوم علمه تعالى

....
التصرف فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال : زال عنه حكم الشرع وهو حكم له بالإباحة كما حكم على المكلف بالإجماع بالإباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج أحد عن حكم الشرع ومعلوم أن أحوال الشرع مبنية على الأحوال لا على الأعيان كما أفتى الإمام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعا للاسم وأطال في ذلك.
(وقال) : في حديث هل على غيرها قال : لا إلا أن تطوع أي فهو عليك فيجب عليك الوفاء بإتمامه كما يجب في فروض الأعيان ودخل في هذا الباب النذر قال تعالى : وَلا تُبْطِلُوا

وبك كمل الوجود فهو حسبك كما أنك حسبه ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود ولولا عدمك ما كنت مقصودا فصح حدوثك ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به وهذا من أعجب ما في الوجود وأشكله على العقول كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك فإن الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق تعالى فلهذا قلنا إن الوجود حسبك كما أنك حسبه لأنه الغاية التي إليها ينتهي وماثم بعده إلا أنت ومنك علمك وما بقي بعدك إلا المحال وهو العدم المحض انتهى . وهذا الموضع ما في " الفتوحات " أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الإسلام والله تعالى أعلم .

وقال في الباب الثاني والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الخبير : اعلم يا أخي أن الخبير هو الذي حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد فهل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما تنزل لعقولنا في آية الاستواء وفي النزول إلى سماء الدنيا ونحو ذلك مع أن ذلك ينافي صفات التنزيه انتهى.

وقال الشيخ أيضا في باب الأسرار في قوله : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] اعلم أن من علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسألة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول.

وقال في معنى هذه الآية في موضع آخر من هذا الباب : اعلم أن للعالم أن يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع أنه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه إلى نفسه أم يتوقف.

وقال في موضع آخر : من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا [النساء : 136] فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن وقال في موضع آخر من باب الأسرار من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] وهو العالم بما يكون منهم فافهم وإذا فهمت فاكتم وإذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم

....

أَعْمالَكُمْ [محمد : 33] . قال : فينبغي إذا قرأ سورة بعد الفاتحة أن لا يتروى فيما يقرأ بل كل شيء جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة ، فإن الخاطر الأول له مرتبة على الثاني.

(قلت) : وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة أيضا ما نصه : أن من أدب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه من كلامه وبحسب ما يلقي تعالى إليه في خاطره وأطال في ذلك والله أعلم.

أن الفتنة اختبار في البصائر والأبصار وقال في موضع آخر منه لما أخبر الله تعالى أن العلم انتقل إليه من الكون بقوله حتى نعلم سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله أعلم . فالولي الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا أخي الذي علمك ما لم تكن تعلم وأطال في ذلك ثم قال فقد علمت أن العلم المستفاد للعليم يعم في وجوب الإيمان به الحادث والقديم وإن عاندت في ذلك فتأمل في قوله : حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك إيمانا ولا تنفرد قط بعقلك دون نقلك فإن التقييد في التقليد وعلم الحق لنا قد يكون معلوما وأما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك فإني لست من جنسك انتهى كلام الشيخ في باب الأسرار فتأمله . وقال في الباب الرابع وأربعمائة : اعلم أن من أشكل العلوم إضافة العلم إلى المعلومات والقدرة إلى المقدورات والإرادة إلى المرادات وذلك لأنه يوهم حدوث التعلق أعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فإن المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم إذ هي معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بأنها لا تتناهى.
قال : ولما كان الأمر على ما أشرنا إليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى في هذا المقام حَتَّى نَعْلَمَ [محمد: 31]وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الإلهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك ولكون ذلك غير داخل في الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء في هذه الآية لاضطراب أفكارها . قال الشيخ : وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الإشكال في هذه المسألة فألقى تعالى في قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات وماثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهي عين وجوده وليس لوجوده افتتاح وانتهاء فيكون له طرف لأن نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رَفِيعُ الدَّرَجاتِ [غافر : 15] ومعلوم أن المعلومات هي متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهي وجود بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخي لذلك فإنه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فإن الحق تعالى لا يتصف بالدخول في الوجود المحصور فيتناهى إذ كل ما دخل في الوجود متناه والباري تعالى هو الوجود الحقيقي فما هو داخل في هذا

....

(وقال) : الذي أذهب إليه في القراءة في ركعتي سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لأن وقتها وقت برزخي فأشبهت النائم في كونه يرى في نفسه أمورا والذي إلى جانبه لا يعرف ما هو فيه فمعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضا بينها وبين صلاة الصبح ، ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس في الأشياء ، وقال في قيام رمضان الذي اختاره أن يصلي ثلاث عشرة ركعة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا

الوجود لأن وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فإن منه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله فيه ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى أعلم . (فإن قلت) فهل اطلع أحد من الأولياء على سبب بدء العالم الذي هو تأثير الأسماء في الممكنات كما مر من أن الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا وهكذا (فالجواب) إن هذا من علم سر القدر وعلم القدر إنما هو خاص بأفراد من كمل الورثة المحمديين قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من " الفتوحات " اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم إلا تعلق العلم القديم أزلا بإيجاده فكون تعالى ما علم أنه سيكون وهنا انتهى علمهم وأما نحن فأطلعنا الله تعالى على فوق ذلك من طريق الوهب وهو أن الأسماء الإلهية المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الأول التي لا يعلمها إلا هو قال الشيخ ولا أدري أعطى الله ذلك لأحد من أهل عصرنا أم خصنا به من بينهم انتهى . (فإن قلت) فما معنى سبق الكتاب في حديث إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فإنه تعالى ما كتب إلا ما علم ولا علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغيراتها إلى ما لا يتناهى فلم يوجدها إلا على ما هي عليه في علمه تعالى وإذا تعلق علمه تعالى بالأشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فماثم على ما قلناه كتاب يسبق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وأربعمائة أن معنى سبق الكتاب إنما يكون بإضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الشيء الذي تعلق به العلم إلى حضرة الوجود على الهيئة التي كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فإن الكتاب سبق وجود ذلك الشيء قال الشيخ : ولا يطلع على هذا ذوقا إلا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم في رؤيا الإنسان أن الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذي يشهد الأمور قبل تكوينها في حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وإنما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب إذ الكتاب ما سبق عليه إلا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال

....

سجوده وفي مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " للمسيء صلاته ارجع فصل فإنك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من إتمام ركوعها ، وسجودها ، والطمأنينة في محالها الأربع ، والوقار ، والتدبر ؛ والتسبيح وإلا فتركه أولى وأطال في ذلك . وقال الذي يتأكد المواظبة عليه من السنن المنطوق بها في السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر ، وأربع ركعات قبل العصر ، وركعتان قبل المغرب ، وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالأخيرة منهن وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو حسن ولكن

ومن هنا إن عقلت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة البالغة . لو نوزع فإن من المحال أن يتعلق العلم الإلهي إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو أن أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني لقال الحق تعالى وهل علمتك إلا على ما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] فارجع إلى نفسك وأنصف في كلامك فإذا رجع العبد إلى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وأن الحجة لله تعالى عليه بل يصير هو يقيم لله على نفسه الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى أيضا وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل : 118] ونحوها من الآيات يعني فإن علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم في القدم إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتي بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين في بيان أن لله الحجة البالغة . (فإن قلت) فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق (فالجواب) أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فإنه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيي الدين بعد ذكر هذا الجواب : وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال : وهي مسألة دقيقة ما في علمي أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى إلا إن كان وما وصل إلينا وما من أحد إذا تحققها يمكنه إنكارها وفرق بين كون الشيء موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الأزلي له فهو مساو للعلم الإلهي ولا يعقل بينهما بون إلا بالرتبة انتهى . قال الشيخ : ولو لم يكن في كتاب الفتوحات إلا هذه المسألة لكانت كفاية في شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله:

اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم إذ العلم متأخر عن المعلوم لكونه تابعا له هذا تحقيقه فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات وهي نسبة لا يصح رفعها في مشهد أحد من الأكابر ولو ارتفعت رتبته فهي متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر في معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فإنك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به ولعلمك فيه أثر في معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فإنك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به ولعلمك فيه أثر والمحال

....

اتباع السنة في كل الأمور أحسن . (قلت) : ذكر الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة: ليس للملائكة نافلة إنما هم دائما في فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل عندهم بخلاف البشر وقال في صلاة التحية : الذي أقول إن التحية لا تستحب للداخل للمسجد إلا إن أراد القعود في المسجد فإن وقف أو عبر ولم يرد القعود فإن شاء ركع وإن شاء لم يركع وإن قعدوا لم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوي بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقي فافهم ، وحرره . وإن كان فيه شيء . وقال في صلاة العيدين إنما سمي العيدان بذلك لأنه شرع فيهما اللهو واللعب المباح ، وحرم فيهما الصيام على

بنفسه أعطاك العلم به أنه محال فمن هنا يعلم أن العلم لا أثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر فقد ظهر لك أن إيحاد أعيان الممكنات صدر عن القول الإلهي كشفا وشرعا وصدر عن القدرة الإلهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن في عينه فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا كما تعلقت به معد وما انتهى (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام : 101] هل عليم بمعنى عام أو بمعنى معلوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة أن بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول كقتيل وجريح وأما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم وبمعنى معلوم معا فإن الباء في قوله بكل شيء بمعنى في فهو تعالى في كل شيء معلوم وبكل شيء محيط أي له في كل شيء إحاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك إلا لله ولمن أعلمه الله قال : والأصل في ذلك كله أن الظرفية هل هي أصلية في الكون ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا أو هي في الحق بحسب ما ينبغي لجلاله وظهرت فيه العالم بالفعل كما في في قوله في الحديث للجارية أين الله انتهى . فتأمل في هذا المحل وحرره والله يتولى هداك.
(خاتمة) ذكر سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى : أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [الطلاق : 12] ما نصه كل ما كان من صفاتك فهو في الأصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه على هذا فقس فإنه تعالى إن لم يكن كل ما هو شيء معلوم لم تتم له تعالى هذه الإحاطة العلمية والله تعالى أعلم (وأما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون : القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع وإنما عبروا بقولهم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى وإن كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية . (فإن قلت) فهل يقال إن الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الإرادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل لأنه واجب الوجود لذاته والإرادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة : 20] فإنه تعالى أثبت الشيء الذي هو قدير عليه فما بقي لمقدرته متعلق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الموفى تسعين من

....

المكلف فعادله الأجر في فعل ذلك كما يحصل له ذلك في فعل السنن المشروعة في الصلاة وغيرها .
قال : وقال بعضهم إنما سمي العيدان بذلك لعودهما في كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فإن تعلل قائل ذلك بالزينة في العيدين . قلنا : والزينة مشروعة في كل صلاة وأيضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا سمي عيدا .
وقال : إنما لم يشرع في العيدين الأذان والإقامة ، لتوفر دواعي الناس على الخروج في هذين اليومين إلى مصلى العيد مع ما شرع الذكر المستحب للخارجين والأذان والإقامة إنما شرعا للاعلام ليتنبه الغافلون والتهيؤ هنا حاصل.

" الفتوحات " : المراد بالشيء الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شيء تعلقت به إرادته مما تضمنه علمه القديم وإيضاح ذلك أن كل من علم استحالات الأعيان في الأعيان وتقلب الخلق في الأطوار علم أن الله على كل شيء قدير لا على ما ليس بشيء في علمه فإن لا شيء لا يقبل الشيئية إذ لو قبلها ما كانت حقيقة لا شيء ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا فلا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء بعده أبدا وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء أبدا انتهى . (فإن قلت) فهل اطلع أحد من الأولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة لإيجاد أو هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه إلا الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في " شرحه لترجمان الأشواق " : إن ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه إلا الأفراد قال وقد أطلعنا الله تعالى عليه لكن لا يسعنا الإفصاح عنه لغاية منازعة المحجوبين فيه قال تعالى : وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ [البقرة : 255] فأدخله تحت المشيئة وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية فإن الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبي بكر رضي الله عنه فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدري ما يوم لا يوم ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : نعم ذلك يوم المقادير أو كما قال كما تكلمنا عليه في عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى . (فإن قلت) فهل يقال إن قدرة الحق تعالى تتعلق بإيجاد المحال كتجسد المعاني وإيجاد شخص في مكانين أو أمكنة في آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثمانين ومائتين أن قدرة الله تعالى مطلقة فله إيجاد المحالات العقلية وأطال في ذلك . وقال في كتابه " اللوامع " في قول الإمام حجة الإسلام ليس في الإمكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الإمام بسبب هذه المقالة ومعناها في غاية الوضوح وذلك أنه ما ثم لنا إلا مرتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا اه. وقال في الباب الثامن من " الفتوحات " في شأن المدائن التي خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الأرض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الأرض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل

....

(وقال) في صلاة الجنازة : إنما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه . (قلت) : وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وأن منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن أنه تهود أو تنصّر والحال أنه ما نطق باسم ذلك النبي إلا فرحا بقدومه عليه لكونه وارثا له فراجعه والله أعلم.

(وقال) : إنما لم نؤمر بغسل الشهيد في معركة الكفار لأنه حي يرزق بنص القرآن ونحن

وأن الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية أو حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره في هذه الأرض وأطال في ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم.

(وأما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذي تتوجه إرادته على المعدوم فتوجده فما علم الله تعالى أنه يوجده أراده فأوجده وما علم أنه لا يوجده فلا يريد وجوده فالإرادة تابعة للعلم فعلم أن القدر خيره وشره كائن بإرادته وهو إيجاد الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذوات الأشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقائد من الأشاعرة .

وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثلاثين وثلاثمائة : اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى في اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو إرادته تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وأما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم في القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى.

وقال في الباب الثالث عشر وأربعمائة : فإن قيل فهل يجب الرضا بالمقضى كالقضاء فالجواب هو الذي عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضي

(وإيضاح ذلك) أن الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا أنه يريد الإجمال فإنه إذا فصله انقسم إلى ما يجوز لنا الرضا به وإلى ما لا يجوز وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شيء بقضاء وقدر أي بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الإيمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الإيمان به لا الرضا ببعضه وصورة الإيمان بالشر أن يؤمن العبد بأنه شر كما يؤمن بالخير أنه خير لكن لا يضاف إلى الله تعالى أدبا كما أشار إليه خبر " والشر ليس إليك " انتهى . فعلم أنه تعالى فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ [هود : 107] فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسماوات كما مر بسطه فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ [الإنسان : 30]

(فإن قلت) فهل يطلق على الإرادة مشيئة وعكسه أو بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذي عليه الجمهور أنه يطلق

....

إنما أمرنا بغسل الميت والشهيد حي لا يقال فيه إنه ميت وإنما قال تعالى في الشهداء : عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ [آل عمران : 169] تنبيها على أن الشهيد حاضر عند الله والميت إنما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا ويلقاه في البرزخ على طهارة ، والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج إلى غسل فافهم .

وسيأتي في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك وقال : لا يكون الرجل كاملا في العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن قال تعالى في معرض الذم لقوم يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [الروم : 7] (وقال) رضي الله عنه إنما شرعت الفاتحة في صلاة الجنازة لأن الميت في حال جمعته بلقاء

"162"

على الإرادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم : الإرادة أخص من المشيئة والمشيئة أعم لأن المشيئة تتعلق بالإيجاد والإعدام والإرادة لا تتعلق لا بإيجاد الممكنات فمتعلقها العدم الإضافي فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الإطلاق لأنها توجد وتعدم

قال تعالى : إِنَّما أَمْرُهُ أي مشيئته إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس : 82]

وقال تعالى : إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ [إبراهيم : 19] فهو أعم من الإرادة من هذا الوجه انتهى . والحق الأول لأن من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه أهل الكشف وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوا صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فإن قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة أو هما بمعنى (فالجواب) أنهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى أنهما لا يكونان إلا في فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والإرادة لأنه قد يكون المشاء والمراد بهما محمودا كالطاعة والإيمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شاء ربك ما فعلوه ، وقالت المعتزلة : الرضا والمحبة نفس المشيئة والإرادة لأن صفات الحق تعالى كلها كاملة فكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى .

وهذا الذي قاله المعتزلة صحيح إن حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الإلهي ، وأما إن حملناه على الكلام من حيث الأوامر والنواهي فليس بصحيح لأن به تصير المأمورات في رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة

(فإن قلت) فما الفرق بين الإرادة والشهوة المتعلقتين بالخلق

(فالجواب) الفرق بينهما أن الإرادة صفة إلهية في الأصل ومتعلقها كل مراد للنفس أو العقل ولو غير محبوب للشارع وأما الشهوة فهي صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة (فإن قلت) فهل الإرادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم أم هي على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الإرادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفتها على مذهب من يقول : إنها زائدة وبه

قال الشيخ محيي الدين في " الفتوحات " في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال:

الصحيح عندي أن الإرادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لإمكانه في القبول لأحد الأمرين على البدل فإنه لولا معقولية هذين الأمرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للإرادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى .

(فإن قلت) فإذا كان الشر والمعاصي من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله إن الله لا يأمر بالفحشاء

(فالجواب) إن الأدب أن يقال في الشر قضاه وقدره ولا يقال أمر به وإن كانت الإرادة أقوى في النفوذ من حيث أنه لا يمكن لأحد

....

ربه فناسب قراءة الفاتحة لأنها قرآن أي جمع وأيضا فلما فيها من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدي الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدي الله ويثني على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى إياها لا يعلمه الآن ثم يشفع والله أعلم.

(وقال) : ما شرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت إلا وهو يريد أن يقبل

"163"

عصيانها بخلاف الأمر فإنه يعصى بإرادة الله تعالى وأيضا فإن الأمر موضوع تسميته إنما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الإرادة ولو قيل إن الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهي في الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء وأضاف الأمر بها إلى النفس والشيطان.

وقال الشيخ محيي الدين في " عقائده الوسطى " : اعلم أنه يصح أن يقال كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال إنه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال أرادها ثم قال بيان كونه تعالى لا يريدها أن كونها فاحشة ما هو عينها وإنما هو حكم الله فيها وحكم الله في الأشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء . وما لم تجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق إذ الإرادة لا تتوجه إلا على معدوم لتوجده قال فإن ألزمنا ذلك في جانب الطاعات التزمناه وقلنا الإرادة الطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فأثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها في الطاعات إيمانا كما قبلنا وزن الأعمال مع كونها أعراضا فلا يقدح إيماننا بها فيما ذهبنا إليه لما اقتضاه الدليل انتهى .
وهو كلام دقيق فليتأمل ويحرر فعلم مما قررنا أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد وكذلك اللطف والطبع والختم والأكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد ولنفسر لك معاني هذه الأمور فنقول وبالله التوفيق : أما الهداية والإضلال فالمراد بهما خلق الإيمان والكفر في العبد وهذا من مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة إن الهداية والإضلال بيد العبد بناء على قولهم إن العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما أخطأ فيه المعتزلة كل الخطأ فإن الحس يكذبهم فضلا عن الأدلة الشرعية ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من أغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط.
وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين : إن المراد به خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية ،
وقال إمام الحرمين : هو خلق الطاعة فقط أي لا مع الداعية لعدم تأثيرها وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية إليها.
وقال إمام الحرمين : هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيي
....
شفاعتنا فيه فإن أذن من الله لنا في الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا في السؤال وفي علمه أنه لا يقبل سؤالنا قال تعالى : لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ [طه : 109] وقد أذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الإجابة بلا شك قال : وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أي لقيت من ربك السلامة فعلم أنه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه في قوله : السلام عليكم فإنه لم يسلم منه لذكره بسوء بعد موته فافهم وحرره إن كان فيه شيء والله يتولى هداك.
(وقال) : في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [الأحزاب : 56] في هذه

الدين بن العربي رحمه الله يقول : إذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك للمباح وخفت أن ينتقل ذلك إلى المكروه فتضرع إلى الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك المباح وإلا هلكت . وأما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخره بأن تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها إن كان نبيا أو على وجه الحفظ إن كان وليا . وأما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الأصوليون وهو خلق الضلال في العبد الذي هو الإضلال وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وأربعمائة أن يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولا بأمه التي هي النفس ما عنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار إليه بقول الكفار ومن بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ [فصلت : 5] ومعلوم أن من كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام الداعي إلى الله ولا يفهم على وجه الانتفاع به .

وأما الوقر المشار إليه بقوله تعالى : وَفِي آذانِنا وَقْرٌ [فصلت : 5] فالمراد به ثقل الأسباب الدنيوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة.

وأما الران المشار إليه بقوله تعالى كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ [المطففين : 14] فالمراد به صدأ وطحا يطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدأ والطحا يكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة في القلب تمنعه من الإصغاء إلى كلام داعي الشرع.

وأما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وإن لم ينفعهم الاعتذار فيقولون : يا ربنا إنا لم نقفل على قلوبنا هذا القفل وإنما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج فخفنا يا رب من فك ختمك وطبعك عليها ، فبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها ، فلم يكن بأيدينا من ذلك شيء ، قال الشيخ محيي الدين : وكان عمر بن الخطاب من أهل الأقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الإسلام رضي الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فإنك لا تكاد تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك (فإن قلت) فإذا كان بيده تعالى ملكوت كل شيء وأن كل واقع في الوجود بإرادته ومشيئته فإثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والأمر كذلك إلا أن

....

الآية الشريفة عظيم للملائكة لجمعهم مع الله في ضمير واحد في قوله : يُصَلُّونَ [الأحزاب: 56] وإنما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق أن الضمير جامع للمذكور قبله فليتأمل . وقال : ينبغي للمصلي على الميت إذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه بل يعم كل ذنب ويعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وإن لم يعمم المصلي فالميت تحت المشيئة فإن شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة ، وإن شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع قال : ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله تعالى له التخليص من العذاب لا في دخول الجنة فقط لأنه مأثم دار ثالثة إنما هي جنة أو نار وإذا سأل في دخول

يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى : فَأَمَّا مَنْ طَغى (37) وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى (39) وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى (41) [النازعات : 37 - 41] وقال تعالى : إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ [النساء : 116] قال الشيخ جلال الدين المحلي : وهذا الأخير مخصص لعمومات العقاب أي ولا ينافي ذلك العفو الذي تضمنه صدق إخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لأن التخصيص بيان لأن ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا أنه بيان للرفع بعد الإثبات (فإن قلت) فهل له تعالى مخالفة ما وعد وأوعد في هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية ، وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى إثابة العاصي وتعذيب المطيع وإيلام الدواب والأطفال لأنهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لإخباره تعالى بإثابة المطيع وتعذيب العاصي في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة إيلام الدواب والأطفال في غير قصاص الآخرة والأصل عدمه فإن كلام الأئمة إنما هو في الإيلام في الآخرة في الدنيا إذ وقوع الإيلام في الدنيا مشاهد لا نزاع فيه. أما إيلام الدواب والأطفال في القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم " لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم : " يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة " وقال أيضا : " ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا " رواهما الإمام أحمد . قال الجلال المحلي رحمه الله:

وقضية هذه الأحاديث أنه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو إيلام لأحد من خلقه مكلف أو غيره لأنه مالك الأمور كلها على الإطلاق

(فإن قلت) فهل إذا وقع الإيلام في الدنيا للدواب والأطفال يكفي ذلك عن إيلامهم في الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فإن عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة ويكون محمل خلاف الأئمة في إيلام الدواب والأطفال في الآخرة على ما إذا لم يعاقبوا في الدنيا

(فالجواب) نعم يكفي ذلك خلافا للحنفية ويحصل به إطلاق المشيئة للحق تعالى في عباده ويؤيد ذلك

<u>قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين</u> : اعلم أن الله تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم

....

الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى في الطريق ما يهوله فلهذا كان اشتغال المصلي في شفاعته بأن ينجي الله في ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وأنفع وفي الحديث : " وعافه واعف عنه " قال : وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وأن كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خير لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى ، والرمل ، أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك وقال رفع الآيدي في التكبيرات مؤذن بالافتقار في كل حال كان الشافع يقول ما

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ [الفتح : 2] فقدر تعالى الذنب وأوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الأمراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين إنفاذ الوعيد في حق الأمة لأنه لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة في مسألة إيلام البريء والطفل فإن الأشعري يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ما هو جائز واقع قال الشيخ وكل ما احتج به الأشعرية على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل فإن القائلين بإنفاذ الوعيد مصيبون إن أطلقوا محل إنفاذه ولم يقيدوه إلا حيث يعينه الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة فإذا أنفذه في الدنيا بمرض أو ألم نفسي أو حسي كان ذلك كفاية في صدق إنفاذ العقوبة وكان ذلك سترا له عن عقوبة الآخرة انتهى.

وقال أيضا في الباب الرابع والستين ومائتين : اعلم أنه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيئا بعد شيء في أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو النار فأول الألم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته فإنه يخرج صارخا لما يجده من الألم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فإن مات بعد ذلك فقد أخذ بحظه من البلاء وإن عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الألم إذ الحيوان مجبول على ذلك فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد له من الألم أدناه سؤال منكر ونكير فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فإذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الألم وصحبه النعيم أبد الآبدين وإن دخل النار فهو في ألم لا انتهاء له إن كان من أهل النار الذين هم أهلها وإلا صحبه الألم حتى يخرج بالشفاعة ا ه.

وقال في باب الأسرار في قوله تعالى : ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ [الروم : 41] الآية اعلم أن الحق تعالى قد أخبر في هذه الآية أن كل ما حصل للعبد من الأمور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداؤه فما ابتليت البرية وهي برية وهذه مسألة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت إحداهما ما أجازت الأخرى ونصرت كل طائفة منهما ما قام في غرضها وهو عين مرضها قال وأما الطبقة العليا من أهل الكشف فعلموا الأمر يقينا وأنه لم يكن في الدنيا أمر مؤلم قط إلا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى : وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ [الشورى : 30] حتى إن الطبيب يقول للمريض إذا تألم : والله ما

....

بأيدينا شيء من أحوالنا ولأمر كله لك يا ربنا قال : وإنما استقر الأمر في الجنازة على أربع تكبيرات اعتبارا بأن أكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم أنه لا ركوع في صلاة الجنازة بل هن كلها قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال في ذلك . وقال الذي أقول به : إنه لا ترجيح في مكان وقوف الإمام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو رجليه ذكرا كان أو أنثى وذلك لأن مقصود المصلى إنما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في الشفاعة في حق هذا الميت وإحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه إلا أن يرد عن الشارع فيه شيء فيتبع.

قصدت إلا نفعك بما أمرتك باستعماله من الأدوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب إذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض هذا الألم الذي أصابك إنما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته وإن كان ذلك الألم ما قصدته انتهى . وسيأتي مبحث أن أحدا لا يخرج عن التكليف أن أول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى اعلم.
وأما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق (إن قلت) ما الحكمة في تقديم الاسم السميع على الاسم البصير وعلى الاسم العليم في الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين ومائة : إن الحكمة في تقديم الاسم السميع على غيره في الذكر كون أول شيء علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله لنا كن فكان منه تعالى القول ومنا السماع فتكون الوجود انتهى . وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب السابع والتسعين وسيأتي بمعناه في المبحث عقبه إن شاء الله تعالى . واعلم أن هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع ويرى ما تحرك أو سكن أو بطن في الورى في العالم الأسفل والأعلى فيسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس ويرى تعالى السواد في الظلماء والماء في الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يضره البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه في حد أو حقيقة.
وقال في " لواقح الأنوار " : من خصائص الحق تعالى أنه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية إدراك بإحدى الصفتين على الأخرى فلا يشغله شأن عن شأن انتهى.
وقال في باب الأسرار : من أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب البعيد قريب ممن وبعيد عمن هو أقرب إلى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد إنما هو راجع إلى شهود العبد فإن أطاع ربه رأى ربه قريبا وإن عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا والله تعالى أعلم (وأما الكلام على كونه تعالى متكلما) فاعلم يا أخي أن هذا محل وقع للعلماء اضطراب في تعقله ونحن نشير إلى طرف صالح من كلام المتكلمين والصوفية فنقول وبالله التوفيق : أجمع

....

قال : وأيضا فإن التردد في الوقوف يقسم الخاطر عن المقصود ، يفرقه عنه لا سيما إن كانت الجنازة أنثى فإنه يتوهم أنه إذا وقف وسطها يسترها بذلك الوقوف عمن خلفه ولا يخطر له ذلك حتى يستحضر في نفسه عورتها فلم يسترها عن نفسه وذلك يقدح في حضور المصلي مع الحق فإنه إنما يستقبل الحق من المصلي قلبه والقلب قد تفرق بيقين باستحضار ما لا ينبغي استحضاره من عورة المرأة وأطال في ذلك . وقال الذي أقول : جواز الصلاة على القبر من غير مدة معينة لأن شرط الصلاة إنما هو مواراته عن الأبصار بكفن أو بتراب وأطال في ذلك ثم قال : فإن كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به إلى بارئه ، وقد

المتكلمون أن هذه الصفة أي صفة الكلام لا يتعقل كيفها كبقية الصفات لأن كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم إذ هو قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام التوراة والإنجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكيف إنما هو أمر يذوقه النبي أو الملك في نفسه لا يستطيع أن يكفيه بعبارة كما لو سئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الأسود مثلا ما قدر على إيصال الفرق بينهما إلى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع (فإن قلت) كيف تنوعت ألفاظ الكلام إلى عربي وسرياني وعبري مع أنه واحد في نفسه غير متجزىء
(فالجواب) صحيح أن الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربي بالله تعالى والفارسي بخداي تعالى فإن عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا وبالسريانية كان إنجيلا أو بالعبرانية كان توراة (فإن قيل) فما أول كلام شق أسماع الممكنات من الحق تعالى
(فالجواب) هو ما أشرنا إليه في المبحث السابق أن أول كلام شق أسماع الممكنات هو كلمة كُنْ [يس : 82] فما ظهر العالم كله إلا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الإلهي هو توجه إرادة الرحمن على عين من الأعيان فينفخ الرحمن الروح في شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهي نفس المتنفس المريد إيجاد عين حرف فخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك في جناب الحق والله أعلم.
<u>وعبارة " جمع الجوامع " و " شرحه " :</u> القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وأنه مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ في صدورنا بألفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز
قال الجلال المحلي : ونبهوا بقولهم لا المجاز في الثلاث مسائل على الإشارة إلى أنه ليس المراد بالحقيقة كنه الشيء كما هو مراد المتكلمين فإن القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو في المصاحف ولا في الصدور ولا في الألسنة وإنما المراد بها مقابل المجاز أي يصح أن يطلق على القرآن حقيقة أنه مكتوب محفوظ مقروء أي أن إسناد كل من هذه الثلاثة إلى القرآن إسناد حقيقي كل منها باعتبار وجود من الوجودات الأربعة كما لا يخفى لا أنها إسناد مجازي (قلت)

....
فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وإن كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الأرض أو تحت الأرض فإن الشارع ما فرق فكل واحد قد رجع إلى أصله فالتحق الروح منه بالأرواح والتحق العنصري بالعنصر فليتأمل ويحرر.
(وقال) : في حديث صلوا على من قال : لا إله إلّا الله فربط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أو لم يسمع منه قولها كالصبي الرضيع صلينا عليه فإن الرضيع يلحق بأبيه في الحكم ومن لم يسمع منه يلحق بالدار والدار دار الإسلام

قال الشيخ : وإيضاح ذلك أنه يصح أن يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وأنه غير مخلوق أي موجود أزلا وأبدا اتصافا له باعتبار الوجودات الأربعة التي هي لكل موجود وهي الوجود الخارجي والوجود الذهني والوجود في العبارة والوجود في الكتابة وهي تدل على العبارة وهي على ما في الذهن وهو على ما في الخارج فالقرآن باعتبار الوجود الذهني محفوظ في الصدور وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالألسنة وباعتبار الوجود الكتابي مكتوب في المصاحف وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدر ولا بالألسنة ولا في المصاحف وأما الألفاظ المركبة من الحروف فإنها أصوات هي أعراض والله أعلم.
وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في الكلام على الكتاب العزيز : اعلم أن القرآن يطلق لمعنيين : أحدهما الكلام النفسي القائم بالذات المقدس .
الثاني : اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل إطلاقه عليهما بالاشتراك أو هو في الثاني مجاز مشهور ؟ الظاهر الاشتراك قال ثم إن القرآن بالمعنى الأول محل نظر لعلماء أصول الدين وبالمعنى الثاني محل نظر لعلماء العربية والفقه وأصوله ، قال ووجه الإضافة في تسمية كلام الله بالمعنى الأول أنه صفة الله تعالى وبالمعنى الثاني أنه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22) [البروج : 21 - 22] أو بحروفه في لسان الملك لقوله : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) [التكوير : 19] أو لسان النبي لقوله : نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ [الشعراء:
194 - 193] ومعلوم أن المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لا مجرد كونه دالا على كلامه القديم " ثم " إنه هل يعتبر في التسمية بالقرآن بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل إنه اسم لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه أو لا يعتبر في التسمية إلا خصوص التأليف الذي لا يختلف باختلاف المتلفظين ؟ الصحيح الثاني لأنا نقطع أن ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الأول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وقد منع السلف من إطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان أو في المصحف ومن القول بكونه مخلوقا أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم إلى القرآن بالمعنى الأول الذي هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى انتهى.

....

وأطال في ذلك . وقال : الذي أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافا لبعضهم في استناده إلى خبر أن الذي قتل نفسه خالد مخلد في النار يعني خلود تأبيد ونحن نقول لم يرد لنا نص في النهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولا سيما والأخبار الصحاح والأصول تقضي بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد في خلوده في النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فإنه لم يقل في الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال وإذا تطرق الاحتمال رجعنا إلى الأصول فرأينا أن الإيمان قوى السلطان لا يتمكن معه الخلود في النار على التأبيد إلى غير نهاية والأدلة الشرعية تؤخذ من

وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه " سراج العقول " : وقد أجمع السلف كلهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بأنه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب كما أجمعوا على أنهم إذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير بحث أنه شخصه أم روحه وأطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه (فإن قلت) فهل نزلت الأحاديث القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا أو معنى (فالجواب) أنها نزلت معنى لا لفظا فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لأنها لم تنزل للإعجاز بألفاظها كالقرآن وهي كلام الله تعالى بلا شك (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى : إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا [الزخرف : 3] فإنه يوهم أنه مخلوق (فالجواب) ليس الجعل بمعنى الخلق في سائر الأحوال بدليل قوله تعالى : وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً [الزخرف : 19] (فإن قلت) فهل يجوز لأحد أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيئا من القرآن على المعنى (فالجواب) لا يجوز لأحد اعتقاد ذلك لأنه لو قدر أنه تصرف في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا لنا صورة فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول : لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل : 44] فمن المحال أن يغير صلى الله عليه وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض أنه صلى الله عليه وسلم علم جميع معاني كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما أنزل فأي فائدة للعدول وحاشاه من ذلك إذ لو تصرف في صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه أنه بلغ الناس ما نزل إليهم وما يتنزل إليهم ولا قائل بذلك فافهم ، وقد أطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم في الباب الخامس والعشرين وثلاثمائة من " الفتوحات " فراجعه

(فإن قلت) فما مثال الوحي إذا ظهر لنا بالألفاظ

(فالجواب) أن مثال ظهور الوحي بالألفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية فإن جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معافى حالة واحدة فكما تبدلت صورته في أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التي هي عليها فكذلك الكلام الأزلي والأمر الأحدي يتمثل بلسان العربي تارة وبلسان العبري تارة وبلسان السرياني أخرى وهو في ذاته أمر واحد أزلي فالكافر والمشرك يسمع كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين إذ لو كان سماعهما واحدا لبطل الاصطفاء.

....

جهات متعددة ويضم بعضها إلى بعض ليقوي بعضها بعضا وأما حديث بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة ، أي قبل رؤيتي لا سيما من قتل نفسه شوقا إلى ربه فإن القاتل نفسه لولا ظن الراحة عند ربه ما قتل نفسه ولا بادر إلى ذلك والله يقول : أنا عند ظن عبدي بي قال:

وهذا هو الأليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الإلهي إذ لا نص صريحا يخالف هذا التأويل وإن ظهر فيه بعد فلبعد الناظر في نظره من الأصول المقررة التي تناقض هذا التأويل فإن في الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فلم يبق إلا ما ذكرناه ا ه فليتأمل ويحرر.

قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل : وبالجملة فالأئمة الكبار من شيوخ السلف مثل الإمام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثر علما وأغزر فهما وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بأن استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا إلا على من رزقه الله الفهم عنه إذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم فأمروهم بمحافظة الأمر الظاهر والإيمان به قطعا من غير بحث على المعنى الحقيقي إذ قد صح إيمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لأصحابهم : اقرؤوها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمري إن في ذلك مصلحة عظيمة للعوام وأما الأئمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق في هذه المسألة رضي الله تعالى عنهم.
قال الحافظ الذهبي رحمه الله : وإنما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لأن المأمون كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وسؤددا ثم تولى بعده أخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك في مسألة خلق القرآن وجدد مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك بإغراء أحمد بن أبي داود مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة انتهى والله تعالى أعلم.
وأما نقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسألة فقال في الباب الرابع والثلاثين من " الفتوحات " (إن قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر
(فالجواب) إنما خص نزوله بليلة القدر لأن بالقرآن تعرف مقادير الأشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها انتهى
(فإن قلت) فما المراد بقوله تعالى : ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ [الأنبياء : 2]
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلاثمائة : إن المراد أنه محدث الإتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجودا قبل أن يأتي وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق
....
(وقال) : وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه جاء بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال : يصلي عليه مع اعتقاده إيمانا أنه حي كونه انقطع عمله فهو وإن كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزاد في درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله وقال : الذي أقول به في الأطفال المسبيين من أهل الحرب إذا ماتوا ، ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل بأنه عليهم فإنهم على فطرة الإسلام كما في حديث : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه " وأنه قال : وما قلنا أولى ممن قال : لا يصلى عليهم لأن الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة ، وعشية ، وهو أضعف من الرش

السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فإن قلت) فإذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى مقسما أنه يعني القرآن لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ [التكوير : 19] فأضاف الكلام إلى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى إلى نفسه بقوله : فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ [التوبة : 6] فإذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فإن ذلك يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط انتهى.
وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فإذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك إذا كتبه لا يكتبه إلا بصوت وحرف.
وسمعته يقول أيضا : المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين إلى خمسة حروف فأكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فإن نظرت إلى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وإن نظر إليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني انتهى . وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً [النور : 39] فكما أن الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الأمر بصوت ولا حرف وإن كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر إلا بمناسبة تكون بينهما فهو مثله في النسبة لا مثله في العين فكما أن الظمآن إذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف إذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت له) فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لإطلاقه تعالى من حيث إنه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق لأنه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد مما لا يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقة كما قلنا في الصوت والحرف انتهى.
وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة (فإن قلت) فهل

....

والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمه فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه ا ه فليتأمل ويحرر . وقال الوالي : أولى من الولي في الصلاة على الجنازة لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط أنه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي قال :
وإلحاقه في هذه المسألة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة أولى من إلحاقه بالولي في مواراته ودفنه وذلك أن الوالي له إطلاق الحكم في العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم في بعض الأمور فهو أولى بالشفاعة عند الله في الميت فإنه نائب الشارع ونظر الشارع إلى من استخلفه أعظم من

يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صوري (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين وثلاثمائة أنه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط إلا من وراء مظهر تقييدي يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط في حال المنازلات الخطابية إلا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والأسرار وهي السنة المفهومة ألا ترى أنه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام إلا في تجليه له في صورة حاجته التي هي النار انتهى.
قلت : وهو كلام يحتاج إلى تحرير فليتأمل والله أعلم (فإن قلت) فهل يقال إن القرآن القديم حال في القلب بلا صوت وحرف أم بصوت وحرف (فالجواب) إن القرآن ما دام في القلب فهو إحدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو في قلوب العلماء به على غير الصورة يظهر بها في ألسنتهم لأن الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم إن الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذ منه اللسان فيصيره بشاكلته ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الآذان وقد قال تعالى : فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ [التوبة : 6] فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الأعرابي يسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان أي من حيث الحروف والأصوات ويصح إسناد الكلام إلى العبد مجازا كما يأتي بسطه قريبا في باب الأسرار والقلب بيت الرب انتهى ذكره في الباب التاسع والعشرين وثلاثمائة.
وقال في باب الأسرار : لو حلّ بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك إلا من عرفه ولا يضم المعنى سوى حرفه ذكر القرآن أمان وبه يجب الإيمان أنه كلام الرحمن مع قطع حروفه في اللسان ونظم حروفه فيما رقم باليراع والبنان فحدثت الألواح والأقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الأوهام بما عجزت عن إدراكه الأفهام ولو قدر أنه ينال بالإلهام لكان العامل به هو العلام انتهى.
وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق وإن حكى ما نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وإن كان كلام الحق إذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر

....

نظره إلى غيره وكلامه أقبل عنده لكونه فوض إليه الحكم فيه ولاه وقال في قوله تعالى : هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ [الأحزاب : 43] إنما فصل تعالى بين صلاته علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [الأحزاب : 56] بينا لتخصيصه صلى الله عليه وسلم على غيره من الخلق مع أنه صلى الله عليه وسلم دخل معنا أيضا في صلاة الحق في قوله : " عليكم " فحصل له صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه جمعا وإفرادا.
(وقال) : من غيرة الله تعالى أنه ما من مخلوق إلا ولمخلوق آخر عليه يد بوجه ما فإن أراد مخلوق الفخر على مخلوق بما أسداه إليه من الخير نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر إليه

قديم ومزاجه العبد من تسنيم لا يعرف الحق في هذه المسألة إلا من كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه إلا إن قواه . وقال فيه أيضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لأن له الإحاطة وحدوثه وروده علينا كما يقال : حدث عندنا اليوم ضيف انتهى.
وقال فيه أيضا : لا يضاف الحدوث إلى كلام الله إلا إذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم إلى كلام الحادث إلا إن سمعه من الله.
وقال فيه أيضا : أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذي لا يبلغه تنزيه نزل إلى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس هو مثلهم أو مشترك وعلى كل حال فالمسألة فيها إشكال لأن العبارات لنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو التنزل والمعاني لا تتنزل إن كانت العبارات فما هو القول الإلهي وإن كان القول فما هو اللفظ الكتابي وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب إن كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وماثم قيل إلا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق بذلك ولا تنطق انتهى ، وقال فيه أيضا لا تقل أنا إياه لقوله : فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ [التوبة : 6] أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف انتهى.
وهذا لا يتمشى على مذهب ما يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فليحرر وقال فيه أيضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فإن قلت) ما الحكمة في ذلك (فالجواب) أنه لو جاء في القرآن تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله تعالى : وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً [النساء : 164] كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فإن الكلام مأخوذ من الكلم الذي هو الجرح والتأثير فإذا أثر القول فما هو لذاته ففرق يا أخي بين القول والكلام كالفرق بين الوحي والإلهام وبين ما يأتيك في اليقظة والمنام تكن من أهل ذي الجلال والإكرام انتهى . فيه أيضا ما العجب إلا منا كيف نتلوا كلامه وهو قائم بذاته والله إنها سطور مسدلة وأبواب مقفلة وأمور مبهمة وعبارات موهمة هي شبهات من أكثر الجهات انتهى .
(فإن قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية في الهواء أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها
(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السدس والعشرين إنها تتشكل في الهواء إذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع

....

لتكون المنة لله وحده ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأنصار لما ذكر لهم أن الله تعالى هداهم به صلى الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم وجدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك . الحديث . فذكر ما كان منهم في حقه صلى الله عليه وسلم وكان الله قادرا على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الأسباب بعضها ببعض قال : وهذا من أسرار المعرفة فاجعل بالك له.
(وقال) : في قوله تعالى : فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ [النور : 36] الآية

على صورة ما نطق بها المتكلم فإذا تشكلت في الهواء تعلقت بها أرواحها ولا يزال الهواء يمسك عليها شكلها وإن انقضى عملها فإن عملها وتأثيرها إنما يكون في أول ما تتشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلحق بسائر الأمم فيكون شغلها تسبيح ربها (فإن قيل) فإذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير في كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابق إنما يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فإن وبال ذلك إنما يعود على المتكلم بها لا عليها لأنها نشأت مسبحة لله لا يعلم بما على قائلها من الإثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها في نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يمجد ويعظم ويقرأ على جهة القربة إلى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله تعالى من الكفر والسب وهي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه (فإن قلت) فإذن هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها
(فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقة لأنها تقبل التغير والزوال إذ هي في محل يقبل ذلك وأما الأشكال اللفظية فلها البقاء لكونها في محل لا تقبل التغير (فإن قلت) فما الحكمة في قوله تعالى : فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ [النحل : 98] دون قوله فإذا قرأت الفرقان مع أنه من أسماء القرآن
(فالجواب) إنما لم يقل الفرقان لأن الفرقان يطرد إبليس فلا يحضر القارئ فلا يحتاج إلى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فإن جمع فيدعو إبليس إلى الحضور فيحتاج القارئ إلى الاستعاذة بالله منه (فإن قلت) فلم لم يؤمر المستعذ بالاستعاذة من إبليس بأحد من أولي العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا وأولو العزم أقوى منه بيقين
(فالجواب) إنما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الإلهية أما بالنظر إلى الخلق فهو قوي جدا لأنه في حضرة الإرادة التي قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه باسم الجامع الذي هو الله دون غيره فأي طريق أتاهم منها وجد الاسم ما نعاله عن الحضور بخلاف الأسماء الفروع
(فإن قلت) فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب ما لم يحكه مما اختص به تعالى
(فالجواب) نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذي لم يحكه عن أحد من خلقه لكونه قديما ولو حكاه عن الخلق كما أن العارف يأخذ كلام الحق الذي قاله

....

معنى رفعها تمييزها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه أي بالأذان ، والإقامة ، والتلاوة والذكر والموعظة يُسَبِّحُ أي يصلي لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ (36) رِجالٌ إنما لم يذكر النساء لأن الرجل يتضمن المرأة فإن حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفا للرجال لا تُلْهِيهِمْ أي لا تشغلهم تِجارَةٌ أي بيع وشراء وَلا بَيْعٌ [النور : 37]
أي وحدة وأطال في تفاصيل ذلك . وقال في قوله تعالى : إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت : 45] إنما كانت كذلك لأن المصلي بمجرد الإحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة ما دام في الصلاة فنهاه ذلك الإحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل

ابتداء بغير الوجه الذي قاله تعالى استدعاء وكما أنه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذي يحكيه عنهم باللفظ وقد قال الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة إذا تلوت القرآن فاعلم ممن تتراجم فإن الله عز وجل تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى . مثال الأول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا [التوبة : 40] .

ومثال الثاني قوله تعالى حكاية عن قول فرعون يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً [غافر : 36] فإنه إنما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعلم الأمور الإلهية إذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله أصالة وبين كلامه حكاية ويميزه عن بعضه بعضا فآخر قول الله عز وجل : وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي [آل عمران : 81]

قالوا ثم إنه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا وكذلك قوله عن المنافقين إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ [البقرة : 14] وإلى هنا انتهى قوله تعالى ثم إنه حكى عنهم قولهم : إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ [البقرة : 14] وقس على ذلك ما يشاكله في القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم أجد لأحد قدما فيه من أهل عصري فالحمد لله الذي أهلنا لذلك فإنه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا إلا القرآن العظيم وما كلّ أحد أوتي مفاتيح الفهم فيه إنما ذلك لأفراد من الناس (فإن قلت) إذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معاني الحروف التي هي أوائل السور المرموزة (كآلم) و (المص) ونحو ذلك فإنه بلسانهم

(فالجواب) إنما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الإيمان بها ولم يفهموا انتهى . فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا بأهل الكشف ولا يقال إن أهل الكشف لا يعرفونها أيضا لأنّا نقول إنه لا بد من أن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى وإلا فلو لم يصح لأهل الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الأصول خلافا للحشوية بإسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم إن في القرآن حشوا ورأيت في الباب الثامن والتسعين ومائة من " الفتوحات " ما نصه : اعلم أن جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة ، قال : وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع وما منهم ملك إلا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فإذا

....

بأمر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وإن لم ينو هو ذلك فانظر ما شرف الصلاة كيف أعطت هذه المسألة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها.

(وقال) : من تعدى إلى غيره وهو محتاج إليها فهو عاص وصدقته لهواه لا لله لأن الشارع قال له : ابدأ بنفسك وإذا خرج الإنسان بصدقته فأول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو إنما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضا أن نبدأ في الهدية بالأقرب فالأقرب من الجيران فإن رجحنا الأبعد فقد اتبعنا الهوى وما وقفنا عند حدود ربنا . وقال في قوله صلى الله عليه وسلم في حق قوم:

نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لأنه ثم رقائق ممتدة من ذواتهم إلى أسمائهم فإذا قال القارئ (ألم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت إن كان خيرا ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في (المص) ونحوها قال وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق) و (ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد إلى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال في ذلك ثم قال فمن نظر في هذه الحروف وهذا الباب الذي فتحته له رأى عجائب سخرت له هذه الأرواح الملكية التي هي هذه الحروف أجسامها فتمده بما بيدها من شعب الإيمان وتحفظ عليه إيمانه إلى الممات انتهى.

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة أن جميع المحكم من القرآن عربي وجميع المتشابه أعجمي ومعلوم أن العجمية عند أهلها عربية والعربية عند أهلها عربية وماثم عجمة إلا في الاصطلاح والألفاظ والصور الظاهرة ، وأما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعاني وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فإن المعاني كالنصوص عند أهل الألفاظ لكونه بسائط لا تركيب فيها فلو لا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (وأما الكلام على الاسم الباقي تعالى) فاعلم أن الباقي هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحي عن ذكر هذا الاسم فإن الصفات الإلهية إنما هي سبعة في الحقيقة عدد نجوم الثريا وإنما استغنى بالحي تعالى لأن الحي من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم في مبحث كون الصفات الإلهية عينا أو غيرا أن الأصوليين اختلفوا في صفة البقاء وأن الأشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وأن المعتزلة والقاضي والإمامين قالوا إنه تعالى باق لذاته لا ببقاء وأدلة الفريقين مسطورة في كتب أصول الدين والله تعالى أعلم.

المبحث السابع عشر : في معنى الاستواء على العرش

اعلم أن هذا المبحث من عضال المباحث ، فلنبسط يا أخي الكلام فيه بنقول المتكلمين

....

" ينصب لهم يوم القيامة منابر في الموقف ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء " المراد بالشهداء هنا الرسل إذ هم شهداء على أممهم وإنما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لما هم فيه من الراحة ، وعدم الحزن والخوف في ذلك الموطن لأنهم لم يكن لهم أمم ولا أتباع كالأنبياء ، والرسل ، والأئمة المجتهدين فهم آمنون على أنفسهم والأنبياء والأئمة خائفون على أممهم وأتباعهم ، فلذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم في ذلك اليوم في حق غيرهم والأنبياء

والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه إن شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق : قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته يجب اعتقاد أن الله تعالى ما استوى على عرشه إلا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى : الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [طه : 5] ولا يجوز أن يطلق على الذات العلي أنه استوى على العرش وإن كانت الصفة لا تفارق الموصوف في جانب الحق تعالى لأن ذلك لم يرد لنا التصريح به في كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا أن نقول على الله ما لا نعلم فكما أنه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم أن غاية العقل في تنزيه الباريء عن كيفية الاستواء أن يجعل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا في استشهادهم بقولهم : قد استوى بشر على العراق . وأين استواء البشر الذي هو مخلوق من استواء البارىء جل وعلا فتأمل وسيأتي بسط ذلك في الخاتمة آخر المبحث الآتي بعده إن شاء الله تعالى

وقد أنشد الشيخ محيي الدين في الباب الثالث عشر من " الفتوحات: "

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول

وأي حول لمخلوق ومقدرة * لولاه جاء به عقل وتنزيل

وأطال في ذلك (فإن قلت) فما وجه الحكمة في كون الاستواء لم يكن يجيء في الكتاب والسنة إلا للاسم الرحمن (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أن وجه الحكمة في ذلك إعلام الحق تعالى لنا أنه لم يرد لنا بالإيجاد إلا رحمة الموجودين كل أحد بما يناسبه من رحمة الإمداد أو رحمة الإمهال أو عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم أن الاسم الرحمن من أعظم الأسماء حكما في المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يرد لنا أن الحق تعالى ينزل إلى سماء الدنيا إلا بالاسم الرب المحتوي على حضرات جميع المربوبين انتهى . (فإن قلت) فما الحكمة في إعلامه تعالى بأنه استوى على العرش بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص في جهة العلو لا جميع الأكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلاثمائة أن الحكمة في ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك أنه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وإن كانت ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعا اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشا وأن يذكر لعباده أنه استوى عليه ليقصدوه

....

تخاف على أممها دون أنفسها . وقال : وهذه مسألة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر أحدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلنا إلا إن كان وما وصل إلينا.

]الباب السبعون (باب الزكاة) في أسرار الزكاة[

(وقال) : في الباب السبعين في أسرار الزكاة في قوله تعالى : وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً [المزمل : 20] القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع فورد الأمر بالقرض لله كما ورد بإعطاء الزكاة وأطال في الاستدلال على ذلك ثم قال : والزكاة المفروضة والصدقة لفظان : بمعنى واحد قال تعالى : خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها [التوبة : 103].

وبالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقي صاحب العقل حائرا لا يدري أين يتوجه بقلبه فإن الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل إلا ما كان في جهة ما دام عقله حاكما عليه فإذا من الله تعالى عليه بالكمال واندرج نور عقله في نور إيمانه تكافأت عنده الجهات في جناب الحق تعالى وعلم وتحقق أن الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وأن العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى قال تعالى : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق : 16] وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم أن الشرع ما تبع العرف إلا في حق ضعفاء العقول رحمة بهم

(فإن قلت) فإذن كل ما كان دنوّ من حضرة الحق تعالى فهو عروج وإن كان في السفليات.

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة : نعم لأن الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات.

(فإن قلت) : فما الحكمة في إخباره تعالى لنا بأنه تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا مع أنه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود.

(فالجواب) : الحكمة في ذلك : فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول إلى مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا وإعلامنا بأنه كما لا يلزم من الاستواء إثبات المكان كذلك لا يلزم من إثبات الفوقية إثبات الجهة وأيضا فإن إعلامه تعالى لنا بأنه ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الإذن لعباده في مساعدته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالأذكار والاستغفار كما أنه تعالى يسامرهم كذلك بقوله : هل من سائل إلى آخر النسق فيقول لهم : ويقولون له : ويسمعهم ويسمعونه من طريق الإلهام كأنهم في مجلس الخطاب ولله المثل الأعلى هذا معنى النزول عند أهل العقول انتهى . واعلم يا أخي أن صفة الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وما حواه مخلوق محدث بالإجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما أنه لم يزل موصوفا بأنه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش يستوي على ماذا وقبل خلق السماء ينزل إلى ماذا فانظر يا أخي بعقلك فما تتعقله في معنى

....

وقال : إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ [التوبة : 60] فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا أي لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير .

قال : وإنما سماها الله صدقة تنبيها على أنها أمر شديد على النفس تقول العرب : رمح صدق أي صلب شديد قوي إذ النفس تجد لإخراج هذا المال شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب وأطال في ذلك .

ثم قال: ولو أن ثعلبة قال حين قال : لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ [التوبة : 75] إن شاء الله تعالى لفعل ولم يبخل . قال : وإنما لم يأخذها منه النبي صلى الله عليه وسلم لإخبار الله تعالى أن

الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وأنا أضرب لك مثلا في الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك أن كل عرش تصورت وراءه خلاء أو ملأ من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذي وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما تقف على شيء يقول لك فما وراءه فإذا قلت له : خلاء يقول لك : فما وراء الخلاء وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية إحاطة الحق تعالى للوجود أبدا فقد عجز العقل والله في تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادّعى العلم بالله تعالى على وجه الإحاطة به كذبناه وقلنا له : إن كنت صادقا فتعقل لنا شيئا لم يخلقه الله تعالى .
فإن الله تعالى خالق غير مخلوق بإجماع جميع الملل وقول الشبلي إن الحق تعالى إذا أحيطهم به أحاطوا به فرض محال لأنه لم يبلغنا وقوعه لأحد وكيف تصح الإحاطة لمخلوق على الوجه المعقول في حق الخلق اللهم إلا أن يريد الشبلي بالإحاطة الإحاطة بأنه لا تأخذه الإحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه في كتاب الأجوبة عما يتوهم في جناب الحق.
(فإن قلت) : فإذن الحق تعالى لا يحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ما تتعقله الخلق من الإحاطة والتناهي.
(فالجواب) : نعم . وهو كذلك كما أوضحه الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة فقال : اعلم أن من القول المستهجن قول بعض النظار إن الحق تعالى لا يحيط بنفسه لأن وجوده تعالى لا يتناهى ووجوده عين ماهيته ليس غيرها وما لا يتناهى لا يكون محاطا به إلا أنه تعالى لا يتناهى فقد أحاط تعالى علما بأنه لا تناهي له فضلا عن العالم قال الشيخ : وهذا القول وإن كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه إلى الصحة وذلك أنه تعالى يعلم من ذاته أنه لا يقبل الإحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه في سائر الأحكام .
قال : وهذه المسألة مزلة قدم فإن غالب الناس إذا سمع أحدا يقول : إن الحق لا يحيط بذاته يبادر إلى الإنكار عليه ويقول : بل هو محيط بها على وجه الإحاطة التي تتعقلها الخلق وتعالى الله عن ذلك انتهى.
وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى " بالإنسان الكامل " ولفظه : اعلم أن ماهية الحق تعالى غير قابلة للإدراك والغاية فليس

....

ثعلبة يلقاه منافقا والصدقة تزكي وتطهر من أخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فلما ولى عثمان رضي الله عنه أخذها منه متأولا ، وقال : إنها حق الأصناف الذين أوجب الله تعالى لهم هذا القدر في عين هذا المال.
(قال الشيخ) : وهذا الفعل من جملة ما انتقد على عثمان رضي الله عنه ولا ينبغي الانتقاد عليه لأنه مجتهد فعل ما أداه إليه اجتهاد ، وقد قرر الشارع حكم المجتهد ولم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من أمرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته ولا يلزم غير النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكي مؤدي

لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك أنها لا تدرك في حقه ولا حق غيره أعني يدركها بعد أن يدركها أنها لا تقبل البدء ولا النهاية فإن نفي البدء والنهاية درجة من درجاته التي تميز تعالى عن العالم بها قال تعالى : رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ [غافر : 15].
كأنه تعالى يقول : ليس لي نهاية في نفسي حتى يتعلق بها علمي
قال : وقولنا إن الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفي الجهل وقولنا : ويدرك أنها لا تدرك نفي للتشبيه وإثبات للتنزيه
قال : ومن هنا ينقدح لنا الجواب عن قول الإمام الغزالي رحمه الله : ليس في الإمكان أبدع مما كان . أي : لأن كل ما كان من هيئات الممكنات وأحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح أنه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه في رتبة الحدوث لا يرقى قط لرتبة الخالق فلو خلق تعالى ما خلق أبد الآبدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالي رحمه الله انتهى.
(فإن قلت) : فإذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول إلى الكرسي وإلى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الأمور محدثة لها أول وآخر فما معنى قوله تعالى:
وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ [هود : 7] . مع أن في معنى الحديث كل شيء خلق من الماء فشمل العرش وما حواه.
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلاثمائة : إن على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء بالقوة فإن الماء أصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى إذ هو عرش الحياة فعلم أن العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء.
(فإن قلت) : فما معنى حديث : " كان ربنا في عماء ما فوقه هواء فإنه تحته هواء " . فإنه أثبت له صفة الفوق والتحت مع أن ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذي كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فإن العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف أجابه صلى الله عليه وسلم ، بما ذكر مع أن السائل إنما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فما هذا العماء إن كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل.

....
الزكاة فهو يأخذها للأمر العام بإعطائها وإن كان ذلك لا يطهر المتصدق والله أعلم.
(وقال) : في قوله تعالى : يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ [التوبة : 35] إنما خصّ الكي بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم ، لأن السائل إذا رآه صاحب المال مقبلا إليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه أنه جاء يسأله من ماله فتكوى جبهته ثم إن المسؤول يتغافل على السائل ، ويعطيه جانبه كأنه ما عنده له خير فيكوى بها جنبه فإذا عرف من السائل أنه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعي زكاة الذهب والفضة وأطال

"182"

(فالجواب) : أن جواب ذلك لا يذكر إلا مشافهة لأهله لأن الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله أعلم.

(فإن قلت) : فإذا قلتم : إن العرش لا وراء له لأنه اسم لمجموع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة.

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة : أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش في عدم التعقل ويكفينا الإيمان في مثل ذلك.

(فإن قلت) : فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد . فهل هي مترادفة أم لا.

(فالجواب) : أنها غير مترادفة من حيث الإحاطة ، عظيم لكونه أعظم الأجسام ومن حيث إنه أعطى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته كريم ومن حيث نزاهته من أن يحيط به غيره من الأجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الأجسام والله أعلم .

فهذا ما وجدته من " الفتوحات " المكية . وقد رأيت في كتاب " سراج العقول " للشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسألة الاستواء على العرش وها أنا ملخص لك عيونه فأقول وبالله التوفيق : قال في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله : الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى (5) [طه : 5]

اعلم أن الله تعالى قد خلقنا من الأرض في الأرض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السماوات والأرض طبقا فوق طبق وخلق فوق السماوات الكرسي وخلق فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيئا وأما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات والأنوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله : الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى (5) [طه : 5]

أي : استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيئا وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لا يخرج عن دائرة العرش لأنه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقره

قال : وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن . قال تعالى : وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوى [القصص : 14] .

أي : استتم شبابه وقال تعالى : كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

....

في ذلك . ثم قال : ونرجو من فضل الله تعالى أن يضاعف الأجر لمن أخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له أجر المشقة وأجر الإخراج كما ورد في الذي يتتعتع عليه القرآن أنه يضاعف له الأجر للمشقة التي تناله في تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة .

وقال : ولا يخفى أن الذي يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة بما لا يقاس ولا يحد.

(وقال) : في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : والله لو منعوني عقالا الحديث اعلم أن العقل مأخوذ من عقال الدابة وإن كان على حقيقة عقال الدابة مأخوذ من العقل ، لأن العقل

"183"

شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ [الفتح : 29] أي : استتم ذلك الزرع وقوي وإذا احتملت الآية أو الحديث وجها صحيحا سالما من الإشكال وجب المصير إليه ولكن النفوس تميل إلى الخوض في الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف في معنى آية الاستواء وذكروا في تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم إلى التصريح بالتجسيم واقتضى

الأمر بين الأئمة إلى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والألقاب الفاضحة ولله تعالى في ذلك سر مع أن الآية عما فهموه بمعزل كما ذكرنا قال : وإيضاح ذلك أن الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن إلا بعد ذكر خلق السماوات والأرض وذلك في ستة مواضع : (الأول) : في سورة الأعراف : [54] إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ . (الثاني) : في سورة يونس : [3] إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ . (الثالث) : في سورة طه : [4 ، 5] تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّماواتِ الْعُلى (4) الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى (5) . (الرابع) : في سورة الفرقان [59] : الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ . (الخامس) : في سورة السجدة : [4] اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ . (السادس) : في سورة الحديد : [4] هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ.

(والمعنى) : في هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أي : استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيئا كما يقال : استقر الملك على الأمر الفلاني واستقر الأمر على رأي القاضي أي : ثبت وهو ما روي عن ابن عباس أنه قال : استوى استقر انتهى . وهو بمعنى استتم واستكمل قال : وأصل الاستواء في العربية المساواة قال تعالى : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [الزمر : 9] . وقد جعل الله تعالى لكل شيء نهاية وكمالا . فإذا بلغ حد الكمال قيل: استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان وإذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال: استوى قال تعالى : فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ [المؤمنون : 28] . وقال لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ [الزخرف : 13] . وقال في ذكر السفينة وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ [هود : 44] ولما أكمل الله

....

متقدم على عقال الدابة فإنه لولا ما عقل أن هذا الحبل إذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا وقال الذي أقول به : إن الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك إن جاء بها إلينا قبلناها منه وجعلناها في بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(وقال) : الذي أقول به : إنه لا يجب على المالك إخراج الزكاة عن ماله الذي هو في ذمة الغير وهو الدين حتى يقبض ، يمر عليه وهو في يد القابض وقال : زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسألة هو بها جاهل وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال

تعالى خلق السماوات والأرض وأتمه قال فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ [البقرة : 29] وقال في تمام خلق آدم وتصويره فَإِذا سَوَّيْتُهُ [الحجر : 29] وقال وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها (7) [الشمس : 7] فعلى هذا الأصل يكون تفسير الاستواء في الآيات السابقة بالمساواة أحق وأصدق وذلك كما يقال استوى أمر فلان أي : استتم واستكمل قال : ولما كان الفعل الماضي والمستقبل يدلان على المصدر جاز أن يخرج للمصدر المقدر فعلا ظاهرا كان أو كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة أي : استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله:
جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَمِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ [الشورى : 11] . أي : في الجعل ومنه قول الشاعر:
إذا نهى السفيه جرى إليه
أي : إلى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية إليه فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله في الكلام : بنى زيد بيته فاستوى على السقف أي : استوى بناؤه على السقف يعني:
استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السماوات والأرض في الآيات لما يتراءى فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيئا.
(فإن قيل) : فما قولك في قوله تعالى في سورة طه : [5] الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى.
وفي سورة الفرقان : [59] ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ.
(فالجواب) : أن الشبهة إنما وقعت فيهما من جهة النظم وإلا فالقصة في جميع الآيات واحدة وللنظم طرق عجيبة في القرآن فأما قوله في طه : تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّماواتِ الْعُلى (4) الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى (5) .
فإن الرحمن تفسير وإيضاح لقوله : ممن ، أي هذا الخالق هو الرحمن ثم قال : عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [طه : 5] أي : استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذي يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى آخر الآية لأن مقاطع آيات هذه السورة على الألف المقصورة وأما قوله في سورة الفرقان : [59] الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ .
ففيه تقديم وتأخير في الآية تقديره الذي خلق السماوات والأرض هو الرحمن ثم استوى على العرش ، فالرحمن مبتدأ خبره مقدم عليه وذلك

....

الحول والنصاب فإن لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلا بد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسألة ، ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها عقوبة له
وقال: المستحب أن يقدم في العطاء من الأصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياسا على البداءة في الطواف بالصفا وكذلك كل شيء قدمه الله في الذكر نحو هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [يونس : 22] ومن ألزم ذلك رأى خيرا في جميع أحواله.
(وقال) : في قوله صلى الله عليه وسلم : “ المعتدي في الصدقة كمانعها “ أي لأن تكليف النفس مالا 7

الخبر هو قوله : الذي خلق كما تقول الذي جاءك زيد . وقوله : ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الفرقان : 59] اعتراض في الكلام.
(والمعنى) : كما قلنا : استوى خلقه على العرش . يعني : استتم قال الشيخ أبو طاهر بعد كلام طويل : هذا وكم ناظر في كلامي يبادر إلى ملامي ويقول : إنك ابتدعت للآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفي مخالفتهم خرق للإجماع وإني والله أعذره في ذلك فإن الفطام على المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان أو باطلا والذي أقوله : إن الذي ذكرناه محتمل صحيح واضح وإن سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة وأطال في ذلك
ثم قال : وبالجملة فالعرش أعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك أننا إذا تأملنا ما فوقنا رأينا الهواء وإذا تأملنا فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء بقلوبنا ثم إذا ترقينا بأوهامنا من السماوات السبع رأينا الكرسي وإذا ترقينا من الكرسي رأينا العرش الذي هو منتهى المخلوقات التي هي بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم إذا تدرجنا بالفكر من العرش الذي هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة البتة ، فيقف الفكر هناك لأن مطار الفكر ينتهي بانتهاء الأجسام فنرى إذ ذاك بقلوبنا وعقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة ، إذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسي لأن فوقية العرش على الكرسي لا تكون إلا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فإنها بالرتبة والمكانة دون المكان انتهى . والله تعالى أعلم.
المبحث الثامن عشر : في بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم إلا إن خيف من عدم التأويل محظور كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى
ولنبدأ بكلام الأصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيي الدين فنقول وبالله التوفيق ، قال جمهور المتكلمين : وما صح في الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى

....

ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعا لها من الخير في أعين ما أراده من الخير . وقال في قول أحد الملكين : اللّهم أعط منفقا خلفا وقول الآخر : اللّهم أعط ممسكا تلفا . اعلم أن الملائكة لسان خير صرف فما معنى قول الملائكة : اللّهم أعط ممسكا تلفا أي مثل ما أعطيت فلانا المنفق حتى أتلف ماله الذي كان عنده فتخلفه عليه كما أخلفته على المنفق كأنه يقول : اللّهم ارزق الممسك الإنفاق حتى ينفق وإن كنت يا ربنا لم تقسم له أن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فيصيب فهو دعاء له بالخير لا كما يظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فإن الملك لا يدعو قط على أحد بشر ولا سيما في حق المؤمن . قال : ولا شك أن

"186"
منه وننزه عند سماع المشكل منه كما في قوله تعالى : الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [طه : 5]. وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ [الرحمن : 27] وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي [طه : 39] يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ [الفتح : 10] ونحو ذلك . ثم اختلفوا هل يؤول المشكل أم يفوض علم معناه ؟
المراد إلى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم إنهم اتفقوا سلفا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا : والتفويض أسلم والتأويل إلى الخطأ أقرب مع ما في التأويل من فوات كمال الإيمان بآيات الصفات لأن الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن إلا بعين اللفظ الذي أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذي أولناه يرضاه الله تعالى مع أن من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج إلى علوم كثيرة
قل : أن تجتمع في شخص من أهل هذا الزمان وهي التبحر في معرقة لغة العرب من جميع القبائل والغوص في معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة أماكن التأويل وتمييزه عن الخطأ وغير ذلك من التبحر في علوم تفسير القرآن وشروح الأحاديث ومذاهب السلف والخلف في سائر الأحكام
قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف في " حاشيته " : وإنما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الخلق . قال : وقولهم وما صح في الكتاب والسنة من الصفات إلى آخره فيه تنبيه على أن الصفات الواردة في الكتاب والسنة غير منحصرة في الصفات الثماني المشهورة وقد ورد في الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا بيان للقاعدة الشاملة لحكم الجميع وهي اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض في المشكل المعنى.
(وأما كلام الشيخ محيي الدين في ذلك) : فكله مائل إلى التسليم وعدم التأويل إلا إن خفنا على إنسان وقوعه في محظور إذا لم تؤول ذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله في حديث مسلم وغيره : " مرضت فلم تعدني فإن العبد لما توقف في ذلك وقال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما إنك لو عدته لوجدتني عنده . . . " إلى آخر النسق .
وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة جواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن

....
دعاء المؤمن مجاب لوجهين : الأول : لطهارته ، والثاني : أنه دعاء في حق الغير بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك وأطال في ذلك .
وقال في حديث الترمذي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الصدقة تطفئ غضب الرب وترفع ميتة السوء .
اعلم أن غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فإن الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب .
قال : ولا يقال يحمل على معنى لا نفهمه لأنه يؤدي إلى أن الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الإفهام بما نعلم لنتعظ به .
قال : وأما ميتة السوء فهو أن يموت الإنسان على حالة تؤديه ؟ ؟ ؟ إلى الشقاء إذ

"187"
والستين عقب الكلام على الأذان من " الفتوحات " : يجب على كل عاقل ستر السر الإلهي الذي إذا كشف أدى عنه من ليس بعالم ولا عاقل إلى عدم احترام الجناب الإلهي الأعز الأحمى فيجب التأويل لمثل هذا ا ه . وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : أسلم العقائد الإيمان بما أنزل الله على مراد الله إذ الحق تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات إليه لعلمه بعجزنا عن

ذلك فإن حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس وأربعمائة ، وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : قطاع طريق السفر بالكفر في المعقولات الشبه القادحة في الإيمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل انتهى.
وسمعته رحمه الله يقول أيضا : ما ثم في الكون كلام إلا وهو يقبل التأويل قال تعالى : وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ [يوسف : 21] .
ثم إن من التأويل ما يكون موافقا لمراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا لمراد المتكلم فعلم أنه ما ثم كلام إلا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا إفهام كل من لا يفهم انتهى .
ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلاثمائة : لا يخرج أحد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات ما دام في قيد العقل فإذا خلع الله تعالى عليه من علمه أعلمه تعالى من طريق الإلهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال : ثم إن من رحمة الله تعالى أنه غفر للمؤولين من أهل ذلك اللسان إذا أخطأوا في تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإذن الله انتهى .
وقال الشيخ في " لواقح الأنوار " : اعلم أن الغلط ما دخل على الفلاسفة إلا من تأويلهم وذلك أنهم أخذوا العلم من شريعة إدريس عليه الصلاة والسلام فأولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد وفاته فأحل هذا العالم ما حرمه العالم الآخر .
قال الشيخ : وما علمت الخطأ إلا من إدريس عليه الصلاة والسلام ، حين اجتمعت به في واقعة من الوقائع فأخذت علمه عنه على وجه الحق انتهى . وقال أيضا في باب الأسرار : إياك والتأويل فإنك لا تظفر بطائر ومتعلق الإيمان إنما هو بما أنزل الله من الألفاظ لا بما أوله عقلك آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ [البقرة : 285]
إلى آخره وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ [المائدة : 66]
المراد بإقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه

....
الحق تعالى لا يغضب إلا على شقي . وقال في قوله تعالى : لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران : 92] يدخل في ذلك إنفاق العبد قواه في سبيل الله ، فإن نفسه أحب الأمور إليه فمن أنفقها في سبيل الله فله الجنة . وقال : طلب العبد الأجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فإن العبد في صورة أجير ما هو أجير إذ الأجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده وإنما العمل يقتضي الأجرة ولكن أخذها لا يتصور من العمل وإنما يأخذها العامل الذي هو العبد وهو قابض الأجرة من سيده فأشبه الأجير في قبضه الأجرة وفارقه بالاستئجار فليتأمل.
وقال في قوله تعالى : وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (10) [الضحى : 10] يدخل فيه السائل في العلم إذا

"188"
بفكره فقد أقامه فإن الفكر غير معصوم من الغلط انتهى . وقال في الباب الخامس عشر وثلاثمائة : اعلم أن من الأدب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الإيمان بها مع عدم الكيف كما جاءت فإنا لا ندري إذا أولنا على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أم ليس هو بمراد له فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فإذا قيل لنا : كيف يعجب ربنا أو كيف يفرح مثلا قلنا : إنا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وإنا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل على الكيف في ذلك كله إلى الله وإلى رسوله . قال : وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة إلى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الأمر مثلنا فترد عليهم هذه الإخبارات من الله تعالى فيسلمون علمها إلى الله تعالى كما سلمناه ولا نعرف تأويله هذا لا يبعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى بأي وجه كان هذا أيضا لا يبعد قال : وهذه

كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين انتهى . على أن الشيخ رحمه الله تعالى قد خرج على عقيدة من يقول : نؤمن بهذا اللفظ من غير أن نعقل له معنى في الباب الخامس وأربعمائة فقال : من آمن بلفظ من غير أن يعقل له معنى وقال : نجعل نفوسنا في الإيمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من إحالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول أيضا : نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول : إن الله تعالى قد خاطبنا بما لأنفسهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول : وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [إبراهيم : 4] وقد جاء بهذا فقد أبان صلى الله عليه وسلم ، لنا كما أمر الله تعالى.

(قال) : وأخبث الخائضين في الصفات بغير علم من طعن في الرسل وجعلهم في ذلك تحت حكم الخيال والأوهام.

(ويليهم) : من قال : إن الرسل أعلم الناس بالله لكنهم تنزلوا في الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ما هو الأمر عليه في نفسه فإنه محال فلسان حال هؤلاء كالمكذب للرسل فيما نسبوه إلى ربهم بحسن عبارة كما يقوله الإنسان إذا أراد أن يتأدب مع شخص يحدث بحديث لا

....

كان أهلا لما سأله فيتصدق العالم عليه بالعلم ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى له بها فضلا على من علمه ولا يطلب منه خدمة ولا أدبا في نظيرها فإن فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله ، قال الشيخ : ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهي طريقتنا إن شاء الله تعالى . وقال في مسألة الغني الشاكر والفقير الصابر وهي مسألة طويلة وغاية ما قال الناس فيها : إن الغني أفضل لتصدقه ، والذي عندي في ذلك أنه إنما كان أفضل لأجل سبقه إلى مقام الفقر ، ومسارعته إليه بالصدقة فله زيادة أجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس

يعتقد السامع صدقه فلا يقول له : كذبت وإنما يقول له : يصدق سيدي فيما قال : ولكن ليس الأمر كما ذكرتم وإنما صورة الأمر كذا وكذا . فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة.
(ويليهم) : في ذلك من قال : لا نقول بالتنزل في العبارة إلى أفهام الناس وإنما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة قال : وهذا أمر موجود في اللسان الذي جاء به الرسول فهذا أشبه حالا ممن تقدم إلا أنهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره في الباب الخامس وأربعمائة . وقال في الباب السابع والسبعين ومائة:
عليك يا أخي بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات وأخبارها فإن أكثر المؤولين هالكون وأخف الطرائق حالا من قال : لا نشك في صدق رسولنا ولكنه أتانا في نعت الله الذي أرسله إلينا بأمور إن وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك إلى حدوثه وزال كونه إلها علينا وقد ثبت كونه تعالى إلها عندنا فننظر هل لذلك مصرف في اللسان فإن الرسول إنما يرسل بلسان قومه وما تواطؤوا عليه فنظروا فأداهم ذلك إلى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فإذا قيل لهم ما دعاكم إلى ذلك قالوا : دعانا إلى ذلك أمران : الأول:
القدح في الأدلة فإنا بالأدلة أثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح في الأدلة العقلية فإن في ذلك قدحا في الأدلة على صدقه .
(الأمر الثاني) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لنا : إن الله الذي أرسله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11]
فوافق ذلك الأدلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فإن قبلنا مثل ما قاله في الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك أخذنا في التأويل إثباتا للطرفين انتهى وهو كلام نفيس . وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة : اعلم أن الخير كله في الإيمان بما أنزل الله والشر كله في التأويل فمن أول فقد جرح إيمانه وإن وافق العلم وما كان ينبغي له ذلك وفي الحديث كذبني عبدي ولم يكن ينبغي له ذلك فلا بد أن يسأل كل مؤول عما أوله يوم القيامة ويقول له : كيف أضيف إلى نفسي شيئا فتنزهني عنه وترجح عقلك على إيمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا أخي أن تنزه ربك عن أمر أضافه إلى نفسه على ألسنة رسله كان ما كان ولا تنزهه بعقلك مجردا جملة واحدة فقد نصحتك فإن الأدلة العقلية كثيرة التنافر للأدلة الشرعية في الإلهيات وأطال في ذلك بذكر نفائس سابقة ولا حقة فراجعه تر العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى أعلم .
وقال في الباب الرابع ومائتين : اعلم أن من يقول

....
يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسألة فإنا فرضنا مال الرجلين على التساوي وإنما وجه التفضيل أن الذي تصدق بالأكثر كان دخوله إلى مقام الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه إلى جانب الفقر لا غير قال وهذا لا ينكره من له ذوق في المقامات ، والأحوال ، والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم ولو أنه تصدق بالكل وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام.
(وقال) : في قوله تعالى : وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً [المزمل : 20] القرض الحسن أن لا

بالتنزل للعقول في أخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فإن العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت الحقائق فإن العبد ما تجلى إلا بما هو له ولا ظهر الحق إلا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الأمر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف به نفسه من العزّة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفي المماثلة وهو أيضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخداع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال في حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال بالتنزل إلا من لا معرفة له بالحقائق قال : وكذلك كنا لولا أن من الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا أن نبين للخلق ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه إلا لعذر شرعي انتهى.
وقال في الباب الثامن والخمسين من " الفتوحات " : اعلم أن من أعجب الأمور عندنا كون الإنسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق خديمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم إنه مع معرفتنا بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك ، فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئا مما ذكرناه إلا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم إنه إذا حصل شيئا من هذه الأمور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول إن الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه وأطال في ، ذلك ثم قال:
وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه وإذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن أعلم أن فكره مقلد لخياله ، وخياله مقلد لحواسه ، انتهى .
وقال في الباب الثالث من " الفتوحات " : اعلم أن جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق وإحياء وإماتة ومنع وإعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشيش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فإننا ما وصفنا به من عند أنفسنا وإنما هو تعالى هو الذي وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالأدلة العقلية ولكن ذلك على حد ما يعمله سبحانه
....
يطلب مضاعفة الأجر وإنما يقرض لأجل أمر الله تعالى له بالإحسان . وقال في حديث الذي تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه في هذا الحديث إن جوارح الإنسان تعلم بالأشياء ولهذا وصفها الله تعالى بأنها تشهد يوم القيامة بقوله : يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ [النور : 24] فافهم
ثم اعلم أن إخفاءها يكون على وجوه منها أن لا يعلم بك من تصدقت عليه بأن أعطيتها لشخص فأعطاها لذلك الفقير من غير أن يعلمه ؛ ومنها أن تعطي صدقتك لعامل لسلطان فيعطيها للأصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذي أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منه ولا عزة نفس قال : وليس في الإخفاء

وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شيء من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته إلى الله إلا على غير الوجه الذي ينسبه إلينا ونعوذ بالله أن نضيف ذلك إلى الله على حد علمنا نحن به فإنا جاهلون بذاته في هذه الدار وفي الآخرة لا ندري كيف الحال وكل من رد شيئا مما أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله فقد كفر بما جاء من عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى في نسبته ذلك إليه مثل نسبته إلينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى .

وقال في الباب الثالث والسبعين من " الفتوحات " : اعلم أن جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهي تجليته تعالى في نحو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] وأما نسبة التنزل للخيال فهي تجليته في قوله تعالى : وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى : 11] . وفي نحو قوله في الحديث : " اعبد الله كأنك تراه " . وقوله : فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة : 115]
وإن الله في قبلة أحدكم وفي وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الإلهي قال تعالى : وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [إبراهيم : 4] يعني لهم بلغتهم ما هو الأمر عليه .
ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الألفاظ إلى الحق جل وعلا كما نسبها إلى نفسه ولا يحكم في شرحها بمعاون لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الألفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال : وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالفا وأطال في ذلك ،
ثم قال : وقد ورد في القرآن قوله تعالى في آدم : لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [ص : 75] .
ومعلوم أنه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على أن تكون الواحدة يد النعمة والأخرى يد القدرة لأن ذلك سائغ في كل موجود ، والآية إنما جاءت تشريفا

....
أخفى من هذا . وقال في حديث مسلم : " أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان : كذا ولفلان كذا " الحديث.
اعلم أنه ينبغي لمن وصل إلى هذا الحد وأراد أن يعطي أحدا شيئا فليحضر في نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الأمناء المؤدين أمانتهم لا مع المصتدقين لفوات محل الأفضل والله أعلم.
(وقال) في حديث : " من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين " المراد

لآدم على إبليس ولا شرف لآدم بهذا التأويل فلا بد أن يكون ليدي معنى خلاف ما ذكرناه مما يعطي التشريف ولا نعلم أن اليدين إلا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما في قوله في الحديث : فلما خلق الله تعالى الكرسي تدلت إليه القدمان ولا يعلم القدمان إلا الأمر والنهي اللذين هما مظهر أهل الجنة والنار . فافهم . فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما خرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان النسبتان على ثلاثة أقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع دليل فكره أو نظره خاصة ومشبه مما أعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لها وهؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط ورد التنزل للعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله أن يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين انتهى . وقال في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة : اعلم أنه يجب الإيمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف قال : وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يدا ويدين ، وأصبعا وإصبعين وأصابع ، وعينا وعينين وأعينا ، ومعية وضحكا ، وفرحا وتعجبا ، وإتيانا ومجيئا ، واستواء على العرش ، ونزولا منه إلى الكرسي وإلى سماء الدنيا . وأخبر : أن له بصرا ، وعلما ، وكلاما ، وصوتا . وأمثال ذلك : من نحو الهرولة والحد ، والمقدار والرضا ، والغضب والفراغ والقدم . قال : وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة إلى الله تعالى يجب الإيمان به لأنه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل إلى التأويل إلا لينصر جانب العقل والفكر على جانب الإيمان فإنه ما أول حتى توقف عقله في القبول فكأنه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى.
وقال الشيخ في كتابه " لواقح الأنوار " : اعلم أنه ليس عند أهل الكشف في كلام العرب مجازا أصلا إنما هو حقيقة وذلك أنهم وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا يد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف للمعروف وهكذا من ادّعى أنهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له إليه ولما قالوا فلان أسد وضعوا هذا حقيقة في لسانهم أن كل شجاع يسمى أسدا فوضعوا هذا الإطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شيء إذ التشبيه إنما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة وما عدا هذين الأمرين إنما هو ألفاظ اشتراك فنسبها حينئذ

....
بالأفضل الذي أعطيه هذا هو العلم بالله فإنه أفضل ما أعطي السائلين بيقين وأما غيره فهو على الظن . وقال : أنما ذكر الحق تعالى أنه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطي للفقير الأشياء النفيسة وذلك أن المنادي ينادي يوم القيامة أين ما أعطي لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخلع من الثياب ثم ينادي أين ما أعطي لغير وجه الله فيؤتى بالأموال الجسام ، والأطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل .
وقال : كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من إضافة الكبر والصغر إليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الإلهي.
[الباب الحادي والسبعون في أسرار الصوم]
وقال في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم إنما قال تعالى : الصوم

متى جاءت إلى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات انتهى . وقال في الباب الثاني من " الفتوحات " : اعلم أن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وإنما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى : ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى (8) فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى (9) [النجم : 8 ، 9] فإن ملوك العرب كان عندها الكريم المقرب يجلس منهم على هذا الحد فعقلت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم ، من ربه عز وجل ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب . وقال في الباب الثالث منها أيضا : اعلم أنه ما ضلّ من ضلّ من المشبهة إلا بالتأويل على حسب ما يسبق إلى الأفهام من غير نظر فيها يجب لله عزّ وجلّ من التنزيه فقادهم ذلك إلى الجهل الصريح ولو أنهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات ، والأخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها إلى شيء البتة ووكلوا علم ذلك إلى الله ورسوله لأفلحوا وكان يكفيهم لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] فمتى جاءهم حديث ظاهر التشبيه
قالوا : إن الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شيء فما بقي إلا أن لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على أنك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه أبدا وإنما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره إلى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي إلى التنزيه فحمل لمتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي إلى التشبيه ثم إنه يأخذ بعد ذلك في تأويله جور على ذلك اللفظ إذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك أيضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل عليه ما لا يليق بجلاله قال : ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس عليها ما لم أذكره لك .
فمن ذلك حديث : " قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن " .
نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الأصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب : ما أحسن أصبع فلان على ماله فإذا كان الأصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والأثر الحسن فبأي وجه يحمل الأصبع على الجارحة كأنه نص في ذلك ويترك وجه التنزيه فإما أن العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه وإما أن يسكت ويكل علم ذلك إلى الله وإلى من عرفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولا بد اللهم إلا أن يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم فعلم أن معنى الحديث على مذهب أهل الحق من هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن

....

لي غيرة إلهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فإن الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد في الصوم أنه لا مثل له أي من العبادات وذلك لأنه وصف سلبي إذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذي هو يعقل فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل وإن أطلق ذلك عليه فهو مجاز وإن وصف العبد به فهو مقيد لا مطلق ذلك عليه كالحق لأن الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد إنما هو منزه عنه في وقت مخصوص وأطال في ذلك وقال في حديث : " لخلوف فم الصائم أطيب

وهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد والله أعلم ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى:
وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [الزمر : 67] نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في قبضته يعني: تحت تصريفه كما يقال : فلان في قبضة يدي يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحته منه شيء البتة وإنما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده حسا وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فإنما ذكرها لأن اليمين محل التصريف المطلق القوى إذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى إلى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع قلوبهم إلى التلقي لها بالقبول والله أعلم .
ومن ذلك التعجب ، والضحك ، والفرح ، والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع إلا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهناك يصح له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لأنه هو الخالق لذلك الأمر الذي أخبر أنه يتعجب منه أو يضحك لأجله أو يفرح له فرجع المعنى إلى أن مثل ذلك إنما هو تنزل للعقول ليظهر لأصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث : " يعجب ربنا من شاب ليس له صبوة " .
أي : لا يقع في الزنى مثلا . مع ثوران شهوته قال : ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الأمر فإن حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب عليه في النهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب إذ هو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الأمر الذي وقع فيه . وقال بعضهم : المراد بالغضب الإلهي هو إقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر إلى الأذهان فإن ذلك محال على الحق فإنه خالق لأفعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى يغضب عليهم وأما الغضب الأخروي فيكون على أهل النار خاصة . أما الغضب على غيرهم ، فينقضي بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم . ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق

....
عند الله من ريح المسك " لم يبلغنا أن الله تعالى أعطى أحدا من الخلق إدراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه في نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذي بالروائح الخبيثة.
(قال) : وما انفرد بإدراكها أطيب من ريح المسك إلا الحق تعالى على أن أفعل التفضيل في جانب الحق محال لتساوي الروائح كلها عنده إذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك ، قال : ولا أدري هل الحيوان أن يدرك رائحة الخلوف متغيرة أم لا لأني ما أقامني

فإن ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء ، والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وأنه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله أعلم.
(ومن ذلك) : لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث : " إني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن " .
ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس
وقال بعضهم : المراد بالنفس التنفيس . فإن الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم ، بالأنصار حين أتوه من قبل اليمن وأزال كربه بهم .
قال : ويدل عليه إضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الأسماء التي لا تعطي الرحمة انتهى.
(خاتمة) : سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من اعتقد بقلبه أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق لم يتوقف قط في إضافة صفة أضافها الحق تعالى إلى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا إلى الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه إذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى أبدا . وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين ومائتين من " الفتوحات " : اعلم أنه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شيء إلا بعد شهودك بعقلك أن ذلك الشيء نقص وأن ذلك يلحق الحق تعالى . ولو لم تشهد ذلك ما نزهته عنه ، وإلا فكيف تنزهه عن أمر ليس هو مشهودا لك عقلا فإذن التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم يوجد في العقل فإن غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء أن يقول : المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطاني على المكان الإحاطي الأعظم أو على الملك فما خرج هذا عن التشبيه فإن غايته أنه انتقل من التشبيه بمحدث ما إلى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] .
ألا تراهم استشهدوا في التنزيه العقلي للاستواء بقولهم: قد استوى بشر على العراق
وأين استواء بشر على العراق الذي هو عبد من استواء الخالق جل وعلا على أن الشيخ
....
الحق تعالى في صور حيوان غير إنسان كما أقامني في أوقات في صورة الملائكة فتأمله وحرره والله عليم حكيم .
وقال في حديث : " يدع طعامه وشرابه من أجلي " إنما قدم الطعام على الشراب في الذكر لأن الطعام هو الأصل في الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لأن العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الإمساك عن الماء وإن عطشت أقام والله الشهور والسنين ، لا يشتهيه من غير تأثير في المزاج ولا في البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التي في الطعام وأطال في ذلك الكلام على آداب الخلوة .
وقال في حديث : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان

قال في مكان آخر : من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يستولي الملك على ملكه فأي شيء أنكره على من قال بالاستقرار الذي هو من صفات الأجسام وكلا الأمرين حادث بل لو جاز إطلاق أحد الأمرين لكان إطلاق الاستقرار أولى لكون العرش جاء في الحديث بمعنى السرير نحو قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة " انتهى.

(تتمة) : نختم بها الخاتمة . قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والستين وثلاثمائة من " الفتوحات " : اعلم أن من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاء من آيات الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعدم إيمانهم بها إذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل فإن البحر واحد فكما وجب الإيمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون وكما سلمنا لما جاء به الأصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشريعة ويا ليت الناس إذ لم يؤمنوا بما جاء به الأولياء يجعلونهم كأهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى . فتأمل في هذا المبحث وتعقله فإنك لا تجد ما فيه في كتاب والله يتولى هداك.

المبحث التاسع عشر : في الكلام على الكرسي واللوح والقلم الأعلى

اعلم يا أخي أن الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسي محل بروز الأوامر والنواهي المعبر عنهما في حديث الكرسي بتدلي القدمين من العرش إليه إذ العرش محل أحدية الكلمة العلية المشتملة على الرحمة كما أشار إلى ذلك تخصيص الاستواء بالاسم الرحمن ، وأما الكرسي فقد انقسمت الكلمة فيه إلى أمرين ليخلق تعالى من كل شيء زوجين فظهرت الشفعية في الكرسي بالفعل وكانت في العرش بالقوة فإن قدمي الأمر والنهي لما تدلتا إلى الكرسي انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي فاستقرت كل قدم في مكان غير مكان القدم الآخر وهو منتهى استقرارهما فسمى أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل إليه أهل القدمين كما ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة . وما ذكرناه من أن المراد بالقدمين

....

كون الصائم دخل في عمل مستور ليس له عين وجودية كما مر أول الباب فيظهر للبصر ولا هو بعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر ، والخفاء .

وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فإن النار إذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضا وكذلك الصائم إذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائد لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك في باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الأطعمة والأشربة وصفدت الشياطين التي هي صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال في ذلك.

اللتين تدلتا إلى الكرسي هما : الأمر والنهي هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة .
وعبر عن القدمين في الباب الثالث عشر بأنهما الخير والشر وكلاهما صحيح لأن الخير والشر الأمر والنهي فاعلم ذلك فإنه نفيس لا تجد تأويله في كتاب.
(فإن قيل) : فما محل استقرار أعمال بني آدم إذا صعدت بها الملائكة ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين من " الفتوحات " : أنه ينتهي صعودها إلى سدرة المنتهى فإن كل شيء يرجع نهايته إلى ما منه بدأ.
(فإن قيل) : إن الكرسي هو موضع القدمين اللذين هما الأمر والنهي فلا يتأخر عن الكرسي عمل ؟
(فالجواب) : إن ذلك خاص بعالم الخلق والأمر وأما التكليف فإن أصله إنما هو منقسم من السدرة فقطع أربع مراتب قبل السدرة ، والسدرة هي المرتبة الخامسة وإيضاح ذلك أن التكليف ينزل من قلم ، إلى لوح ، إلى عرش ، إلى كرسي ، إلى سدرة .
ومعلوم أن أحكام التكليف خمسة لا سادس لها واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش ، والمكروه من الكرسي ، والمباح من السدرة .
إذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السعادة إلى السدرة وإلى أصولها وهي: الزقوم ينتهي نفوس عالم الشقاء فإذا صعدت الأعمال التي نشأت من هذه الأحكام الخمسة المذكورة كان غايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت انتهى.
(فإن قيل) : فما صورة صعود الأعمال مع أنها أعراض ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وثلاثمائة : إنها تتطور ملائكة على شاكلة فاعلها ثم تصعد فتخرج من الهيكل إلى محالها على مركبها الذي هو روح الحضور فيها فيضع قدمه منتهى بصره حتى يصل العمل إلى محل انتهائه الذي هو محل بروزه الأول.
(فإن قيل) : فما وجه تخصيص هذه الأماكن بالأحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح ؟ الخ.
....
(وقال) : الذي أقول به : وهو مذهب ابن الشخير أيضا إذا غم علينا شهر رمضان أن لا نعمل بأكبر المقدارين وإنما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فإن كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وإن كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين .
وقال : وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة الصوم أن يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما لا يجتمع القرب والبعد كذلك لا يجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة أنه راعى حكم الطبيعة
وقال : الصوم نسبة إلهية فأثبت كل أمر في موضعه . وقال في الكلام على كفارة

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين : أن وجه التخصيص كون كل محل يمد ما برز منه فيكون من القلم نظر إلى الأعمال الواجبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظر إلى المحظورات فلا يمدها إلا بالرحمة لأنه محل استواء الاسم الرحمن
قال : ولهذا يكون مآل من لم يسبق له شقاوة الرحمة ويكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة فيمدها بحسب ما يرى فيها لكن رحمة الكرسي دون رحمة العرش إذ الرحمة تعظم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين فلذلك عمت رحمة الكرسي جميع من فعل المكروه ورحمة العرش جميع من فعل الحرام إما رحمة إمهال وتخفيف وإما رحمة دوام ولما كان الكرسي محل بروز الأمر والنهي على ما قررناه أسرع في العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه ويؤجر تاركه والله أعلم.
(فإن قلت) : فما صورة خلقه تعالى اللوح والقلم والكرسي والعرش وأيهما خلق قبل الآخر ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث عشر من أبواب " الفتوحات " : أن أول ما خلق الله القلم الأعلى فهو رأس ملائكة التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعل الله لهذا القلم ثلاثمائة وستين سنا كل سن يغترف من ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الإجمالية فيفصلها في اللوح ثم إنه ذكر في الباب الستين منها أن مقدار أمهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق إلى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلاثمائة وستين في مثلها من أصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص انتهى .

وقال في الباب الثالث عشر : اعلم أن الحق تعالى لما تجلى للقلم وهو في محل التعليم الذهني قذف تعالى فيه ما يريد إيجاده في خلقه لا إلى غاية فأوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجودا آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى إليه ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين أودعه إياها القلم ثم إن الله تعالى أوجد الظلمة المحضة التي هي في مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور ما

....
الجماع قال بعضهم : الذي يترجح في خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لأن المقصود بالحدود والعقوبات إنما هو الزجر .
قال الشيخ : والذي أقول به : إنه يفعل الأهون من الكفارة لأن الدين يسر ولكن إن فعل الأشق من قبل نفسه كان حسنا لأن كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ، ولا رسوله ، وإنما اقتضاه النظر الفكري وقد يصيب في ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر في العالم.
(وقال) : الذي أقول به : إنه لا كفارة على المرأة إذا طاوعت زوجها في الجماع في

ظهر لهم في صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق القابل للوجود المطلق فعند ما أوجدها تعالى أفاض عليها من ذلك النور المتجلي للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم إنه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله : وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [الزمر : 75] ثم إنه تعالى أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فإن كل فلك أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وبنيه الأرض ثم خلق في جوف الكرسي الأفلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الأرواح ثم الغذاء ثم جعل لكل مكلف مرتبة في السعادة والشقاء انتهى.

(فإن قلت) : قد ورد في الحديث أن الحق تعالى قال للقلم : اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة فذكر الغاية ، فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين ؟

(فالجواب) : أن جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الأحكام التي كتبت عليهم في اللوح حتى الشقاء الأبدي لتجزى كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلاثمائة : إنما خص الحق تعالى الكتابة في اللوح بأمور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف أمور الآخرة فإن القلم لا يقدر يكتب علمه فيها لأنها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود ا ه.

(فإن قلت) : فما وجه تخصيص القلم الأعلى بالذكر فهل هناك غيره قلم ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلاثمائة من " الفتوحات " : أن هناك أقلاما أخر دون القلم الأعلى وألواحا أخر دون اللوح المحفوظ كما أشار إليه حديث الإسراء وقوله فيه فوصلت إلى مستوى سمعت فيه صريف الأقلام والصريف هو الصوت.

(فإن قلت) : فما عدد هذه الألواح والأقلام ؟

(فالجواب) : عددها ثلاثمائة وستون قلما وثلاثمائة وستون لوحا ذكره الشيخ في

....

الصوم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة في حديث الأعرابي ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي للمؤمن أن يشرع شيئا فيما سكت عنه الشارع .

وقال الذي أقول به : إن العارف إذا كشف له أنه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة إلى الفطر في ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لأن الله تعالى ما شرع له الفطر إلا حال المرض

قال : ونظير ذلك من كشف له عما يقع فيه من المعاصي ولا بد لا ينبغي له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لأن الله قد راعى حكم الشرع في الظاهر على أن هذا الأمر ليس عندنا بواقع أصلا وإن كان جائزا عقلا ، وأطال في ذلك.

(وقال) : إنما كان صلى الله عليه وسلم يقدم الرطب على التمر إذا أفطر في رمضان لأن الرطب أحدث

“ الفتوحات “ في الباب المتقدم آنفا قال : ورتبة هذه الأقلام والألواح دون رتبة القلم الأعلى واللوح المحفوظ . وذلك لأن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمي بالمحفوظ يعني : من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه الأقلام والألواح فإن هذه الأقلام تكتب دائما في ألواح المحو والإثبات ما يحدثه الله تعالى في العالم من الأحكام المشار إليها بقوله تعالى : يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ [الرعد : 39] . قال : ومن هذه الألواح تنزلت الشرائع والصحف والكتب الإلهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع الواحد .
قال : وإلى محل هذه الألواح كان التردد ليلة الإسراء أي: تردد محمد صلى الله عليه وسلم ، بين الألواح ، وبين موسى عليه الصلاة والسلام ، في شأن الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، في هذه الألواح وإلى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح إلى أن أثبت فيها الخمس وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى إلى محمد ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ [ق : 29]

فما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ، بعد الخمس يسأل شيئا من التخفيف على سبيل الجزم وإنما ذلك من حضرة الإطلاق على سبيل العرض قال : ومن حضرة هذه الألواح أيضا نزل قوله تعالى : ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ [الأنعام : 2] .
ومنها أيضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد في قبضة نسمة عبده المؤمن حين موته مع أنه تعالى هو الذي قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي .
قال : ومن هذه الحقيقة الإلهية التي كنى عنها بالتردد يكون سريانها في التردد الكوني في الأمر وحصول الحيرة فيه وذلك أن الإنسان إذا وجد نفسه تردد في فعل ما هل يفعله أم لا .
وما زال ذلك الحال به حتى وقع أخذ الأمور التي كان تردد فيها وزال التردد فذلك الأمر الواقع هو الذي ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الأمور المتردد فيها وهو الذي ينتهي إليه أيضا أمر ألواح المحو والإثبات وإيضاح ذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمرا ما .
وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الأمر ثم إن تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لأنه ثم رقيقة من هذا اللوح تمد إلى نفس هذا الشخص في عالم الغيب .
فإن الرقائق إلى النفوس من هذه الألواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فإذا أبصر القلم موضعها من اللوح ممحوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الأمر من الفعل

....
عهد بربه كما قال ذلك حين اغتسل في المطر .
وقال : “ السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب “ لأنه له وجه إلى النهار ووجه إلى الليل ولذلك كان السحور مشتقا من السحر فلا يسمى سحور إلا ما كان في هذا الوقت .
(وقال) الذي أقول به : إن المفطر من صوم التطوع إن كان لهوى نفسه فعليه القضاء ، وإن كان لشغله بمقام أو حال فلا قضاء عليه .
وقال في حديث مسلم ”: صوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله “ أي فلا يؤاخذ من صامه بشيء مما جناه في السنة كلها
وإنما قال : أحتسب على الله مع أنه على علم من الله أنه يكفر ذلك أدبا مع الله لأن العارف إذا قال أحتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وإنما يقولها عن

والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة إلى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الأول ثم إن أراد الحق تعالى إثباته لم يمحه فإذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت ليفعل ذلك الأمر أو يتركه بحسب ما في اللوح .

فإذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما ما بفعله وأثبته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ثم إن القلم يكتب أمرا آخر هكذا الأمر دائما فعلم أن القلم الأعلى أثبت في لوحه كل شيء تجري به هذه الأقلام من محو وإثبات ففي اللوح المحفوظ إثبات المحو في هذه الألواح وإثبات الإثبات ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء أمر آخر فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمي محفوظا يعني : من المحو كما مر.
(فإن قلت) : فهل يدخل المحو في الذوات كالأعمال ؟
(فالجواب) : كما قاله سيدي علي الخواص رضي الله عنه : لا يدخل المحو في الذوات وإنما هو خاص بالأحوال والأعمال كما أشار إليه حديث إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث انتهى.
(فإن قلت) : فهل اطلع أحد من الأولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الأعلى في اللوح إلى يوم القيامة ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم . قال : وأنا ممن أطلعه الله على ذلك.
(فإن قيل) : فكم عدد ما سطر في اللوح من آيات الكتب الإلهية ؟
(فالجواب) : عدد ما سطر في اللوح من الآيات التي أنزلت على الرسل مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيي الدين في الباب المتقدم وقال : هذا ما أطلعنا الله عليه.
(فإن قلت) : فهل اطلع أحد من الأولياء على عدد أمهات علوم أم الكتاب الذي هو الإمام المبين ؟
(فالجواب) : نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده قال الشيخ محيي الدين في الباب

....

تحقيق كما قال صلى الله عليه وسلم : " وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " فاستثنى في أمر مقطوع به فالاستثناء في نحو ذلك أدب إلهي والله أعلم . وقال في حديث وأتبعه بست من شوال .
اعلم أن هذه الأيام بدل من الستة أيام التي نهى عن صيامها وهي يوما العيد وثلاثة أيام التشريق ، ويوم الشك ،
قال : وأما حديث " إذا انتصف شعبان فلا تصوموا " فلأن في ليلة النصف من شعبان يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقي خطا أسود وعلى اسم السعيد خطا أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقي فكان الموت بعد هذه الليلة

الثاني والعشرين : والذي أطلعني الله تعالى عليه من طريق الكشف أن عدد أمهات علوم أم الكتاب مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم جمة انتهى.

(فإن قلت) : فما مراد أهل العقائد بقولهم : السعيد من كتبه الله تعالى في الأزل سعيدا والشقي من كتبه الله تعالى في الأزل شقيا ؟ هل هذه الكتابة المذكورة في اللوح المحفوظ أم غيره ؟ وهل الأزل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى لا يتعقل ؟

(فالجواب) : المراد به : أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره : فالمراد بالأزل ما لا يدخله تبديل ولا تغيير وفي حديث الترمذي فرغ ربك من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبي شريف : مرادهم بغير الأزل التي تكتب فيها الملائكة رزق الإنسان وأجله وشقيا أو سعيدا عندما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق التبديل إلى ما كتب في هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شيء لا يدري الملك أيقع أم لا . مع علم الله بما يكون من وقوعه أو عدمه انتهى.

(قلت) : وفيه تأييد لما قدمناه من أمر ألواح المحو والإثبات الثلاثمائة وستين لوحا المتقدمة عند أهل الكشف ولعلها هي المرادة في لسان المتكلمين بالصحف.

(فإن قلت) : هل يقال : إن الحق تعالى تكلم في الأزل كما ذهب إليه بعضهم ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين في بعض كتبه : إن ذلك لا ينبغي لذهاب الذهن إلى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن أن يقول أو يقدر في الأزمان إذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم انتهى.

(فإن قيل) : كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد أن الله كتب التوراة بيده ؟

(فالجواب) : أن التوراة لم تتغير في نفسها وإنما كتابتهم إياها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسبة مثل ذلك إلى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى : يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [البقرة : 75] فهم يعلمون أن كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم وفي مصحفهم المنزل عليهم فإنهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من

....

للمؤمن مشهودا حتى كأنه محتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتأمل ويحرر.

(وقال) : دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يصح صوم يومين : يوم عيد الفطر ويوم الأضحى " . قال : لأن الخطاب يقتضي أن ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما وإلّا كان تخصيصهما عبثا . وقال من كان في مقام السلوك ودعى إلى طعام أو شراب وهو صائم فلا ينبغي له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا

الأصل وأبقوا الأصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم.
(فإن قيل) : إن آدم عليه الصلاة والسلام ، خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة ؟ وأين رتبة اليد من اليدين إن جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام ؟
(فالجواب) : إنما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام ، من جريان الأقدار لأنه عبد وليس جريان الأقدار إلا عليه لأنه هو المحل الأعظم لذلك وأما كلام الله تعالى فإنما عصم لكونه حكم الله وحكم الله في الأشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله.
(فإن قلت) : فإذا كان خلق آدم باليدين إنما هو لشدة الاعتناء به على غيره فإذن الحق تعالى بالأنعام أشد اعتناء بها منه لأن الله تعالى جمع الأيدي في خلقها فقال : مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً [يس : 71].
(فالجواب) : أن توجه اليدين على آدم أقوى من توجه الأيدي على الأنعام ، لأن التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث إنه لا يواصل إلى الجمع إلا بها ولا ينتقل عن المفرد إلا إليها.
(فإن قلت) : فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع أن الخلق لا يتعقلون الدهر إلا زمانا ؟
(فالجواب) : أن المراد بالدهر هنا هو الأزل والأبد اللذان هما الأول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك . فإنه تعالى سمى نفسه بالأول لكن لا بأولية تحكم عليه كالأوليات المسبوقة بالعدم لأن ذلك محال في حق الحق وكذلك القول في الآخر فإنه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الأول.
(فإن قلت) : فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير ؟
(فالجواب) : سبب كفرهم تعقلهم في الدهر الذي جعلوه إلها أنه زمان فلكي إذ الفلكي لا حقيقة له في زمان الله الذي لا يتعقل ولو أنهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم:

....

كراهة لإحكامه رياضة نفسه . وقال : كان داود يصوم يوما ، ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يومين ، وتفطر يوما لأنها رأت أن للرجال عليها درجة فقالت : عسى يكون هذا اليوم الثاني من الصوم في مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك أنها لما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت : صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت : مقام داود في ذلك وساوته في الفضيلة وأطال في الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله . وقال في حديث : “ من فطر صائما فله مثل أجره “ أي أجر فطره لا أجر صومه لأن الصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه إذ

يقول الله : أنا الدهر والله تعالى أعلم.
المبحث العشرون : في بيان صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهره عليه الصلاة والسلام
اعلم يا أخي أن المعتزلة قد أنكروا هذا العهد والميثاق وزعموا أن معنى قوله تعالى:
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الأعراف : 172] .
أن المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا إلى يوم القيامة وأنه ليس هناك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وأن المراد بالعهد والميثاق هو إرسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال توجيه الخطاب إلى العبد ولا يخفى ما في هذا المذهب من الخطأ والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في إثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسألة والذي يظهر لي أنهم إنما أنكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق أن الله تعالى أخذ عليهم العهد في ظهر آدم حقيقة لأنه على كل شيء قدير.
(فإن قيل) : ففي أي محل كان أخذ هذا العهد ؟
(فالجواب) : كما قاله ابن عباس : أن ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم : بسرندنديب من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط به آدم من الجنة وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال علي بن أبي طالب : كان أخذ العهد والميثاق في الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق.
(فإن قيل) : فما كيفية استخراجهم من ظهره ؟
(فالجواب) : قد جاء في الحديث إن الله تعالى مسح : " ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر " .
ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والأقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله : أنه

....

الفطر عند الغروب من تمام الصوم ومن أعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدي إليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصا كما أن كل نبي يعطى أجر الأمة التي بعث إليها سواء آمنوا به أو كفروا وأطال في ذلك.
(وقال) في حديث : " كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الآخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله " المراد إحياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي .
وقال الذي أقول به : إن ليلة القدر تدور في السنة كلها قال : لأني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع ، وفي شهر رمضان ولكن أكثر ما رأيتها في رمضان وفي العشر الآخر منه ورأيتها مرة في العشر الأوسط منه

تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال : مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصنان وهذا غير بعيد في العقل فيجب الاعتقاد بأنه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره أنه أمر بعض ملائكته بالمسح فنسب ذلك إلى نفسه لأنه بأمره كما يقال : مسح السلطان طين البلد الفلانية وما مسحها إلا أعوانه فإن الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة إذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم.

(فإن قيل) : كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال ؟

(فالجواب) : الصحيح أن جوابهم كان بالنطق وهم أحياء إذ لا يستحيل في العقل أن يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فإن بحار قدرته واسعة وغاية وسعنا في كل مسألة إن ثبت الجواز ونكل كيفيتها إلى الله تعالى.

(فإن قيل) : إذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد قوما ؟

(فالجواب) : كما قاله الحكيم الترمذي : أنه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا : بلى مخافة فلم يك ينفعهم إيمانهم كإيمان المنافقين وتجلّى للمؤمنين بالرحمة فقالوا : بلى طوعا فنفعهم إيمانهم وقيل : إن أصحاب اليمين قالوا : بلى حقا فرجع صوتهم إلى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت في شعاب الجبال والكهوف الخالية الذي يسمونه الصدى وكان هواء الأرض يومئذ خاليا من الأصوات إذ لم يكن أحد في الأرض غير آدم ، وإنما هو محاكاة للصوت الأول ولا حقيقة له

وقد أطال الشيخ أبو طاهر القزويني في ذلك ثم قال : والصحيح عندي أن قول أصحاب الشمال : بلى كان على وفق السؤال وذلك أن الله تعالى سألهم عن ربهم ولم يسألهم عن إلههم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ في زمان التكليف وإنما كانوا في حالة التخليق والتربية هي الفطرة فقال لهم : ألست بربكم قالوا : بلى لأن تربيتهم إذ ذاك مشاهدة فصدقوا في ذلك كلهم ثم لما انتهوا إلى زمان التكليف وظهور ما قضى الله تعالى في سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة فكان منهم من وافق اعتقاده في قبول الإلهية إقراره الأول ومنهم من خالفه ولو أنه تعالى كان قال لهم : ألست بأحد . وقالوا : بلى لم يصح

....

غير ليلة وتر وفي الوتر منها فإنا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه ولم ينقل إليها أن أحدا رأى ليلة القدر في العشر الأول من رمضان أبدا وذلك لأنها ليلة تجل إلهي ولم يرد لنا حديث في أن الحق تعالى يتجلى لنا في الثلث الأول من الليل أبدا .

(قلت) : ورد أن الله تعالى يتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس إلى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلي فيعتقد أنها ليلة القدر ولعلها شبهة من يقول : إذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله أعلم.

لأحد أن يشرك به فافهم.
(فإن قيل) : إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم ؟
(فالجواب) : إنما كنا لا نذكره لأن تلك البنية قد انقضت وتداولت الإنسان الغير ممرور الدهور عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم زاد الله تعالى في تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها في الأطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب الوقوع في النسيان . وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إني لأذكر العهد الذي عهد إليّ ربي وأعرف من كان هناك عن يميني ومن كان عن شمالي . قال : وإنما أخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة وإلزاما للحجة علينا فهذه فائدة الإخبار لنا لا غير ا ه.
وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التستري أنه كان يقول : أعرف تلامذتي من يوم ألست بربكم ولم تزل لطيفتي تربيهم في الأصلاب حتى وصلوا إليّ في هذا الزمان.
(فإن قيل) : فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمي أم لا ؟
(فالجواب) : لم يرد لنا في ذلك شيء إلا أن الأقرب في العقول أنها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة إنما يقتضيان محلا حيا فإذا أعطاه الله الحياة والفهم جاز أن يتعلق بالذرة السمع والنطق وإن كانت غير مصورة بصورة إذ البنية عندنا ليست بشرط وإنما اشترطها المعتزلة ويحتمل أن تكون الذرات متصورة بصورة آدمي لقوله تعالى : مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الأعراف : 172] . ولفظ الذرية يقع على المصورين.
(فإن قلت) : فمتى تعلقت الأرواح بالذرات قبل خروجها من ظهور آدم أم بعد خروجها منه ؟
(فالجواب) : أن الذي يظهر لنا أنه تعالى استخرجهم حياء لأنه سماهم ذرية والذرية هم الأحياء لقوله تعالى : وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) [يس : 41] .
فيحتمل أن الله تعالى خلق الأرواح فيهم وهم في ظلمات ظهر أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الأرض خلقا من

....

(وقال) : الذي أقول به : جواز الاعتكاف في غير المسجد إلا أنه خلاف الأفضل وإذا اعتكف في غير المسجد ، جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لأن الشهود للحق الذي هو شرط في الاعتكاف يبطل بالرجوع إلى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الأكل في الصلاة فافهم.

[الباب الثاني والسبعون في الحج وأسراره]

وقال في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج : أركان البيت على عدد الخواطر الأربعة إلهي ، وملكي ، ونفسي ، وشيطاني فالإلهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر والشيطاني الركن العراقي ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق ، والنفاق وسوء الأخلاق . وبالذكر المشروع

بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالى.
(فإن قيل) : فما الحكمة في أخذ الميثاق من الذرات ؟
(فالجواب) : ليقيم الله تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك في دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام.
(فإن قيل) : فهل أعادهم إلى ظهر آدم إحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتا ؟
(فالجواب) : الذي يظهر أنه لما أعادهم إلى ظهره قبض أرواحهم بناء على أنه لما أراد في الدنيا أن يعيدهم إلى بطن الأرض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها.
(فإن قيل) : أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات إلى ظهره ؟
(فالجواب) : أن هذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلي ولم يجئ فيها نص فمن أطلعه الله تعالى على شيء فليلحقه بهذا الموضع.
(فإن قيل) : إن الناس يقولون : إن الذرية أخذت من ظهر آدم والله تعالى يقول : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الأعراف : 172].
(فالجواب) : هذا شيء يتعلق بالنظم وذلك أنه لم يقل من ظهر آدم وإن أخرجوا من ظهره لأن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على طريق ما يتناسل الأبناء من الآباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته ، إذ ذريته خرجوا من ظهره ويحتمل أن يقال : إنه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض في ظهر آدم ثم أخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا . فإذا قال: أخرجهم من ظهورهم صح .
وإذا قال : أخرجهم من ظهر صح أيضا . ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدفة ثم أودع الصدفة في خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة في حقة وأودع الحقة في درج وأودع الدرج في صندوق ثم أدخل يده في الصندوق فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض ، ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه.
(فإن قيل) : ورد في الخبر أن كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الأسود وإن للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور في العقل.

....

في كل ركن يعرف العارفون مراتب الأركان . وقال الذي أقول به : إن الطفل إذا حج ثم مات ولم يبلغ كتب الله له تلك الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم في الصبي الذي رفعته أمه وقالت : يا رسول الله ألهذا حج ،
قال : " نعم ولك أجر " فإنه نسب الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف عنده من العلماء وعندنا أن الشارع لولا علم قصده بوجه ما صح أن ينسب الحج إليه وكان ذلك كذبا . قال الشيخ : وقد اتفق لي مع بنت كانت لي عمرها دون سنة قلت لها : يا بنية فأصغت إلى ما تقولين في رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه ، فقالت : يجب عليه الغسل فغشى على جدتها من نطقها هذا شهدته بنفسي وأطال في ذلك . وسيأتي بسط القصة في

(فالجواب) : أن كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الإيمان به والاستسلام له ونرد معناه إلى الله تعالى . وقد ذكر الشيخ محيي الدين في كتاب " الحج " من " الفتوحات " قال: لما أودعت الكعبة شهادة التوحيد عند تقبيلي الحجر الأسود خرجت الشهادة عند تلفظي بها وأنا أنظر إليها بعيني في صورة ملك وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق حتى نظرت إلى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر إليه فقالت لي : هذه أمانة لك عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى . وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج يوما وفي يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله أصحابه ما هذان الكتابان فقال : إن في الكتاب الذي في يدي اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله إلى يوم القيامة . والذي في يدي الأخرى فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله إلى يوم القيامة انتهى . قال الشيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلاثمائة من " الفتوحات " : ولو أن مخلوقا أراد أن يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق على وجه الأرض قال : ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رأيناه وشاهدناه قال : وقد حكي أن فقيرا طاف بالبيت وسأل الله أن ينزل له ورقة بعتقه من النار فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك وأوقف الناس عليها وكان من شأن هذا الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس أن ذلك من عند الله تعالى وأطال الشيخ في ذكر حكايات تناسب ذلك والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي والعشرون : في صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام

قال تعالى : إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران : 59].

(فإن قلت) : فما وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام ، مع أن عيسى خلق من نطفة مريم

....

الباب الثمانين وأربعمائة إن شاء الله تعالى وعدد من تكلم في المهد . فراجعه.

(وقال) : الذي أقول به : في وجوب الحج على العبد إن استطاع إليه سبيلا لقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ [آل عمران : 97] نعم ولم يقل الأحرار منهم . قال : وإن منعه السيد ثم انتهى فليتأمل ، ويحرر هو ، وما قبله . وقال : إنما حرم المخيط على الرجل في الإحرام دون المرأة لأن الرجل وإن كان خلق من مركب فهو إلى البسائط أقرب وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق فإنها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط والمخيط تركيب فقيل : للمرأة أبقي

ونفخ جبريل عليه الصلاة والسلام ؟
(فالجواب) : أن الحق تعالى إنما أوقع التشبيه في عدم الأبوة الذكرانية من أجل أنه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى في براءة أمه وإنما لم يوقع التشبيه بحواء وإن كان الأمر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل إذ كانت محلا موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الأدلة إنما هو ارتفاع الشكوك وفي خلق حواء من آدم ، لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لم يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى أن عيسى كحواء لأن ظهور عيسى من غير أب كظهور حواء من غير أم وإيضاح ذلك أن أول موجود وجد من الأجسام الإنسانية آدم عليه السلام فكان هو الأب الأول من هذا الجنس ثم إن الحق تعالى فصل عن آدم أبا ثانيا سماه أما فصح لهذا الأب الأول الدرجة عليه لكونه أصلا له فلما أوجد الحق تعالى عيسى ابن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حواء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدور بمثل ما به بدأها في إيجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى وحواء أخوان وكان آدم ومريم أبوان لهما ذكر ذلك الشيخ محيي الدين في " الفتوحات " وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تعرض له ولا حام حول معناه فرحمه الله ما كان أوسع اطلاعه وقال في الباب السابع منها:
(فإن قيل) : كم أنواع ابتداء الجسوم الإنسانية ؟
(فالجواب) : هي أربعة أنواع آدم وحواء وعيسى وبنو آدم فإن كل جسم من هذه الأربعة يخالف نشأة الآخر في التشبيه مع الاجتماع في الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل أن القوة الإلهية أو الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانية إلا عن سبب واحد يعطي بذاته هذه النشأة فرد الله هذه الشبهة في وجه صاحبها بأن أظهر هذا النشء الإنساني بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام . قال : وقد جمع الله تعالى هذه الأربعة أنواع في آية من القرآن وهو قوله تعالى : يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ [الحجرات : 13] . يريد آدم وجميع الناس

....

على أصلك لا تلحقين الرجل وقيل : للرجل ارتفع عن تركيبك فهذا سبب أمره بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذي لا مخيط فيه وإن كان مركبا من حيث إنه منسوخ ولكنه أقرب إلى الهباء من القميص والسراويل وكل مخيط وإنما جاز الإزار والرداء للمحرم لأنهما غير مخيطين فلم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق تعالى نفسه بهما دون القميص والسراويل فقال: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري . وقال : وإنما كان لبس النعل في الإحرام هو الأصل فلا يلبس الخف إلا إذا عدم النعل لأن النعل ما جاء اتخاذه إلا للزينة والوقاية من الأذى الأرضي فإذا عدم عدل إلى الخف فإذا زال اسم الخف بالقطع لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو

مِنْ ذَكَرٍ [الحجرات : 13] يريد حواء وَأُنْثى [الحجرات : 13] يريد عيسى ومن المجموع مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى [الحجرات : 13] معا بطريق النكاح يريد بني آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم إنه لما ظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق في علم الله أنه لا بد من التناسل والنكاح للإنتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدا.

(فإن قلت) : فما الحكمة في تخصيص خلقها من الضلع ؟

(فالجواب) : الحكمة في ذلك ليكون عندها حنو على ولدها وزوجها لأجل الانحناء الذي في الضلع فحنو الرجل على المرأة إنما هو حنو على نفسه في الحقيقة لأنها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت أي : ضلعه والضلع فيها انحناء وانعطاف قال الشيخ : وإنما عمر الله تعالى الموضع الذي خرجت منه حواء من آدم بالشهوة لئلا يبقى في الوجود خلاء فلما غمرت بالهواء حن إليها حنينه إلى نفسه لأنها جزء منه وحنت حواء إليه لكونه موطنها الذي نشأت منه.

(فإن قلت) : فإذن حب حواء حب الموطن وحب آدم حب نفسه ؟

(فالجواب) : نعم . وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا إذ كانت عينه وأما المرأة فأعطيت القوة المعبر عنها بالحياة فلم يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الإخفاء إذ الموطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها . قال : وصور الله تعالى في ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه في جسم آدم فكان نشء آدم في صورته كنشء الفاخوري فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء كنشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسواها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الإنبات الذي هو التناسل وأطال في ذلك في الباب السابق.

(فإن قيل) : فما وجه تسمية عيسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله : أن الحق تعالى لما خلق

....

لا خف ولا نعل فحكمه مسكوت عنه كمن يمشي حافيا لأنه لا خلاف في صحة إحرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الأمر بقطع الخف فالتحق بالمنطوق وتعين الأخذ به فإنه ما قطعهما المحرم إلا ليلحقهما بدرجة النعل فلما لم يلحقا به لسترهما ظاهر الرجل فارقا النعل ولما لم يستر الساق فارقا الخف فالمقطوع لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه انتهى ، فليتأمل ويحرر.

وقال الذي أقول به في لبس المحرم المعصفر إنه إن لبسه عند الإحرام قبل عقده فله أن يبقى عليه ما لم يرد نص باجتنابه وإن لبسه ابتداء في زمان بقاء الإحرام . فعليه الفدية وإن لبسه

الأرواح قبل الأجسام بألفي عام كما ورد ، خبأها في مكنون علمه فلما خلق الأجسام هيأ في علمه لكل ذرة منها روحا في الملكوت تناسبها من سعادة أو شقاوة فكانت تلك الذرات أزواجا لأرواحها كما قال تعالى : سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها [يس : 36] .
أي مقرونة كل روح بشكلها ثم لما أراد الله تعالى أخذ الميثاق منهم أهبط بقدرته تلك الأرواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما أخذ منهم الميثاق حل عقال الأرواح فطارت إلى مكامنها في الملكوت إلى وقت اتصالها بالأجنة في الأرحام . قال الشيخ : ورأيت في تفسير الإنجيل أن روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم يسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق وإنما دفعها الله تعالى إلى جبريل عليه السلام ، فأسكنه الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه إلى أن أمره بنفخه فنفخه في جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام ، من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا دون غيره ثم رفعه إلى السماء بقدر ما فيه من الروحانية فكان مكثه في الأرض بقدر ما فيه من الطين ومكثه في السماء بقدر ما فيه من النور . قال الشيخ : وقول الله تعالى حكاية عنه وهو في المهد من قوله : وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ [مريم : 31]
إشارة منه إلى هذه الجملة يعني : أينما كنت في السماء والأرض ويؤيد ذلك قول أبي بن كعب : إن الله تعالى لما رد أرواح بني آدم إلى صلب آدم مع الذرات أمسك عنده روح عيسى فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام ، فلهذا قال : فيه روح منه.
(فإن قلت) : فهل الملائكة الموكلون بالأرواح ويتولون تصوير الأجنة هم أعوان عزرائيل أو إسرافيل ؟
(فالجواب) : هم أعوان إسرافيل عليه الصلاة والسلام ، الموكل بالصور ، وأما هو عليه السلام ، فإنما هو ناظر إلى صور الخليقة المصورة تحت العرش ، فإن في الحديث : أن لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في ساق العرش أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم إنه لصور بني آدم تشابه وتشاكل في الخليقة لأنهم على صورة أبيهم آدم وآدم هو كذلك في الصور التي تحت العرش وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله خلق آدم على صورته " . وفي رواية أخرى:
" على صورة الرحمن " . ومعناه على الصورة التي صورها الرحمن في العرش أو اللوح قبل خلق

....
عند الإحلال جاز هذا هو الأظهر عندي إلا أن يرد نص جلي في النهي عن المعصفر ابتداء وانتهاء ، وما بينهما فنقف عنده ، على أني أقول : إن تطيبه صلى الله عليه وسلم ، عند الإحرام وعند الحل ليس هو متعينا لأجل إحرامه وحله فإنه من قول عائشة لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يأتي فهو أمر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها أو عن نص صريح منه لها في ذلك فتطرق الاحتمال ثم قال : والذي أقول به استحباب بقاء الطيب الذي دخل به في الإحرام وعدم طلب إزالته ولو وجدت رائحته لأنه صلى الله عليه وسلم ، لم يغسله ، وقول عائشة : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحله وإحرامه إنما أرادت به قبل وجود الإحرام منه وقبل التحلل فإنها لم تقل طيبته لآخر إحرامه حين قرب

آدم عليه السلام فإن الحق تعالى لا صورة له لمباينته لجميع خلقه فافهم . فعلم أن إسرافيل ناظر إلى الصور المنقوشة في العرش وملك الأرواح عند تصوير الجنين ناظر إلى إسرافيل وتلك الصور كلها حكاية عما في علمه الأزلي سبحانه وتعالى فيأخذ إسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة المخلقة المرباة ثم يلقيها إلى ملك الأرحام وملك الأرحام يلقيها إلى الجنين في الرحم فيصوره بتلك الصور المعينة وإلقاء الصورة إنما يكون بإلقاء نسختها التي تليق بها ، وإنما أضاف تعالى التصوير في الأرحام إليه بقوله : هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ [آل عمران : 6] .
لأن هذه الأسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره إجراء للعادة الحسنى فهو تعالى مصور للصور ومصور مصوريها لا خالق سواه ولا مصور إلا هو ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الأصنام والله تعالى أعلم . فأمعن النظر في هذا المبحث فإنك لا تجده في كتاب والله تعالى يتولى هداك.

المبحث الثاني والعشرون : في بيان أنه تعالى مرئي للمؤمنين في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة لهم بالأبصار بلا كيف في الدنيا والآخرة أي : بعد دخول الجنة وقبله
كما ثبت في أحاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (22) إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (23) [القيامة : 22 ، 23] . والمخصصة أيضا لقوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: 103] .
أي : لا تراه . قال جمهور المتكلمين والأصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لأن الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بإبعاده فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من غير أن ينقص منه قدر من الإدراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان صلى الله عليه وسلم ، يرانا من وراء ظهره وكما أن الحق تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاقنا إذ الرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فإذا اقتضت عقلا كون أحدهما في جهة اقتضت كون الآخر كذلك فإذا ثبت عدم لزوم ذلك في أحدهما ثبت مثله في الآخر وخرج بقولنا : يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يرونه يوم القيامة ولا في الجنة لعدم دخولهم لها . قال تعالى : كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ

....

انقضاؤه وتعقبه الاحلال وإنما راعت الإحلال في آخر أفعال الحج وهو طواف الإفاضة انتهى.
وهو كلام يحتاج إلى تحرير.
(وقال) : إذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة ، وبعد الإحرام فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف قال : ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ، ونحن وإن قلنا بقولهم واتبعناهم في ذلك فإن النظر يقتضي أن الوطء إذا وقع قبل الوقوف أنه يرفض ما مضى ويجدد الإحرام ويهدي فإن كان بعد فوات الوقوف فلا لأنه لم يبق للوقوف زمان وهناك بقي زمان

يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) [المطففين : 15] . الموافق لقوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: 103] .
واختلفوا هل تجوز رؤيته تعالى في الدنيا يقظة ومناما . فقال بعضهم : يجوز . وقال بعضهم : لا يجوز ، دليل جوازها في اليقظة هو أن موسى عليه الصلاة والسلام ، طلبها حيث قال : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ [الأعراف : 143] وهو عليه الصلاة والسلام ، لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ، ودليل المنع أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام ، طلبوها فعوقبوا قال تعالى : فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ [النساء : 153] .
قال الجلال المحلّى رحمه الله تعالى : واعترض هذا بأن عقابهم إنما كان لعنادهم وتعنتهم في طلبها لا لامتناعها في نفسها انتهى . وقد استدل الجمهور على منع الرؤية في الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم : " لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " وبذلك صح حملهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية في الدنيا جمعا بينهما وبين أدلة الرؤية وأما دليل امتناعها في النوم فلأن المرئي فيه خيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجيز لها أنه لا استحالة في الرؤية في المنام وقد ذكر العلماء وقوعها في المنام لكثير من السلف الصالح منهم الإمام أحمد وحمزة الزيات والإمام أبو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول : قرأت سورة " يس " على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) [يس : 5] بضم اللام فرد علي الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال : إني نزلته تنزيلا .
وقال : وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت إلى قوله : وَأَنَا اخْتَرْتُكَ [طه : 13]
فقال تعالى : " وأنا اخترناك " . فهي قراءة برزخية وقد أجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى في المنام وإنما بالغ ابن الصلاح في إنكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء .
وأما رؤية الحق جل وعلا في اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103] .
وبقوله تعالى : لموسى لَنْ تَرانِي [الأعراف: 143]
وبقوله صلى الله عليه وسلم : " لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " رواه مسلم في كتاب الفتن في صفة الدجال أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اختلف الصحابة في وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلّى رحمه الله والصحيح نعم .
إليه استند القائل بالوقوع في الجملة لكن روى مسلم عن أبي ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى أراه ! بتشديد نون أنى مفتوحة وضمير أراه الله تعالى أي : حجبني النور المغشي للبصر عن رؤيته انتهى ما قاله الشيخ جلال

....

للإحرام لكن ما قال بهذا أحد فتبعنا أصحاب الإجماع في إطلاقهم الفساد.
(قلت) : الذي يظهر لي أن النكتة في ذلك التغليط عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم .
وقال الذي أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب
وقال الذي أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان في الحرم لحج أو عمرة بل يصح إحرامه بهما من الحرم ، وأما استدلالهم بقصد خروج السيدة عائشة إلى التنعيم فإنما هو لأجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل

الدين المحلّى والشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته . وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتاب " سراج العقول " في هذه المسألة : واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى في المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا في ذلك بأن ما يراه النائم يكون مصورا لا محالة ولا صورة للرب تعالى وأنه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى : فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ [النحل : 74] . وقال : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] .
وقال : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (4) [الإخلاص : 4] قال : فمن رأى من ذلك شيئا وتخيل أنه الإله فذلك من إراءة الشيطان وتخييله وإغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقده كذلك في اليقظة وأطال في ذلك ، ثم قال : والذي عليه جمهور مشايخ السلف رضي الله تعالى عنهم أنه يجوز رؤية الله تعالى في صورة في المنام وبه جاءت الأحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم . " خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه " أو يرى نبيه أو يرى أبويه إن كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم . " رأيت ربي في أحسن صورة " الحديث . وقال محمد بن سيرين : من رأى ربه في المنام دخل الجنة قالوا : وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه في ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والأصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما أن الكلام الأزلي منزه عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم ، فكذلك يجوز أن تكون ذاته الأزلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بأدنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور في القرآن في قوله : مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ [النور : 35] لا كالمثل بسكون المثلثة الذي يوجب المماثلة من كل وجه أما إذا رآه في صورة لا تناسب جلال الصمدية في معنًى ما فالرائي ممن عبث به الشيطان.
(فإن قيل) : إن رؤية الله تعالى على ما هو عليه في ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال في نفس الأمر والنائم لا يرى شيئا في المنام إلا بصورة ومثل.
(فالجواب) : إذا تجلّى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد في منامه فالروح تعرف بالفطرة الأولية أنه هو الإله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير إذ النفس بآلاتها الخيالية لا

....

ويحرر . وقال : قد تميزت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الأسود يمين الله في الأرض وأطال في ذلك وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الأصح وما حجر عليه فهو بيته الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلّى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم وقال : يوم عرفة محسوب من الزوال إلى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الأيام الزمانية قال : وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها لقول الشارع من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها وإلا

تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن نتصوره بوسائط وأمثلة ثم تذهب الأمثلة ك الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً [الرعد : 17] ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما أن كلام الله القديم يتعلمه الناس بأمثلة الحروف في اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القرآن في الحفظ قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله:
فعلم أنه لا يلزم من كون الشيء لا صورة له أن لا يرى في صورة على ما قررناه ألا ترى أن كثيرا من الأشياء التي لا أشخاص لها ولا صورة ترى في المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى ولا يوجب التشبيه ولا التمثيل وذلك كالمعاني المجردة مثل الإيمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلال والحياة الدنيا ونحو ذلك فأما الإيمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم : “ رأيت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه إلى كعبه ومنهم من قميصه إلى أنصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا : يا رسول الله ما أولت ذلك قال : الإيمان فالإيمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤي بواسطته وكذلك الكفر يمثل في المنام بالظلمة ، وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلال بالعمى “ ولا شك أن بين هذه الأشياء مضاهاة لتلك المعاني المرئية وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى قال : وموضع الغلط في ذلك لمن منع رؤية الله في صورة ظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش . فإن المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف المثل بفتحتين فإنه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وإنما يستعمل فيما يشاركه بأدنى وصف قال تعالى : إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ [يونس : 24] . والحياة صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى : مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ [النور : 35] وغير ذلك فعلم أنه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الأعلى في السماوات والأرض . قال : ومن هنا جوز الأكثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده في المنام كما مر في الأمثال وأطال في ذلك ثم قال : واللسان يقصر حقيقة عن البيان لأنها أمور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم . هذا ما رأيته في كتاب المتكلمين . وأما ما رأيته في كتب الصوفية فمن أفصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ، فقال في الباب الرابع والستين من “ الفتوحات “ : اعلم أنه

....

فالأصل تقديم الليلة على نهارها . قال تعالى : وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ [يس : 37].
فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه وقال في قوله تعالى : وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى [البقرة : 125] .
أي : موضع دعاء إذا صليتم فيه أن تدعوا لأنفسكم في تحصيل نظير تلك المقامات التي كانت لإبراهيم عليه السلام ، وهو أن يقول أحدنا : اللهم اجعلني أواها حليما أمة قانتا شاكرا لأنعم الله منقاد لأمر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك ، مما قص الله علينا في القرآن
وقال : إنما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لأن فيه سرا خفيا وهو أنه يذلل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب.

لا ينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لأنه لا شيء في الأكوان أوسع من عالم الخيال وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ، ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب . فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والإسلام قبة والثبات في الدين قيدا قال : ودليلنا فيما قلنا قوله تعالى : فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة : 115] . ووجه الشيء حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير فعلم أن كل ما جاز وقوعه في المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتعجيله لمن شاء في اليقظة والحياة الدنيا انتهى . وقال أيضا في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة : لا يصح لإنسان قط أن يعبر عن حقيقة ما طريقة الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل أبدا وأطال في ذلك . ثم قال : وإذا صح أن العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدركه بالبصر من غير إحاطة لأنه لا فضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وإنما الفضل من حيث الصفات الجميلة . ومن قال : إن الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فمتلاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هي عليه وذلك كالمعتزلة فإن هذه رتبتهم وكل من لا يفرق بين الأمور العادية والطبيعية فلا ينبغي لأحد الكلام معه في شيء من الأمور العلمية ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الأمر إذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما أجرأه على طلب الرؤية ما فعل ، فإن سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر إلى فكر وتأويل فلما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم سأل الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى يعلم أن رؤية الله تعالى ليست بمحال انتهى . وقال أيضا في الباب التسعين من " الفتوحات " : اعلم أن أعظم نعيم في الدنيا والآخرة نعيم رؤية الباري جل وعلا لكن هنا دقيقة وهي أن الالتذاذ برؤيته تعالى إنما هو راجع إلى رؤية المظاهر التي تجلّى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا إلى الذات المتعالي وإيضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون إلا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه.

(فإن قيل) : فكيف الرؤية ؟

(فالجواب) : أن الحق تعالى إذا أراد أن يتفضل على عبد من عبيده المختصين بأن يحصل

....

(قلت) : وقد شربته أنا مرة لدبلة طلعت في جانبي قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبري كالزفت الأسود الذائب فالحمد لله رب العالمين . فصح عندي ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وإن ضعفه بعضهم والله أعلم.

(قلت) : قال الشيخ في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ، ينبغي لكل مؤمن أن يصل نسبه بأجداده وآبائه المسلمين من آدم إلى أبينا الأقرب لأن صلة الأرحام تزيد في العمر.

(قلت) : ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت علينا ملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتسهيل ، إلى أن ذهلنا مما

له الالتذاذ برؤيته أقام له مثالا يتخيله في عقله مطابقا له لقوله تعالى : وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً [طه : 110] . وتقدم في الكتاب أن مراد من يقول إن الحق تعالى إذا حيط عبدا به أحاط به هو علمه بأنه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الإحاطة . وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة : إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرى عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلي وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما تراه الملائكة ثم إذا أراد الحق تعالى أن ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من إرسال الحجاب فيقع التلذذ للمشاهد . قال:
وهذه مسألة من الأسرار ما أظهرتها باختياري وإنما كنت في إظهارها كالمجبور انتهى .
وعبارته في كتاب “ لواقح الأنوار ” : اعلم أنه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية الباري جلّ وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لأن النفس أحدية الذات ليس في قدرتها أن تشتغل بأمرين معا في آن واحد . فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها لإدراك الرؤية أو قبولها فإذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا يتوجه عليه وإذا كلمك أوجدك لأنه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب وإلا فلا فائدة للخطاب انتهى . وكان أبو العباس الساري أحد شيوخ الطائفة الأكابر يقول : ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لأنها فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ في “ الفتوحات ” وقال في “ لواقح الأنوار ” أيضا : إذا أقامك الحق تعالى في مشهد ما وأشهدك نفسك معه فأنت من أبعد الأبعدين لأن نفسك كون وأين الكون في الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبين الله تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث ولله المثل الأعلى . قال : ثم إن هذه المجاورة لا يتعقلها إلا أهل الكشف . وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا : بين العبد وبين ربه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشيء من حس تلك الحجب إلا زهقت انتهى . وفي رواية أخرى : أن لله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه.
(فإن قيل) : فكيف رؤية الباري جل وعلا لخلقه ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائة : أن صورة نظر الحق تعالى
....
رأينا وأطال في ذلك ثم قال : فرحم أبينا آدم مقطوعة عند غالب الناس من أهل الله فكيف بالعامة في ذلك فالحمد لله الذي من عليّ بصلة رحمي وصلتها من أصحابي بسببي وكان ذلك عن توفيق إلهي فإني لم أر لأحد في ذلك قدما أمشي على أثره فيها وما قال الله في غير موضع من القرآن : يا بَنِي آدَمَ [الأعراف : 31] . إلا ليذكرنا بأبينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه أحد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى : يا أُخْتَ هارُونَ [مريم : 28] . وأين زمان هارون منها انتهى . وأطال في ذكر أسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم

[الباب الثالث والسبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانحراف وعلى كم ينحرف من المقابلة]

وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه : اعلم أنه ما ثم

"218"
إلى العالم أنه ينظر إليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو أنه تعالى نظر إلى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله بسبحات وجهه كما مر آنفا في الحديث ، قال : وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعلماء الذي أخبر الشارع أن الحق تعالى كان فيه قبل أن يخلق الخلق وأكثر من ذلك لا يقال . وقال الشيخ في باب الأسرار إذا عوين الحق تعالى فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته انتهى . وقال في باب الوصايا من " الفتوحات " : اعلم أن من علامة صدق ما يدعي أنه يشاهد الحق تعالى أنه إذا عكس مرآة قلبه إلى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف.

(فإن قلت) : فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين ومائتين : أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الإقرار والإنكار في الرؤية يوم القيامة لأنهم رأوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فإنه لا يكون فيه إلا الإقرار لا الإنكار وإيضاح ذلك أن الشاهد ما سمي شاهدا إلا لكون ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده قال تعالى : أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ [هود : 17] . أي : يشهد له بصحة ما اعتقده . قال : ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ [الأعراف:

143] . وما قال : أشهدني لأنه تعالى كان مشهودا له ما غاب عنه ، وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الأولياء فما طلب موسى إلا الرؤية الخاصة بالأنبياء في الآخرة ليجعلها الله تعالى له في الدنيا حين طلب مقامه ذلك وأما شهوده الحق تعالى مثل ما يشهده الأولياء فذلك حبوة وزيرية من حيث مقام ولايته انتهى . وقال في كتاب اللواقح أيضا : ما الفرق بين الرؤية والشهود ؟ إن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار إليه بحديث : " اعبد الله كأنك تراه " . فقوله : كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك كأنك تراه . قال : وهذه درجة التعليم ثم يرتقي منها إلى درجة الخصوص وهي علمك بأن الله يراك ولا تراه وذلك

....

دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيه شرعا ولا عقلا وإنما يردها من ردها بالجهل بها فإن طريق القوم لا تنال بالنظر التفكري ولا بضرورات العقول وإنما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الأمور يقينا لا ظنا وتخمينا وقال : إنما نكر تعالى علما في قوله في حق الخضر : وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [الكهف : 65] .

ليشمل الأربعة علوم التي خص بها أصحاب منازل القرية الذين [كان] الخضر [على] رأسهم : وهي علم الكتابة الإلهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدني . قال : ومنزل أهل القرية مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم . وقال : لولا القول اللين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان أصحاب رسول

"219"
لأنك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا في جهة القبلة فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك ، وإذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الإحاطة به تعالى لأنك مقيد وهو تعالى

مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظره المحقق إليك لا مع نظرك أنت إليه لأن نظرك يقيده ويحدده وهو المنزه عن القيود والحدود . فإذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام انتهى.

(فإن قلت) : فمتى يخرج العبد عن القول بالجهة.

(فالجواب) : كما قاله سيدي علي بن وفا رحمه الله : أنه لا يخرج عبد عن القول بالجهة إلا إن نفد كشفه من أقطار السماوات والأرض وأعطاه الله تعالى شيئا من علمه تعالى ، قال:

وأما من تقيد كشفه بالسموات والأرض أو البرزخ والجنة والنار . فلا يرى ربه إلا في جهة انتهى.

(فإن قلت) : فإذن ما رأى أحد ربه إلا بصورة استعداده في نفسه وتعالى الله عن ذلك في علو ذاته ؟

(فالجواب) : نعم ما رأى عبد ربه إلا بقدر وسعه . غير ذلك لا يكون ، إذ لو صح أن يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الأنبياء والأولياء على بعضهم ولرقي الأولياء في سلم الأنبياء وذلك محال.

(فإن قلت) : فإذن ما رأى العبد إلا صورة نفسه في مرآة معرفة الحق وما رأى الحق حقيقة.

(فالجواب) : نعم وهو كذلك فحكمه كالإنسان الذي رأى وجهه في المرآة المحسوسة فإنه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة ، وقال الشيخ محيي الدين في " لواقح الأنوار " :

وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من رؤية الشاهد وجهه في المرأة واجهد يا أخي في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة لا تراه أبدا بل تنطبع صورتك في المرآة قبل تحققك بالرؤية فلا يقع بصرك إلا على صورة نفسك فلا تطمع ولا

....

الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى : فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً [طه : 44] . وقال:

وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران : 159] فتأمل واعتبر وقال :

اجتمعت بعيسى عليه السلام ، في وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة . ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد.

(قلت) : وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا ، وهو أخذه الطريق عن الملائكة المسمين بأسماء الحروف أوائل السور كما سيأتي ونقل ابن سيد الناس في سيرته في قصة إسلام سلمان الفارسي ما يشهد للشيخ في نزول عيسى إلى الأرض بعد رفعه وقبل اليوم

تتعب نفسك في أن ترقى إلى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم أصلا وليس بعده إلا العدم المحض . فليتأمل ويحرر فإنه يوهم أن المرئي في الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه.

(فإن قلت) : فما سبب تفاضل الناس في الرؤية كمالا ونقصا مع أن المرئي سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان ؟

(فالجواب) : سبب التفاضل كونهم لا يشهدون في مرآة معرفة الحق تعالى إلا حقائقهم ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا في الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن أين حقائق الأنبياء من غيرهم.

(فإن قلت) : فهل يتفاوتون في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا ؟

(فالجواب) : نعم . فإن تفاوتهم في الآخرة فرع عن تفاوتهم في الدنيا وقد قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة : اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تابعة لاعتقادهم الذي كانوا عليه في دار الدنيا ليجني كل أحد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء وكما أنهم متفاضلون في النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر إلى ربه لذة عقلية ، ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ، ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ، ومنهم من ذلك لذة خيالية ، ومنهم من حظه من ذلك مكيفة ، ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال : بتكييفها ، ومنهم من هو مقلد في علمه بالله بحسب ما ألقى إليه عالمه أو على حسب ما عنده من العلم وأما على قدر ما يخيله عقله فقط ، ومنهم من هو غير مقلد وهكذا.

(فإن قلت) : فما أكمل الرؤية التي تقع للخلق ؟

(فالجواب) : أكمل الرؤية رؤية الأنبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فإن الكمل لا يرون ربهم إلا في مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه . واعلم أن عدد رؤية كل عبد للحق في الآخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى في جميع المأمورات واجتناب المنهيات على الكشف

....

الموعود وقال : إذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا بدع أن ينزل مرارا والله أعلم . وقال : المراتب التي تعطي السعادة للإنسان أربع : وهي الإيمان ، والولاية ، والنبوة ، والرسالة . ولأهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون للنبي ذوق في مرتبة الإيمان والولاية فإن كان رسولا زاد عليهم بذوق مقام الرسالة لأنه رسول نبي ولي مؤمن ، وقد لا يكون له ذوق في ذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام ، ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً [الكهف : 68] أو الخبر الذوق قال الشيخ: ثم إن العلم من شرائط الولاية لا من شرائط الإيمان لأن الإيمان مستنده الخبر الذي بلغه عن الصادق فإذا لم يكن هناك خبر كأيام الفترات ووحد الله تعالى منهم أحد فهو سعيد مع كونه لا

والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى جهله فيما لم يجالسه فيه والسلام.
(قلت) : وإنما كانت مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم ، أكمل المرايا لأنها حاوية لجميع مرايا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ودون ذلك في المرتبة من يرى ربه في مرآة نبي من الأنبياء ثم في مرآة أحد من الأولياء فعلم أن الكامل من لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم نبيه أبدا.
(فإن قلت) : فالذين ينكرون الحق تعالى في تجليات الآخرة هل هم مسلمون ؟
(فالجواب) : نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي : " فإذا كشف عن ساقه خروا ساجدين وقالوا : أنت ربنا " وهنا أسرار يذوقها أهل الله لا تسطر في كتاب والله تعالى أعلم.
(فإن قيل) : فإذا وقع الإنكار من هؤلاء ، فهل يكون المقرون من الأنبياء والأولياء حاضرين ؟ فإن كانوا حاضرين فلم لم يرشدوهم إلى أن المتجلي لهم هو الله تعالى ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في " شرحه لترجمان الأشواق " : إن الإنكار إذا وقع يكون الأنبياء والعارفون واقفين بجانب عن هؤلاء المنكرين وإنما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لأنهم يعرفون من الحق تعالى أنه طلب منهم أن يستروه عن أولئك المنكرين ليجني كل أحد ثمرة علمه به في دار الدنيا.
(فإن قيل) : فإذا كان الكافرون لا يرون ربهم ، فما صورة عدم رؤيتهم له ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في باب الأسرار : إنما صورة عدم رؤيتهم له تعالى أنهم يرونه ولكن لا يعلمون أنه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه أبد الآبدين ودهر الداهرين انتهى.
(فإن قيل) : فهل تكون الرؤية للمؤمنين بباصر العين كما في الدنيا أم تكون بجميع عيونهم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور : إن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسادهم وذلك لكمال النعيم الأبدي فلا تتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم أبصار . قال : وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط ا ه.

....

يسمى مؤمنا فالمؤمن لا يكون إلا موحدا وأما الموحد بنور قذفه الله في قلبه فقد لا يكون مؤمنا فتأمله وحرره . وقال : إنما سميت العبارة عبارة لأنك تجوز منها إلى المعنى المقصود منها ، وإنما سمي الوحي وحيا لسرعته فإن الوحي عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه ، كما يذوقه أهل الإلهام من الأولياء . وقال : ليس فوق الإنسان الكامل مرتبة إلى مرتبة الملك في

(فإن قيل) : فهل يلزم أن يكون ما يشهده المؤمن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى وتعاليه عن الحصر والتقييد ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة : لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو المطلوب بإعلام من الله تعالى فيجعل للعبد في نفسه علما ضروريا مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية الحق جل وعلا أو رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجد الرائي في نفسه العلم الضروري بأن ذلك المرئي هو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لوقوع المرئي مطابقا لما هو الأمر عليه فيما يراه إذ لا يدرك أحد الحق تعالى إلا هكذا وأما بالنظر والفكر فلا ، كما مر في مبحث أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق.
(فإن قيل) : فهل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور له شعاع كما رآه صلى الله عليه وسلم ، في دار الدنيا أم هو نور لا شعاع له ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة : أن النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوؤه نفسه ويدركه البصر في غاية الوضوح وذلك ليخالف النور الدنيوي وذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم : " أرأيت ربك " . فقال : نور أنى أراه ، يقول : كيف أراه وهو نور شعشعاني والأشعة تذهب بالأبصار وتمنع من إدراك من تنشق عنه تلك الأشعة فلا يدرك تعالى في ذلك النور لاندراج نور الإدراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به ، كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها . قال : وإذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم إنه لا يكون إدراك قط إلا بنور من المدرك زائد من ذلك عقلا وحسا.
(فإن قيل) : من شرط الرائي أن تعطيه رؤيته العلم بالمرئي والإحاطة به ورأينا الذي يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال : إنه رأى ربه عزّ وجلّ ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثاني والأربعين وأربعمائة : إلى رؤية الحق تعالى : لا يصح فيها إحاطة ولا تدخل تحت هذا الحد وغاية العلم أن يعلم الرائي له عند الرؤية أنه ما رآه ، وإلا فلو صح له أن يراه حقيقة لعلمه وكيف يعلمه وقد رأى تنوع صور التجليات

....

المخلوقات وكون الملائكة تلمذت له حين علمهم الأسماء لا يدل على أنه خير من الملك وإنما يدل على أنه أكمل نشأة من الملك لا غير.
(قلت) : هذا كان مذهب الشيخ أولا ، ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانية وثلاثمائة من " الفتوحات " . وقال الخلاف في غير محمد صلى الله عليه وسلم ، أما هو فهو أفضل الخلق على الإطلاق فراجعه وقد عرف بعضهم الوحي بأنه ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة وقال : من خاض في الدنيا فيما يكرهه الحق

على قلبه في حال رؤيته له تعالى وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام : رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ [الأعراف : 143] قال : لَنْ تَرانِي [الأعراف : 143] . والنكتة في سبب قوله : لَنْ تَرانِي. كونه قال : أَنْظُرْ إِلَيْكَ بالهمزة ولو قال : ننظر إليك بالنون أو التاء لربما لم يكن الجواب: لَنْ تَرانِي ، مع أن السؤال مجمل في قوله : " أنظرني " . والجواب كذلك مجمل في قوله : لن تراني . وإيضاح ذلك أن الرؤية بادرة إلى رؤية العين . أي : لن تراني بعينك لأن المقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئي وأنت لا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما رأيته في الرؤية التي تقدمت فلا يحصل لك علم بالمرئي في رؤيتك له تعالى أبدا فصح قوله : لن تراني . لأني ما أقبل من حيث ما أنا عليه في ذاتي التنوع وأنت لا ترى ربك إذا رأيته إلا متنوعا في الصفات وأنت ما تنوعت أيضا فما رأيتني ولا رأيت نفسك ، وقد رأيت فلا بد أن تقول : رأيت الحق وأنت ما رأيتني حقيقة وكذلك لا بد أن تقول : رأيت نفسي وما رأيت نفسك حقيقة وما ثم إلا أنت والحق تعالى ، ولا واحدا من الحق والخلق رأيت وأنت تعلم أنك رأيت فما هذا الذي رأيت فرجع المعنى : لن تراني بعينك إلا إن أمددتك بالقوة الإلهية . قال : وهذا من مشاهد الحيرة ، وقال في الباب الأحد والأربعمائة : إنما قال تعالى لموسى : لَنْ تَرانِي لأن كل مرئي لا يصح للرائي أن يرى منه إلا على قدر منزلته ورتبته ، لا غير . ولو كان الرائي يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية ثم أقل حجاب يحجب العبد عن الإحاطة شغله برؤية نفسه حال تجلي الحق له فحجاب العبد عن ربه رؤية نفسه فما حجبنا إلا بأنفسنا على أنا ولو زلنا عنا أيضا ما رأيناه لأنه لم يبق ثم بعد زوالنا من يراه وإذا لم نزل نحن فما رأينا في المرآة الصافية حينئذ إلا أنفسنا وقد نتوسع في العبارة فنقول : إنا رأيناه فلا يخرج أحد عن الحيرة في الله تعالى انتهى.

(فإن قلت) : فإذن فما خر موسى صعقا إلا لما كان عنده من العلم بالله تعالى قبل سؤال الرؤية.

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن وأربعين وأربعمائة : نعم ما أصعقه إلا ذلك ولكنه لم يكن يعلم من الحق تعالى قال : تبت إليك . أي : لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولا فإني قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك وأنا أول المؤمنين . أي : بقولك : لن

....

تعالى خيض به يوم القيامة ، فيما يكرهه جزاء وفاقا وقال : قد جاء أكثر الشريعة على فهم العامة في صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة إلا بعض تلويحات فهو قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى : 11] - و - سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ [الصافات : 180].

وقال : ذهب بعضهم إلى أنه يجوز لنا أن نسأل لأنفسنا مقام الوسيلة التي رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن تكون له قال : لأنه صلى الله عليه وسلم ، لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وإنما نحن مؤثرون له بها ، فلا نسألها إلا له صلى الله عليه وسلم لأنه طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة انتهى.

(قلت) : هذا كلام فيه ما فيه والذي نعتقده أنه لا يجوز لأحد من الأمة سؤال الوسيلة

تراني لأنك ما قلت ذلك إلا لي وهو خبر فلذلك ألحقه موسى عليه الصلاة والسلام ، بالإيمان دون العلم ولو أنه عليه الصلاة والسلام ، أراد مطلق الإيمان بقوله : لن تراني ما صحت له الأولية فإن المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن فكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة وهو صاحب علم في إيمان وهو مشهد عزيز فإن العبد إذا انتقل من الإيمان إلى العلم الذي هو أوضح فكيف يبقى معه حجاب الإيمان فلذلك كان خاصا بالكمل فيؤمنون بما هم عالمون ليحرزوا أجر الإيمان مع أجر العلم ويقال في أحدهم إنه مؤمن بما هو به عالم من عين واحد .

وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الظاهر فراجعه إن شئت وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول : " من أعجب الأمور قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام : لَنْ تَرانِي . أي : مع قوتك ، كونك تراني على الدوام ، ولا تشعر بأن الذي تراه هو أنا انتهى.

(فإن قلت) : فهل يعلم الحق تعالى بالكشف ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب (الأسرار) : لا يصح أن يعلم الحق تعالى بالكشف وإنما يرى به فقط كما أنه تعالى يعلم بالعقل ولا يرى به قال : وهل ثم لنا مقام يجمع بين الرؤية والعلم لا أدري ا ه.

(فإن قلت) : فكم ترجع صور التجلي الإلهي إلى مرتبة من العدد ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة : أنها ترجع كلها إلى صورتين صورة : تنكر وصورة تعرف ولا ثالث لهما . قال : وقد ورد أن الله تعالى لما كلم موسى عليه الصلاة والسلام تجلى له في اثني عشر ألف صورة وفي كل صورة يقول له : يا موسى ، ليتنبه موسى فيعلم أنه لو كان جميع التجلي بصورة واحدة لم يقل له في كل صورة وكلمة : يا موسى انتهى.

(فإن قلت) : فكيف ثبت موسى عليه الصلاة والسلام ، لسماع كلام الله ، ولم يثبت لرؤيته ؟

....

لنفسه أبدا لانعقاد الإجماع على أنها لا تكون إلا له صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم.

(وقال) : إذا غلق باب التوبة حبس على المؤمن إيمانه بغلق الباب عليه ، فلا يرتد مؤمن بعد ذلك أبدا لأنه ليس للإيمان باب يخرج منه كما لا يدخل بعد غلقه إيمان على كافر فعلم أن غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وإنما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لأن المغرب محل الأسرار والكتم ، وقال : الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ، ودعوى عريضة ، وهي نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله إذا ذكروا تذكروا فاستغفروا منها ، وسيأتي بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة

[الباب الرابع والسبعون في التوبة]

وقال في الباب الرابع

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الخمسين وأربعمائة : أنه إنما ثبت لسماع كلام الله لأن الحق تعالى كان سمعه عند النجوى يعني : مؤيدا ومقويا لسمع موسى عليه الصلاة والسلام ، لأنه محبوب لله بلا شك ، وقد أخبر الحق تعالى أنه إذا أحب عبدا كان سمعه وبصره الحديث . لكن قد يجمع الله تعالى لمن شاء في هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه بعض الصفات على التدريج شيئا بعد شيء فلذلك صعق موسى عند التجلي إذ لم يكن الحق تعالى بصره إذ ذاك فلو أنه تعالى أيده بالقوة في بصره كما أيده بها في سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع الكلام إذ لا طاقة للمحدث على رؤية الحق تعالى ، إلا بتأييد إلهي انتهى.

(فإن قلت) : فما السبب الذي دعا موسى عليه الصلاة والسلام إلى سؤال الرؤية دون سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ فإن كان هو شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد شوقا منه بيقين ، لأن الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق إلى رؤيته وإن كان الباعث له على ذلك هو التقريب فكل الأنبياء مقربون ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة : أن السبب الداعي له إلى طلب الرؤية : زيادة التقريب على غيره من الأنبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإن الحق تعالى لما أقام موسى في مقام التقريب لم يتمالك أن يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد صلى الله عليه وسلم ، منعه الأدب أن يسأل ذلك مع أنه كان بالأشواق إلى رؤية الباري أكثر من موسى عليه الصلاة والسلام ، بيقين فلما سلك مقام الأدب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى إلى رؤيته على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام ، وأرسل له براقا يركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة والسلام ، فعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام ، ما منع من الرؤية إلا لكونه سألها عن غير وحي إلهي ومقام الأنبياء يقتضي المؤاخذة بالذرات فلذلك كان الجواب له : لن تراني من حيث سؤاله الرؤية ثم إنه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم أن التأديب بلغ حده في موسى من حيث سؤله الرؤية بغير أمر الله تعالى فقال له تعالى : وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ [الأعراف : 143] . فأحاله على الجبل في استقراره عند التجلي حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلّى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف

....

والسبعين العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم ، والاعتراف ، وأما العزم على أنه لا يعود فليس ذلك في يده حقيقة وإنما هو إظهار أدب . أي : لو كان الأمر في يدي ما عصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره.

[الباب السابع والسبعون في ترك المجاهدة]

(وقال) : في الباب السابع والسبعين ، ينبغي لمن سمع شخصا يقول : الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فإنها قرآن فالأدب حمل قائلها على أنه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولا بد قال : وهذا مشهد غريب قل أن ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس وقال في

أن الجبل رأى ربه وأن الرؤية هي التي أوجبت له التدكدك . ومن هنا قال بعض المحققين : إذا جاز أن يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى أن يرى ربه ، في حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفي على الاستقبال والآية محتملة فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلي للجبل واندك علم موسى أنه وقع فيما لم يكن ينبغي له سؤاله وإن كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق . فقال : تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [الأعراف : 143] يعني : بوقوع هذا الجائز انتهى . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ما أطمع موسى في طلب الرؤية إلا ما قام عنده من التقريب ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالإدراك البصري كما ينبغي لجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى إلا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا ، لأن ذلك من محالات العقول انتهى . وقال في الباب التاسع ومائتين : إنما أحال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ، على رؤية الجبل حين سأل رؤية ربه لأن من صفات الجبل الثبوت يعني : إن ثبت الجبل إذا تجليت له فستراني من حيث ما في ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال : فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد ، والأمور العظيمة . ولا يخفى أن الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وإنما ذلك من حيث كون خلق الأرض التي : الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى : لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [غافر : 57] أي : فإذا كان الجبل الذي هو أقوى صار دكا عند التجلي فكيف يثبت لرؤيتي جبل موسى الذي هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى.

(فإن قيل) : فلم رجع موسى إلى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك إلى صورته ؟

(فالجواب) : إنما لم يرجع الجبل إلى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام ، رجع إلى صورته بعد الصعق فكونه كان ذا روح فروحه هي التي أمسكت صورته على ما هي عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك إلى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى.

(فإن قلت) : قد قال أهل الكشف : إن الجماد كله حي فما هذه الحياة ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلاثمائة : إن المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا أن له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور . قال الشيخ رضي الله عنه :

....

الباب الموفى تسعين : إنما كان البياض أحب إلى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لأن الملونات كلها تستحيل إليه ولا يستحيل هو إليها .

قال : واعلم أن البياض على نوعين أحدهما : ما يكون لونا في ظاهر العين فقط ، كسواد الجبال البيض على البعد فإذا جئتها رأيتها

الشيخ : ومن أعظم دليل سمعي على حياة الجماد قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْها [البقرة : 74] . يعني: الحجار لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [البقرة : 74] فإنه لا يوصف بالخشية إلا حيّ دراك ولكن قد أخذ الله تعالى بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله تعالى كنحن وأضرابنا فإنا لا نحتاج إلى دليل سمعي في ذلك لكشفنا عن حياة كل شيء عينا وإسماعنا تسبيح الجماد ونطقه . قال : وكذلك اندكاك الجبل حين وقع له التجلي ما وقع منه لا لمعرفته بعظمته لله تعالى ، ولولا ما كان عنده من المعرفة ما تدكدك إذ الذوات لا تؤثر في بعضها من حيث هي ذات وإنما يؤثر فيها معرفتها وانظر إلى الملك إذا دخل إلى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه ، كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم إذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب معه وخضع له ، فإذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذي يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت إليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له في الشارع وتبادروا لرؤيته واحترامه فما أثر فيهم إلا ما قام بهم من العلم فما احترموه حينئذ لمجرد صورته لأنها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بأنه الملك فتأمل . فعلم أن كونه ملكا ليس هو عين صورته وإنما هي رتبة نسبية أعطته التحكم في العالم الذي هو تحت حكمه ا ه.

(فإن قلت) : قد ورد في الحديث : أن العبد يناجي ربه في الصلاة في هذه الدار ومعلوم أنه لا يصح أن يناجي إلا من يتخيله مناجيا له كذلك ، فبم تميزت الدار الآخرة ؟.

(فالجواب) : تتميز الدار الآخرة بكون العبد هناك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلا بد من مزيد انكشاف للعبد في الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : له في هذا الدار " اعبد الله كأنك تراه " وقال : في الدار الآخرة ما من أحد إلا سيكلمه ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان ، الحديث . وإيضاح ذلك أن كل مدرك بشيء من القوى الظاهرة أو الباطنة التي في الإنسان لا بد أن يكون يتخيل ولولا ذلك التخيل ما سكن إليه فلا يقع السكون إلا لمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فإن العقائد محلها الخيال والخيال لا يصح أن يضبط أمرا أبدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم

....

بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا

قال : وبهذه المثابة أيضا زرقة السماء إنما هو في نظر العين وإن كانت في نفسها على لون مخالف لون الزرقة

وقال فيه : إنما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان لمشاركته لاسم الله فقد ورد : " إن رمضان من أسمائه تعالى " .

فتعينت له حرمة ما هي لسائر شهور السنة قال : وإنما جعله الشارع من الشهور القمرية لتعلم بركته جميع شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فإن أفضل الشهور عندنا رمضان ، ثم شهر ربيع الأول ، ثم رجب ، ثم شعبان ، ثم ذو الحجة ، ثم شوال ، ثم القعدة ، ثم المحرم . وإلى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية ، وأما بقية الشهور وهي صفر ، وربيع الآخر ،

قلة السلامة منه انتهى.
(فإن قيل) : فهل يقع من أهل الكشف في الدنيا إنكار لشيء من التجليات الأخروية ؟
(فالجواب) : كما قال الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة : لا يقع من أهل الكشف شيء من الإنكار للتجلي الأخروي وإنما يقع ذلك من أصحاب النظر العقلي وذلك لأنهم قيدوا الحق تعالى بما أدت إليه عقولهم المعقولة فلما لم يروا في الآخرة ما قيدوه بعقولهم في الدنيا أنكروه ضرورة ألا تراهم إذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو أنه تعالى كان تجلّى لقلوبهم بهذه العلامة أولا لما أنكروه فعلم أن أهل الكشف لا يقع منهم إنكار والسلام انتهى .
وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول : لا يقر بالحق تعالى في تجلي من تجليات الآخرة إلا أهل التنزيه المطلق الذي هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال : وهذا هو سر العيان الذي يستحيل معه الحجاب انتهى.
(فإن قيل) : إذا كان الحق تعالى واحدا لا ثاني له ، في نفس الأمر فمن أين جاء الإنكار ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في باب الأسرار جاءهم الإنكار من اختلاف الأمزجة فكل قد يصوب اعتقاد نفسه ويخطئ غيره وهو تعالى في نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هي التي تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله في علو ذاته عن ذلك.
(فإن قيل) : فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه في هذه الدار على الكشف القلبي ؟
(فالجواب) : علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لإحدى الجهات على بعضها قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس عشر ومائتين : وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد .
قال : وكذلك هي رؤية أهل الجنة في الجنة إذا رأوه بأبصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى.
(فإن قلت) : إن بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضا بالقلوب كالأبصار فما وجهه ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب العشرين وأربعمائة : أن وجهه : إطلاق الأبصار في

....
والجماديان . فهي متساوية في ؟ الفضل فيما يغلب على ظني ، فإني ما تحققت فيها تفاضلا فلم يتمكن لي أن أقول ما ليس لي ؟ به علم.

[الباب الثاني والتسعون في معرفة مقام ترك الورع]

وقال في الباب الثاني والتسعين ينبغي لكل مؤمن أن يتورع إن لم يكن ورعا قال : ومما يقع فيه غالب المتورعين أن أحدهم إذا رأى شخصا على مخالفة ، الشرع في أفعاله أو ، أقواله أو عقائده ، ثم فارقه لحظة واحدة لا يجوز له الحكم عليه بما وقع منه قبل تلك اللحظة ومثل ظن بذلك الشخص أنه باق على مخالفته خرج عن مقام الورع وصار من أهل الوقوع في الشبهات قال : وقليل من يكون على هذا القدم.

[الباب الثامن والتسعون في معرفة مقام السهر]

وقال في الباب الثامن والتسعين : من شرط الولي الكامل أن لا ينام له قلب بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

الآية . أي : لا تدركه الأبصار من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب وذلك أن القلوب لا ترى إلا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى أيضا إلا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الإدراك فيسمى البصر في القلب عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين فكما أن العين في الظاهر محل البصر فكذلك البصيرة في الباطن محل العين الذي هو بصر في عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه كما لا تدركه العيون بأبصارها ، كذلك لا تدركه البصائر بأعينها انتهى.
(فإن قيل) : فهل وقعت رؤية الله تعالى ، يقظة في الدنيا لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحكم الإرث له في المقام ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه : لم يبلغنا وقوع ذلك في الدنيا لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : إن فلانا يزعم أنه يرى الله تعالى بعيني رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له : أحق ما يقول هؤلاء عنك . فقال : نعم . فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لا يعود عليه فقيل للشيخ : أمحق هذا الرجل أم مبطل ؟ فقال:
هو محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته إلى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حال اتصال شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته وإنما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدري قال تعالى : مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (19) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (20) [الرحمن : 19 ، 20] . وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هذا الجواب وأطربهم ودهشوا من حسن إفصاحه رضي الله عنه ، عن حال ذلك الرجل ، قال الشيخ عبد القادر الجيلي : وقد تراءى لي مرة نور عظيم ملأ الأفق ثم بدت لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر : أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فإن شئت فاعبدني وإن شئت فاترك ، فقلت له : اخسأ يا لعين فإذا ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبني اللعين وقال لي : يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأحكام ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر : فمن أين عرفت أنه شيطان . فقال : بإحلاله لي ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه تعالى لا يحرم شيئا على ألسنة رسله ثم يبيحه لأحد في السر أبدا انتهى.

....

وذلك لأن الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة.
(قلت) : ذكر الشيخ في الباب الحادي والتسعين أنه يجب على الورع أن يجتنبه في خياله كما يجتنبه في ظاهره لأن الخيال تابع للحس . قال : ولهذا كان المريد إذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لأن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور وفي اليقظة لا يكون إلا من بقية شهوة في خياله فإذا احتلم صاحب كمال فإنما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى . فتأمله والله أعلم . وقال : في الباب

(فإن قلت) : إن الحق تعالى أخبر أنه أقرب إلينا من حبل الوريد فإذا كان بهذا القرب العظيم فما المانع من رؤيته ؟
(فالجواب) : المانع من رؤيته هو شدة القرب كما قال تعالى : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ (85) [الواقعة : 85] . أي : لشدة قربي منكم وقد أطال الشيخ في تفسير قوله تعالى:
لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103] . في الباب الخامس والعشرين وأربعمائة . وفي الباب الحادي وعشرين ومائتين . وقال في كتابه " شرح ترجمان الأشواق " : اعلم أن الحق تعالى إذا كان الوهم لا يحيط به مع أنه ألطف من الإدراك الحسي فكيف يدركه البصر الذي هو الأكثف انتهى . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : قوله تعالى : لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام : 103] . صحيح على ظاهره فإن المبصر للحق جل وعلا إنما هم المبصرون بالأبصار لا نفس الأبصار انتهى . فليتأمل.
(فإن قلت) : فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية الباري وبين قول من نفاها ؟
(فالجواب) : نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه : اعلم أن الجامع بين من أثبت رؤية الله عزّ وجلّ وبين من أنكرها ونفاها أن من أثبتها أراد أنها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها أراد أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشيء كأنه ما رآه مع أنه رآه انتهى . وقال في " لواقح الأنوار " أيضا : اعلم أن حجاب الكبرياء على الذات المتعالى لا يرتفع أبدا كما أشار إليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم : " وليس على وجهه تعالى إلا رداء الكبرياء في جنة عدن " وإذا كان الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما إلا على الحجاب فصح قول من قال : إن الحق يصح أن يرى ومن قال : لا يصح أن يرى يحمله على هاتين الحالتين انتهى . وأما الكلام على رؤيته تعالى في المنام فقد قدمنا أول المبحث نقول المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول : الصوفية . فنقول وبالله التوفيق : اعلم أن الأصل في صحة الرؤيا ما رواه الطبراني وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربي في صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب الحديث ، قال الحافظ السيوطي رحمه الله : هو حديث صحيح قال الشيخ محيي الدين في الباب الأحد والثمانين وثلاثمائة : قد اضطربت عقول العلماء
....
الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له فإن الشهوة آلة للنفس تعلو بعلو المشتهي وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة إرادة الالتذاذ بما يطلب أن يلتذ به قال : والذي أقول به إن صحبة المريدين للأحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذي جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فإن الكامل إذا رأى الأمرد أملس لا نبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وأنه حديث عهد بربه كالمطر بخلاف الكبير فيراعي ذلك الأمرد كما راعى ذلك المطر من حيث قربه من التكوين هذا مشهد الكمل . قال : ويجب على كل مؤمن ومدع لطريق الله إن

في معنى هذا الحديث وفي صحته فنفاه بعضهم وأثبته بعضهم وتوقف في معناه وأوله ولا يحتاج الأمر إلى تأويل فإنه صلى الله عليه وسلم ، إنما رأى هذه الرؤية في عالم الخيال الذي هو النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعاني في الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسدا لأن حضرته تعطي ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال : ومن حضرته أيضا ظهر وجود المحال فإنك ترى فيه واجب الوجود الذي لا يقبل الصور في صورة ويقول لك معبر المنام:

صحيح ما رأيت ، ولكن تأويلها كذا وكذا ، فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة فإذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم في الأمور من تجسد المعاني وجعله ما ليس قائما بنفسه وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم : إن الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والتسعين ومائة .

ثم قال : ولو لم يكن من قوة الخيال إلا أنه يريك الجسم في مكانين فيكون الإنسان نائما في بيته ويرى في منامه أن عين جسمه في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليه في بيته وهو عينه لا غيره ، لمن أدرك الوجود على ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرض المحال فإنه لولا صورة في نفسه ما قدر على فرضه . قال : ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة وهو عند الله حي يرزق ويأكل وروى الترمذي في حديث القبضتين مرفوعا : أن الحق لما فتح قبضته أي : كما يليق بجلاله فإذا فيها آدم وذريته فآدم في هذه القصة في القبضة وهو عينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول في هذا الحديث وأطال في ذلك هذا كلامه بحروفه ، فتأمله وحرره والله يتولى هداك.

(فإن قلت) : فإذن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحبه برؤية الحق تعالى في صورة ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين وأربعمائة : نعم ، وهو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في السؤال من رؤيتك لله تعالى في المنام . الذي هو موطن الخيال في صورة فإذا كان الحكم الموطن قد حكم عليك في الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه إلا كذلك فكيف بغيره ثم إنك إذا خرجت من حضرة الخيال إلى موطن النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى إلا منزها عن تلك الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال ، فإذا كان

....

لم يكن من أهل الكشف والوجد أن يجتنب كل أمر يؤدي إلى تعلق القلب بغير الله فإنه فتنة في حقه وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين ما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسة النسوان وأخذ الإرفاق فإن القلوب تميل إلى كل من أحسن إليها بحكم الطبع وليس هناك قوة إلهية على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصنف الذي ذكرناه قال:

ولا يخفى أن من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيه وإن كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله في صحبته لكل من يردى به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم

الحكم للمواطن عرفت إذا رأيت الحق تعالى ما رأيت وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك به إحاطة أبدا وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير . وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لأنك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته في موطن ينفذ منك في موضع آخر فما عندك من العلم به ينفذ وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى.

(فإن قلت) : فإذا كان ما يراه الإنسان في النوم بهذه المثابة فلا يصح لأحد القطع بما يراه في المنام أبدا ؟

(فالجواب) : نعم . وهو كذلك كما ذكره الشيخ في " لواقح الأنوار " قال : لأن دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يحصل القطع إلا إن استند الرائي إلى علم آخر وراء ذلك . إذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لأنه أمر برزخي بين حقيقتين وهما: المعاني المجردة والمحسوسات ، فلهذا يقع فيه الغلط قال : وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له : " هذه زوجتك " كيف قال له : إن يكن من عند الله يمضه ولو أن جبريل أتاه بذلك من طريق الوحي المعهود في الحس أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك لأن النصوص لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا تردد انتهى.

(فإن قلت) : فما السبب الداعي لرؤية الله تعالى في النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم : " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " . السابق أول المبحث.

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة : إن السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخا للموت فمعنى الحديث : إنكم ترونه بعد موتكم لا في حال موتكم فما نفى الشارع إلا رؤية الله في الدنيا يقظة لغير من استثنى وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار إلا لمن أمده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها.

(فإن قلت) : فما محل وقوع النوم في العالم ؟

....

صدق في الطريق اللوم في ذلك قال : ثم الذي ينبغي للمريد إذا دعي أنه ما صحب الأحداث أو النسوان إلا لله أن يزن حاله فإن وجد ألما ووحشة عند فقده إياهم ، وهيجانا إلى لقائهم وفرحا بإقبالهم ، فليعلم أن صحبته لهم معلولة وإن وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا المحب قال : وإن كانت محبة المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء ، ومن جملتهم الأحداث والنسوان ، فلا ينبغي له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم عنده من حيث إنهم خلق الله حتى الحائط فمحبوب هذا على دعواه لا يفارقه فلماذا نستوحش انتهى.

(فالجواب) : محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة ، وما فوق فلك القمر لا نوم وأما محله في الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة . قال الشيخ محيي الدين : ومن هنا أنكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم . وقال : إن الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله في الدنيا ولا في الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد أطال الشيخ الكلام على الرؤيا في الباب التاسع والتسعين من " الفتوحات " . وذكر في موضع آخر من " الفتوحات " أن جبريل لا يرى ربه في الدنيا وإنما يراه في الآخرة فقط فليتأمل ويحرر.
(فإن قلت) : فما الفرق بين النوم والموت ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلاثمائة : إن الموت فيه إعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس هو إعراضا عن الجسم بالكلية وإنما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس إذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الأرض ، بكون الضوء موجودا كالحياة وإن لم يقع إدراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها وبين الأرض.
(فإن قلت) : فما السبب في عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الأحد وثمانين وثلاثمائة : أن السبب في ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم ، فإذا انتقل إلى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هناك بسرعة يقظانه فكأنه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم : النوم سبب للحدث ما هو عين الحدث.
(فإن قلت) : فمن أصدق الناس رؤيا ؟
(فالجواب) : أصدقهم رؤيا من تجلّى له ما رآه في حضرة خياله الذي هو فيه فهذا هو الذي تصدق رؤياه أبدا.
(فإن قلت) : فإذن كل رؤيا صادقة ؟

....

(قلت) : فالواجب على من بلغ مبلغ الرجال عدم صحبة النساء والأحداث جملة واحدة ، ثم إذا بلغ أيضا فشرطه على ما قالوه : أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فإن أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به في ذلك والله أعلم . وقال : الفرق بين الشهوة والإرادة ، أن الإرادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب ، وأما الشهوة فلا تتعلق إلا بما للنفس في نيله لذة خاصة ، وأيضا فإن محل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الإرادة الروح ذكره في الباب التاسع ، ومائة . وقال في الباب الثاني عشر ومائة : تكون مخالفة النفس في ثلاثة أمور فقط . في المباح والمكروه ، والمحظور لا غير . وأما إذا وقعت

(فالجواب) : نعم . هي صادقة بلا شك لا تخطىء وإذا قيل : إن الرؤيا أخطأت فما أخطأت ، وإنما الذي عبرها هو المخطىء حيث لم يعرف ما المراد من تلك الصورة ألا تراه صلى الله عليه وسلم ، قال لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا : أصبت بعضا وأخطأت بعضا ، وما قال له : خيالك فاسد لأنه رأى حقا ولكن أخطأ في التأويل وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والستين من " الفتوحات " فراجعه.
(فإن قلت) : فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار إليهما في حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ، في الكلام على اسمه تعالى الحليم : أن الرؤيا هي رؤيا الأمر على ما هو عليه في نفسه وأما الحلم فهو رؤيا الأمر على خلاف ما هو عليه ، يقال : حلم الأديم إذا فسد وكذلك النوم أفسد المعنى عن صورته لأنه ألحقه بالحس وليس بمحسوس فإذا أخبر المحتلم العارف بما رأى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة . إلى المعنى الذي ظهر بها فردها إلى أصلها كما أفسد الحلم العلم وأظهره في صورة اللبن فليس بلبن فرده صلى الله عليه وسلم ، بتأويل الرؤيا إلى أصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة . وقد جاء رجل إلى محمد بن سيرين رضي الله عنه ، فقال : إني رأيت أني أرد الزيت في الزيتون فقال له : أمك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فوجد أمه تحته تزوجها وما عنده خبر منها ، وأين صورة نكاح الرجل أمه من رد الزيت في الزيتون فتأمل وبالجملة فكل من رأى الأمر على ما هو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان في النوم أو في اليقظة انتهى.
(فإن قلت) : فما معنى حديث : " رؤيا المؤمن على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدث بها وقعت " ؟
(فالجواب) : ما قاله الشيخ في الباب الثامن والثمانين ومائة : إن لله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور في الأكوان فإذا نام الإنسان انتقلت اللطيفة

....
لها لذة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فيخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فإن استوى عندها جميع التصرفات في فنون سلمنا لها تلك اللذة بالطاعة الخاصة وإن وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول إلى الشاق واجب لأنها إن اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحظور ، والمكروه ، والمباح وقال في الباب الخامس عشر ومائة ، في قوله صلى الله عليه وسلم : لا غيبة في فاسق " الذي فهمته من هذا الحديث أنه نهي لا نفي وعلى ذلك جرى أهل الورع في فهم هذا الحديث أي : لا تغتابوا الفاسق المعين وعرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان صلى الله عليه وسلم ، يقول : " ما بال أقوام يفعلون كذا

الإنسانية بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الإذن الإلهي ما يشاء الحق تعالى أن يريد لهذا النائم من إدراك المعاني متجسدة ونحو ذلك ، حتى أنه يرى الحق تعالى في صورة كما مر ، فإذن : ما عبر أحد الرؤيا حيث عبرها إلا بعد أن تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان إلى خيال العابر لها.

(فإن قلت) : فما المراد بالطائر في الحديث ؟

(فالجواب) : الطائر هو الحظ . قال تعالى : قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس : 19] . أي : حظكم ونصيبكم معكم ، من الخير والشر ، وإيضاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد أن يري أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضي رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الأعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية وإنما جعلها الحق تعالى في صورة طائر لأنه يقال : طار فهمه بكذا فإذا وقعت الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فإذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لأنه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال ، لا غير وتلك الحال إما عرض وإما جوهر وإما نسبة عن ولاية أو غيرها ، هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى.

(فإن قيل) : فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم ، الستة وأربعين جزء من حديث الرؤيا جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة ؟

(فالجواب) : وجهه أن رسالته صلى الله عليه وسلم ، كانت ثلاثا وعشرين سنة وقعت له الرؤيا قبل الرسالة مدة ستة أشهر فانسب الستة أشهر إلى ستة وأربعين جزءا تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ، يقول لأصحابه إذا أصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من أجزاء النبوة إذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد النبوة في أمته هذا والناس في عماية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم ، وقصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ

....

وكذا " قال : ومع كون الغيبة محمودة في مواضع مذكورة في كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيها من التعيين إلا إن ترتب على ذلك حكم شرعي . وقال في الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها في اللسان وهي المسألة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى ، لا من غيره وهو قوله تعالى في الظالمين : " يوم القيامة مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ [إبراهيم : 43] إلى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم . فعلم أن من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران . فإن السائل موصوف بالركون إلى من سأله والله تعالى يقول : وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود : 113] ومن ركن إلى جنسه فقد ركن إلى ظالم . لأن الله تعالى قال

بالرائي إذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها وأطال الشيخ في ذلك الباب الثالث والستين وثلاثمائة ، وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى أعلم.
(خاتمة) : في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعلم أن الأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق أول المبحث خير الرؤيا أن يرى العبد في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم : " من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي " . وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم ، فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام . إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق : إنما كان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم ، لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم ، لما ولد جاءه الشيطان وجنوده حتى دخلوا مكة فوجدوا نورا يسطع منه إلى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون ويفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ، ولأجل هذا الفزع أسلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها فهذا هو السبب في كون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم.
(فإن قلت) : كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم أنهم الحق تبارك وتعالى ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الأربعين وخمسمائة : إن الشياطين إنما لبست على بعض الحمقى بالتصور بصورة ادعوا أنها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل فلذلك جاء الشيطان إلى جماعة في المنام وقال لهم : إني أنا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن له صورة معقولة ثابتة الأوصاف في الأحاديث الصحيحة فإذا جاء إبليس في صورة غيرها ردت عليه . حتى قالوا : من شرط الرؤيا الصحيحة أن يراه صلى الله عليه وسلم ، مكسور الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد رآني أي : رأى حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لا تبلى أجسادهم ولا تتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جاءت به الأحاديث.
(فإن قيل) : كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائي مسافات بعيدة ؟

....
في الإنسان : إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا [الأحزاب : 72] انتهى . وهو كلام نفيس . وقال في الباب الرابع والعشرين ومائة في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام ، قال : إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ [ص : 32] . الآية . معناه : أحببت الخير عن ذكر ربي الخير بالخيرية فأحببته لذلك والخير هي الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله : فطفق مسحا.
أي : يمسح بيده على أعرافها وسوقها ، فرحا ، وإعجابا بخير ربه ، لا فرحا بالدنيا لأن الأنبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ما وقع لأيوب عليه السلام ، حين أرسل الله له جرادا من ذهب فصار يحثو في ثوبه منه ويقول : لا غنى لي عن بركتك يا رب انتهى . فما أحب سليمان الخير

(فالجواب) : أن رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التي في رأسه حتى يجب الحضور وإنما الرؤية له صلى الله عليه وسلم ، بالعين التي في قلب الرائي وذلك لا يستدعي حضور المرئي بل يرى من المشرق إلى المغرب وتخوم الأرض إلى العرش ، وذلك كما ترى الصورة في المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة إلى جرم المرآة ومعلوم أن العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ما قابلها من العلويات والسفليات.

(فإن قيل) : فما الحكم فيما إذا رآه صلى الله عليه وسلم ، جمع كثير في وقت واحد على صفات مختلفة كأن يراه بعضهم شيخا ويراه آخر شابا ويراه آخر ضاحكا ، وآخر باكيا ، وآخر طويلا ، وآخر قصيرا ، وغير ذلك ؟

(فالجواب) : أن هذه الاختلافات كلها راجعة إلى الرائين لا إلى المرئي صلى الله عليه وسلم ، ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الأشكال والمقادير إذا قابلت وجه إنسان يرى وجهه في المرآة الكبيرة كبيرا وفي الصغيرة صغيرا ، وفي المعوجة معوجا ، وفي الطويلة طويلا ، وفي المقعرة مقعرا ، إلى غير ذلك في الاختلافات في ذلك راجعة إلى اختلافات أشكال الرائي لا إلى وجه المرئي وكذلك الراؤون للنبي صلى الله عليه وسلم ، أحوالهم بالنسبة إليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم فعلم أن جميع ما يرى من النقص في صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو راجع إلى الرائي.

قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله تعالى : وإني لأرى جماعة من الحمقى تشمئز طباعهم من ضرب الأمثال بالمرآة ونحوها ، في مثل هذا الذي ذكرناه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهون قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الأمثال بالذبابة والعنكبوت حتى أنزل الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها [البقرة : 26] . يعني والله أعلم في الصغر والحقارة فالأمثال أعظم شيء في تفهيمات المعنى وقالوا الأمثال مرايا القلوب يعني : أن عين القلب ترى في الأمثال من صور المعاني ما تراه عين الرأس في المرآة من صور الأجسام قال تعالى : وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ (43) [العنكبوت : 43] . والكتب المنزلة من السماء أكثرها أمثال مضروبة فعلم أن الرائي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تلك الصور والأشكال المختلفة راء له حقيقة فإن تلك

....

إلا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق إليها لما توارت بالحجاب يعني : الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذي أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال : ردوها عليّ وقال:

وليس للمفسرين الذين جعلوا التواري للشمس دليل فإن الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون ومساق الآية . لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة ، قال : وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ [ص : 34]

فالفتنة هي الاختبار يقال : فتنت الذهب أو الفضة إذا اختبرتهما بالنار فلا ينافي ذلك ما قلناه إذ كان متعلقه الخيل ولا بد يكون اختياره إذ رآها هل أحبها عليه السلام ، عن ذكر الله لها ، أو أحبها لعينها ، فأخبر عليه السلام أنه إنما

الصور كلها أمثلة له خيالية والمرئي بواسطتها هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا كما يقول الإنسان : رأيت وجهي في الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا إلى الماء حتى يراه فيه وإنما معناه رأيت حقيقة وجهي بواسطة مثاله في الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت إليه إذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وإنما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التي تكل الأفهام عن دركها ولا فرق بين أن تقول رأيت وجه صديقي بعيني ، وبين قولك : رأيت وجه صديقي في الماء إذ المرئي في الحالتين واحد غير أن الله تعالى أجرى العادة أن من نظر في صقيل كالماء والمرآة يرى في ذلك الصقيل وجهه فيظن أن في ذلك الصقيل شيئا يراه هو مثالا لوجهه وذلك خيال باطل . لأن الصقيل في ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد في واحدة فعلى هذا : من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، في نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " فقد رآني وأطلق " ، كما أنه صلى الله عليه وسلم ، لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام ، في صورة دحية الكلبي يراه حقيقة لا مثالا .
قال الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله : وكان الغزالي رحمه الله يقول : من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم ير حقيقة شخصه المودع في روضة المدينة وإنما رأى مثاله لا شخصه قال : وبلغنا عن الغزالي أيضا أنه كان يقول : ما يراه النائم من المثال إنما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم : المقدسة عن الصورة والشكل وشبه رؤية الله في المنام بذلك فلا أدري ما أراد به رحمه الله ا ه.
(فإن قلت) : فهل يصدق من ادّعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، في اليقظة الآن ؟
(فالجواب) : نعم يصدق وقد أخبرني الشيخ الصالح عطية الأبناسي والشيخ الصالح قاسم المغربي المقيم في تربة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، والقاضي زكريا الشافعي أنهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له في مرة منها : هل أنا من أهل الجنة يا رسول الله ؟ فقال : نعم ! فقلت : من غير عذاب يسبق ، فقال : لك ذلك ، قال الشيخ عطية : وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع بالسلطان الغوري في ضرورة وقعت لي . فقال لي : يا عطية أنا أجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، يقظة وأخشى إن اجتمعت بالغوري أن يحتجب صلى الله عليه وسلم ، عني ، ثم قال : إن فلانا من

....

أحبها عن ذكر ربه إياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته إليها فإنها جزء من الملك الذي طلب أن لا يكون لأحد من بعده فأجابه الحق إلي ما سأل في المجموع ورفع الحرج عنه بقوله : كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (29) وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (31) فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ (32) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (34) قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (36) وَالشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي

الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى في جسده لضرورة فلم ير الملائكة بعد ذلك عقوبة له على اكتوائه انتهى . قال الشيخ قاسم المذكور : وأكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، يقظة بالقلب ثم تترقى إلى رؤية البصر . قال : وليست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، كرؤية الناس بعضهم بعضا وإنما هي جمعية خيالية وحالة برزخية ، وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره ا ه . وقد ألف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبالملائكة يقظة من الصحابة والأولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيئا مما ذكرناه عن هؤلاء الأشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون في مثل ذلك ، فيصدق من قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربي رحمه الله يقول : بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لا بد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية في اليقظة ، وكان رضي الله عنه يقول أيضا : إن من ادّعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما رأته الصحابة فهو كاذب وإن ادّعى أنه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمنع منه وذلك لأن من بالغ في كمال الاستعداد بتنظيف القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الأولى صار محبوبا للحق تعالى وإذا أحب الحق تعالى عبدا كان في نومه من كثرة نورانية قلبه ، كأنه يقظان قال : وحينئذ فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا بروحه المتشكلة بشكل الأشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ إلى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى.

فعلم أن المراد بقول من قال : إنه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام.

(فإن قلت) : فهل يجب على الرائي العمل بما يسمعه من هذه الصورة ؟

(فالجواب) : لا يجب على أحد العمل بمثل ذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل إلى الشرع الظاهر لا سيما إن خالف نصا صريحا.

(فإن قلت) : فما حكم ما يراه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

(فالجواب) : أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، العمل بما يرونه في المنام وذلك أن

....

الْأَصْفادِ (38) هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ (40) [ص: 29 ، 40 . [أي : ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيئا كما يقع لغيره.

(قلت) : هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتأمل ويحرر والله أعلم.

[الباب الثامن والعشرون ومائة في معرفة مقام الرضى وأسراره]

وقال في الباب الثامن ، والعشرين ومائة : اعلم أن رضا الله عن العبد يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل في شيء من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل في شيء منها نقص من الرضا ، بقدر ما أخل وهذا ميزان في غاية الوضوح والإنسان على نفسه بصيرة انتهى . بالمعنى في بعضه

[الباب التاسع والعشرون ومائة في معرفة ترك الرضي]

وقال في الباب التاسع والعشرين ومائة : يجب على العبد

الأنبياء لا يرون إلا حقا وما يرونه في المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الأنبياء فجميع ما ينطبع في عالم أمثالهم حق إذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي ، وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل.
(فإن قيل) : فإذا انعكس نور قلوبهم إلى الجهة العلوية فهل يحتاج إلى تأويل ؟
(فالجواب) : أن مثل ذلك يحتاج إلى تأويل كما وقع في قصة يوسف ورؤيته الأحد عشر كوكبا ولهذا قال يوسف : هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا [يوسف : 100] والله تعالى أعلم.
المبحث الثالث والعشرون : في إثبات وجود الجن ووجوب الإيمان بهم
وذلك لإجماع أهل السنة سلفا وخلفا على إثباتهم مع نطق القرآن وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويتناكحون ويتناسلون . قال الشيخ أبو طاهر القزويني : ومما يدل على وجودهم تخيل عامة الناس من آثارهم الخفية قال : وقد أنكرت المعتزلة الجن أصلا وزعموا أن الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس وأشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم وأوصافهم.
(فإن قلت) : فكم أصول الخلق كلهم ؟
(فالجواب) : كما قاله الماوردي : إن أصول الخلق أربعة أشياء : الماء ، والتراب ، والهواء ، والنار ، فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم أن النار مشتملة على نور ولهب ودخان ، فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشرر المحض . وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة إلى الملائكة بالنورية ولهم نسبة إلى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر . قال تعالى : وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ (27) [الحجر : 27] . قيل : هي نار الشمس وقيل : هي نار الصواعق ، وأما إبليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن

....
الرضا بقضاء الله لا بكل مقضيّ فلا ينبغي الرضا بالمعاصي ولو رأيت وجه الحكمة فيها فإنك إذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك في فعلها وإن لم تره فارجع إلى حكم الشرع وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ [الزمر : 7].
(قلت) : وأكثر من يقع في الرضا بالمعاصي أصحاب حضرة التوحيد العام إذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم أنهم خوطبوا بأمر من الله خلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فإن الحق تعالى ما ينهى عن شيء على لسان رسله ويبيحه من ورائهم لأحد من أممهم

فقال قوم : كان من الجن الذين استكبروا في الأرض فحاربهم الملائكة وسبوا إبليس منهم إلى السماء فصار بالحكم من الملائكة فإن مولى القوم من أنفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل : إنه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين . قال الماوردي : ثم إن الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالإنسان والأنعام والوحوش والطيور والحشرات ، وخلق الحيتان والضفدع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الأجناس الأربعة من المخلوقات من الأصول الأربعة جنسين صاعدين لصعود أصليهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان لهبوط أصليهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ، ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب " النبوة " ثم اعتذر . فقال : إنما نقلت هذه العبارات من ألفاظ المنكرين لها لأن الاستدلال بلسان الخصوم يكون أوقع عندهم وأدعى إلى التزام الحجة انتهى . قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله : واعلم أن كل جنس من هؤلاء لا بد إذا تم خلقه بقدرة الله أن تزول صورة أصله ويتشكل بشكل آخر لا يشبه أصله وتأمل الإنسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب ، وصار لحما وعظما وبشرة إلى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصور المخصوصة والهيئة المشهودة . وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور وأشكالها مختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فإنه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر أجسادهم وصور الله لهم هيئات لطافا ولذلك سموا روحانيين ، ثم إن لتلك الأنوار أشكالا وصورا لطيفة لائقة بذاتها يتمايز بعضها كأشكال الحيوانات الأرضية لا يعلمها إلا الله تعالى: وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ [المدثر : 31] وتلك الصورة لازمة في اختلافاتها وفي تنوعها ولكنها ممنوعة عن أبصارنا لغاية لطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتصورون فيها أحيانا فيراهم الأنبياء والأولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه أن أجسامهم لغلبة اللطافة والرقة كأنها تمتزج بالهواء فيتصور الهواء بما شاؤوا من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون أيضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك . كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يرها أبوه العباس وكان معه في المسجد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، بذلك فقال : أما إنه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التأويل . قال:

....

أبدا فافهم والله أعلم.

[الباب السادس والأربعون ومائة في معرفة مقام الفتوة وأسراره]

وقال في الباب السادس والأربعين ومائة : إياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر إلى ما حكم به .

وإن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين إمضاء ظاهر الحكم به فلا يعول عليه فإنه مكر نفساني في صورة علم إلهي من حيث لا يشعر قال : وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك الحكم وهم مخطئون في ذلك .

قال: واعلم أن تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشيء ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط ، وخرج عن الانتظام في شرع أهل الله تعالى ولحق بالأخسرين أعمالا وأطال في

وقد أقدر الله تعالى الجن على أن يظهروا في أي صورة شاؤوا كما أقدرنا أن نظهر في أي لباس شئنا فكما أن أشكال اللبس لنا مسخرة كذلك كانت أشكال الصور لهم مسخرة غير أن لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والأشعة وكل يعمل على شاكلته قال : ولما كان جسم الملك والجني أرق من الهواء يعني : في سرعة التطور دقت أجسامهم عن أبصارنا ولكن إذا أراد الله عز وجل أن يرينا الملك أو الجني كيّف الهواء وأعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء بأي شكل وصورة شاؤوا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى : وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ (9) [الأنعام : 9] والملك لا يكون رجلا في الحقيقة وإنما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لأن الهواء إذا تكاثف أمكن إدراكه كالسراب.

(فإن قلت) : فما المعنى من قوله تعالى : إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف : 27] ؟

(فالجواب) : معناه والله أعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التي خلقهم الله عليها وأما رؤيتهم إذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا.

(قلت) : وقد وقع أن شخصا منهم جاءني بنيف وسبعين سؤالا في التوحيد يطلب جوابها مني وكان على صورة كلب أصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن الفراش أن ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالماء والطين فأجبتهم عنها وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف.

(فإن قلت) : فهل يكونون محجوبين عنا في الجنة كما في الدنيا ؟

(فالجواب) : لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم ولا يرونا إلا الخواص منهم فإنهم يروننا كما يرى الخواص منا الجن هنا.

(فإن قلت) : فهل تختلف أصواتهم بحسب الصورة التي تطوروا فيها أم هم باقون على أصواتهم الأصلية ؟

....

ذلك ثم قال : وإذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد إلهي يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الأمر من الشرع المحمدي وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لأنه تلبيس ووجب عليه الرجوع إلى حكم الشرع الثابت وقد ثبت عند أهل الكشف بأجمعهم أنه لا تحليل ولا تحريم لأحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة ، وأطال في ذلك ثم قال : فتفطنوا يا إخواننا ، وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الأمر الواجب عليّ في النصح والله أعلم

[الباب الثامن والأربعون ومائة في معرفة مقام الفراسة وأسرارها]

وقال في الباب الثامن والأربعين ومائة في قوله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " . إنما أضاف نور الفراسة إلى الاسم الله دون غيره لأن الاسم الله هو الجامع لأحكام الأسماء فيكشف المذموم

(فالجواب) : تختلف أصواتهم تبعا للصورة التي ظهروا بها إذ الحكم للصورة التي دخلوا فيها من آدمي أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحيوانات.
(فإن قلت) : فإذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا أم يخالفون ؟
(فالجواب) : يخالفون في البعض دون البعض فلا تشبه أصواتهم أصواتنا في جميع الأمور وذلك لأن أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لأنها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم.
(فإن قلت) : فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص للحروف ؟
(فالجواب) : حصول العلم لنا من كلامهم إنما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقها فلو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا من كلامهم شيئا.
(فإن قلت) : فهل يقدر أحدهم على أن يتكلم بكلام البشر وهو في غير الصورة الإنسانية ؟
(فالجواب) : لا يقدر روحاني على ذلك أبدا إلا إن خرقت له العادة.
(فإن قلت) : قد تقدم أول المبحث أن الجان خلق من مارج من نار ، والمارج في اللغة: الاختلاط ، فما هذا الاختلاط ؟
(فالجواب) : هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب.
(فإن قلت) : إن الشياطين من الجن هم الأشقياء البعداء خاصة فلم أبقى عليهم اسم الجنس الذي هو الجان ؟
(فالجواب) : إنما أبقى عليهم اسم الجن لأن الجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الإنسان ومعلوم أن الجان عنصري ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخي النشأة فله وجه إلى الأرواح النورية بلطافة النار منه بدليل أن له الحجاب والتشكل وله أيضا وجه النيابة فكان عنصريا رمادا كما مرت الإشارة

....

والمحمود ، وحركات السعادة والشقاوة فلو أنه صلى الله عليه وسلم ، أضاف نور الفراسة إلى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته إلا المحمود السعيد خاصة قال : ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطىء له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة إلى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا : من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة ، فهو دليل على القحة ، والخيانة ، وخفة العقل والفسوق فإن هذا ليس بقاعدة كلية وأطال في أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاث أوراق فراجعها إن شئت.
(وقال) : فيه لا يخلو الإنسان في معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال ؛ بالنظر إلى الشرع إما

إليه في كلام الماوردي . وأعطاه الاسم اللطيف أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته في صدورنا ما علمنا أن ثم شيطانا فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس إلا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم إلا متجسدين.

(فإن قلت) : فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والأربعين وثلاثمائة : إن بينهما فرقا وذلك أن الجسم هو المعروف في العموم لطيفة وشفافة وكثيفة ما يرى منه وما لا يرى وأما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحاني في اليقظة الممثلة في صور الأجسام ومنه ما يظهر إدراكه للنائم في نومه مما يشبه بالأجسام ويعطيه الحس وليست هذه الأمور في نفسها بأجسام انتهى.

(فإن قلت) : فهل المرئي بواسطة الصور التي يتطور فيها الجني أو الملك هو الملك حقيقة أو الجني ؟

(فالجواب) : نعم الملك والجني حقيقة كما أن المسموع بواسطة الحروف والأصوات هو كلام الله حقا . وقد سئل بعضهم عن حد الجني فقال : هو حيوان هوائي ناطق من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة.

(فإن قلت) : فهل ثم من الجن من يقسم الإنسان عليه بأسماء الله تعالى فلا يبر قسمنا أم كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم ؟

(فالجواب) : كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الإنس . قال الشيخ أبو طاهر : ويقال إن الجن لا يجيبون إلا بالعزائم وإنما إذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجني فيحضرهم ويردهم إلى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام ، كما سخرت له الريح وهم أجساد لطاف كالريح يدخلون أجواف بني آدم دخول النار في الفضة المذابة فتراها تضطرب في البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه وفي

....

أن يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرع كالباطنة في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن وإما أن يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم ؛ والتشبيه على حد عقله هو فهذا أيضا مذموم شرعا ، وإما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا في قوله : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران : 31] . فاعلم ذلك فإنه نفيس والله يتولى هداك.

[الباب الثالث والخمسون ومائة في معرفة مقام الولاية البشرية وأسرارها]

وقال في الباب الثالث

الحديث إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم.
(فإن قلت) : فما الدليل على أن الجن مكلفون ؟
(فالجواب) : الدليل على ذلك قوله تعالى : وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ [الأحقاف : 29] وكانوا تسعة من جن نصيبين . وقد كان صلى الله عليه وسلم ، رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حول عبد الله بن مسعود حطّا وقال : لا تخرج منه وقال ابن مسعود : لما حضرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بينهم خصومة في دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بينهم ثم علمهم سورة الرحمن وأوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور في التفاسير.
(فإن قلت) : فما الدليل على دخول الجن الجنة ؟
(فالجواب) : قد سئل عن ذلك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، فمكث سبعة أيام حتى اطلع على قوله تعالى : لَمْ يَطْمِثْهُنَّ [الرحمن : 56] . يعني : الحور إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ [الرحمن : 56] فقال : هذا دليل على أن الجن يدخلون الجنة انتهى . وقال الضحاك : يدخل الجن الجنة ويثابون على أعمالهم كالإنس . وقال سفيان : يثابون على الإيمان بأن يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم : كونوا ترابا قال الشيخ أبو طاهر : وأكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى : وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً (7) [الجن : 7].
(فإن قلت) : فهل منعهم من استراق السمع باق إلى يوم القيامة ، من منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم ذلك إلى مدة معلومة ؟
(فالجواب) : الصحيح ممنوعون منه إلى يوم القيامة وبتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون إلينا ليخبرونا بما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم.
(فإن قلت) : فما حقيقة هذه الشهب ؟
(فالجواب) : أن فيها قولين : قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجني ثم يعود إلى

....

والخمسين ومائة ، في قوله تعالى : وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ [التوبة : 71] . أي:
بإعطائهم ما في قوتهم من المصالح المعلومة في الكون وتسخير بعضهم لبعض الأعلى للأدنى وعكسه وهذا لا ينكره عاقل لأنه الواقع وتأمل الملك الذي هو أعلى مرتبة من سائر رعيته تجده مسخرا في مصالحهم كما هم مسخرون كذلك في مصالحه فهذه هي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض.

[الباب الرابع والخمسون ومائة في معرفة مقام الولاية الملكية]

وقال في الباب الرابع والخمسين ومائة : الملائكة على ثلاثة أصناف : صنف مهيمون في جلال الله تجلّى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه وصنف مسخرون ورأسهم القلم الأعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف أصحاب تدبير للأجسام كلها من جميع أجناس العالم وأطال في ذلك.

[الباب الخامس والخمسون ومائة في معرفة مقام النبوة وأسرارها]

وقال في الباب الخامس

مكانه وقيل : هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود.
(فإن قلت) : فهل إبليس أبو الجان كما هو مشهور في أفواه الناس ؟
(فالجواب) : ليس إبليس بأب للجان فإن الجان كانوا قبله وإنما هو أول من عصى.
(فإن قلت) : فما مرتبة إبليس ؟
(فالجواب) : مرتبته أن يوسوس للناس بما يهلكهم أو ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى : إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) [النحل : 99 ، 100] أي : يضيفون إليه أمر الإغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التي تخفى أن يجد الإنسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ونيته الأولى مع الله تعالى ، ثم إن خالفه العبد في ذلك ، حسن له فعلا آخر وقال له : إن ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه . ومن دسائسه أيضا أنه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه أن يجهل من أتاه به . ومن دسائسه أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم ، فيظن ذلك المكاشف أنه نال درجة عظيمة وإنما ذلك من الشيطان لأن الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة وإلا هلك . ومن دسائسه التي تخفى على غالب الأولياء أنه ينظر إلى قلب الولي فإن رآه يستمد من العماء مثل له عماء وأتاه منه وكلمه منه أو عرشا فكذلك أو كرسيا فكذلك أو سماء فكذلك ، فإن كان سبق في علم الله تعالى حظ هذا العبد منه أطلعه على أن ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيرد خاسئا وإن لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين.
(فإن قلت) : فهل للشيطان سلطان على ظاهر الإنسان كباطنه أو سلطان على الباطن فقط ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة : أن شياطين الجن ليس لهم سلطان إلا على باطن الإنسان بخلاف شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان

....

والخمسين ومائة : اعلم أن النبوة التي هي الإخبار عن شيء سارية في كل موجود عند أهل الكشف والوجود ، لكنه لا ينطلق على أحد منهم اسم نبي ولا رسول ، إلا على الملائكة الذين هم رسل فقط أما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وإنما يقال على أحدهم روح وذلك كالأرواح المخلوقة من أنفاس الذاكرين الله قال : واعلم أن الله تعالى سمى نفسه وليا ولم يسم نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا وأمرنا ونهانا وقلنا له : سمعنا وأطعنا وليست النبوة بأمر زائد على هذا وأطال في أمثلة الأمر والنهي.

[الباب السابع والخمسون ومائة في معرفة مقام النبوة الملكية]

(وقال) : وفي الباب السابع والخمسين ومائة : ينبغي للواعظ أن يراقب الله في وعظه

وباطنه ، وإن وقع من شياطين الجن وسوسة وإغواء للناس في ظاهرهم فإنما ذلك بحكم النيابة لشياطين الإنس فإنهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الإنس.
(فإن قلت) : فأي عداوة أشد ؟ عداوة إبليس لآدم أم عداوته لذريته ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الخامس وعشرين وثلاثمائة : إن عداوته لبني آدم أشد من عداوته لآدم وذلك أن بني آدم من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فقد جمع بينه وبين إبليس اليبس الذي في التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله تعالى أنه له من الناصحين وما صدقه الأبناء في ذلك لكونهم أضداده فلهذا كانت عداوته للأبناء أشد من عداوته لأبيهم قال : ثم من رحمة الله تعالى بنا أنه لما كان هذا العدو محجوبا عن إدراك أبصارنا جعل الله تعالى لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لنتحفظ بتلك العلامة من العمل بإلقائه وأعاننا الله تعالى عليه أيضا بالملك الذي جعله مقابلا له غيبا لغيب ا ه.
(فإن قلت) : فهل ثم لنا شيطان لا هو إنسي ولا هو جني كما قيل ؟
(فالجواب) : نعم وذلك في صورة واحدة إذ الشيطان في سائر مراتبه حسي إلا في صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما إذا اجتمعت شياطين الإنس والجن وأوحى بعضهم إلى بعض فإنه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند وسوستهم معنوي لا إنسي ولا جني.
(فإن قلت) : فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاثة ؟
(فالجواب) : الفرق بينهم أن الشيطان الإنسي أو الجني يفتح أحدهما باب الإلقاء في قلب العبد بما يبعده عن الله تعالى لا غير وأما الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شبها وأمورا لم يقصدها إبليس ولا غيره . قال الشيخ محيي الدين : ومثل هذا ينسب إلى الشيطان بحكم الأصالة لأنه هو الذي فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق إلا أن يجهلوه في الخواطر ويصدقوها . قال : وقد أعطى الشبان قوة التجسد قال تعالى : وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً [ص : 34] . وكان روحا تجسد على صورة سليمان فإذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول إليه بالوسوسة تجسد له في صورة

....
ويجتنب كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الأنبياء كداود ويوسف عليهما السلام ، مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك في تفسير القرآن
ويقول : قال المفسرون كذا وكذا ، مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم وقالوا في الله تعالى ما قصه علينا في كتابه وكل واعظ ذكر نحو ذلك في مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن في قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها
ويقول : إذا كان مثل الأنبياء وقعوا في مثل ذلك فايش أنا

إنسان مثله فيتخيل العبد أنه إنسان حقيقي ويأتيه بالإغواء من قبل أذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه في معاصي الله تعالى أدناها أن يقول له مثلك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك أنه الفاعل وأنه المقدر فإن رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله ، وقال : أحسن ظنك بالله لأنه لا يؤاخذك فإنك إذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال ، في حال طاعتك وفي حال معاصيك وذلك لأن إبليس يعلم أن المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو أن المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة إبليس ما أوجد الله إبليس انتهى . وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة فراجعه.

(فإن قلت) : فما صورة تناكح الجن ؟

(فالجواب) : صورة تناكحهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الألوان أو من فرن الفخار يدخل بعضه في بعض فليتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون حملهم من ذلك كلقاح النخلة بمجرد الرائحة.

(فإن قلت) : فهل هم قبائل وعشائر كالإنس ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب التاسع من " الفتوحات " : نعم ويقع منه حروب عظيمة ، قال : وبعض الزوابع قد يكون من حربهم فإن الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها أن تخترقها فيؤدي ذلك المنع إلى الدور المشهور في الغبرة في الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم.

(فإن قلت) : فمن أول من سمي من الجن شيطانا ؟

(فالجواب) : هو الحارث فأبلسه الله تعالى أي : طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين بأجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقي منهم على كفره كان شيطانا.

(فإن قلت) : فهل يصح في حق شيطان أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الإنس ويصير

....

فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس في الجنة ، وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيكون مجلسه كله رحمة.

(قلت) : وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو

قوله تعالى : وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران : 159] .

ولا نحو قوله مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ [آل عمران : 152]

وقوله : وَلا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ [المائدة : 13]

فإن العامة إذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بأفعالهم والله تعالى

مؤمنا ؟

(فالجواب) : قد اختلف الناس في ذلك ومبنى خلافهم على ضبط ميم فأسلم فإن بعض الحفاظ ضبطها بالضم أي : فأسلم أنا منه وهو باق على كفره وبعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من أحد إلا وله قرين يأمره بالسوء فقالوا : وأنت يا رسول الله ، قال : نعم ولكن أعانني الله عليه فأسلم وفي بعض طرق الحديث فلا يأمرني إلا بخير فهذه الزيادة تدل على أنه يصح إسلامه في الجملة ، فإن إبليس قد أنظره الله تعالى إلى يوم الدين . يعني : الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح أن يسلم أبدا لأنه لو جاز أن يسلم لتعطل بعض حضرات الأسماء الإلهية وما عصى الله أحد فإنه لا يصح في الوجود كله معصيته من أحد إلا بواسطته إما بنفسه وإما بأعوانه والله أعلم.

(فإن قلت) : فإذا كان إبليس أول من عصى فهو نظير قابيل سواء ؟

(فالجواب) : نعم والأمر كذلك فكما كان قابيل أول الأشقياء من البشر فكذلك كان إبليس أول الأشقياء من الجن ولذلك قال تعالى : إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ [الكهف : 50].

أي : من هذا الصنف المخلوقين الأشقياء.

(فإن قيل) : قد حكى الله تعالى عن إبليس أنه إذا قال للإنسان : اكفر فلما كفر يقول: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ [الحشر : 16] فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطنا ؟

(فالجواب) : لا يدل ذلك على توحيده لأنه أول من سن الشرك في العالم ثم بتقدير صحة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا أنه لحقه شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فإنه لا بد أن يموت على الكفر قطعا فافهم.

(فإن قلت) : إن الكفر الذي أمر به إبليس ليس بشرك فإن الكفر هو تعيين الألوهية لغير من هي له مع عدم وجود إله ثان في عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى إلها آخر فمن أين جاء أن إبليس أول من سن الشرك في العالم.

....

أعلم.

[الباب التاسع والخمسون ومائة في مقام الرسالة البشرية]

وقال في الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط إلا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية إنما يسمى وحيا أو إلهاما ، أو نفثا ، أو إلقاء ، ونحو ذلك قال : والفرق بين النبي والرسول أن النبي إنسان أوحي إليه بشرع خاص به فإن قيل له : بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ [المائدة: 67]

إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء وإما عامة ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وحده سمي بهذا الوجه رسولا وإن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبي وأعني : نبوة التشريع التي ليست للأولياء فعلم أن كل رسول لم يخص بشيء في نفسه مع

(فالجواب) : أن المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان : ذلك لابنه ، ولذلك قال تعالى في آخر الآية : وَذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ [المائدة : 29] . يريد المشركين فإنهم هم الذين لبسوا إيمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان:
. [13وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الظلّم بالشرك أن المراد بالإيمان في قوله تعالى : وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ [الأنعام : 82] الإيمان بتوحيد الله عز وجل ، إذ الشرك لا يقابله إلا التوحيد فعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، ما لم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة من " الفتوحات " ، ثم قال :
ومن هنا ترك بعض العلماء التأويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك إلى الله فمن أعلمه الله بما أراده في كلامه قال به : وإلا كف عن ذلك انتهى.
(فإن قلت) : فهل مجالسة الجان رديئة أو محمودة ؟
(فالجواب) : هي رديئة غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فإن الغالب عليهم الفضول كإنس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحدا جالسهم وحصل لهم أبدا خير وذلك لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع إليه فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس فإنهم اجتمعوا مع فسقة الإنس على الاطلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والخمسين من " الفتوحات " : ما جالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة إذ هم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته . قال : وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان وما يقع في العالم ومن العالم أن ذلك من كرامة الله له وهيهات فإن غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم أن يطلعوه على شيء من خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وذلك معدود من علم السيمياء فما اكتسب هذا منهم إلا العلم الذي ذمته الشرائع قال : ومما جرب أن من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والأخبار انتهى . وقد أطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم.

....

التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف وأطال في ذلك

]الباب الحادي والستون ومائة في المقام الذي بين الصديقية والنبوة وهو مقام القربة[

وقال في الباب الحادي والستين ومائة : قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية ، والنبوة وقال : ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق . قال الشيخ محيي الدين : والحق أن مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة وأطال في ذلك

[الباب الثالث والستون ومائة في معرفة مقام الغني وأسراره]

وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى : ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل : 125] . الآية . اعلم أنه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في حمدهم ولا ثنائهم عليه فإن مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له

المبحث الرابع والعشرون : في أن الله تعالى خالق لأفعال العبد كما هو خالق لذواتهم وأن العباد مكتسبون لا خالقون خلافا للمعتزلة في قولهم : إن العبد يخلق أفعال نفسه.
قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف رحمه الله : وقد كان الأوائل من المعتزلة كواصل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهدهم بإجماع السلف على أنه لا خالق إلا الله تعالى يتحاشون عن إطلاق لفظ الخالق ويكنون بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما رأى أبو علي الجبائي وأصحابه أن معنى الكل واحد وهو المخترع من العدم إلى الوجود تجاسروا على إطلاق لفظ الخالق .
واعلم يا أخي أن مسألة الكسب من أدق مسائل الأصول وأغمضها ولا يزيل إشكالها إلا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون في إدراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك أن أفعال الإنس وجميع الحيوانات وحركاتهم في معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا إنكار لها من أحد ثم إذا رجحنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكما جليا بحيث لا يبقى منا حزازة في الصدر . وها أنا أجلي عليك عرائس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق : كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله يقول : ليس للقدرة الحادثة أثر وإنما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم في عدم التأثير.
وكان الشيخ أبو طاهر القزويني يقول : القضيات العقلية في هذه المسألة ثلاث وهي : إما أن تكون الأفعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد أو مقدورة للخلق على الاستبداد أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالأولتان معلومتان وأما الثالثة وهي أن تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه أن الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهي : إذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهي بالقدرة الأولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث : حالة عدم وحالة وجود وحالة إيجاد وتعلق القدرة الثانية بما في هذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيها وإرادتيهما لوجب أنه إذا منع أحدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال.
بقي أن يقال : إنما يلزم المحال إذا تعلق به القدرتان من وجه واحد أما إذا كان الفعل مضافا إلى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك أن تعلق القدرة القديمة من وجه الإيجاد

....

أن يخلع ثوبا ألبسه الله إياه وأطال في ذلك . ثم قال : فمن لم يكن غني النفس عما بأيدي الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى : أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ [البقرة : 44] .
تنبيها على مقام الكمال لأن الإنسان لا يأمر الناس بشيء إلا إن كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم.

[الباب السادس والستون ومائة في معرفة مقام الحكمة والحكماء]

وقال في الباب السادس والستين ومائة ، في قوله تعالى : وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ [ص : 20] أي آتيناه الحكمة عملا وفصل الخطاب قولا قال ؛ والحكمة هي علم بمعلوم خاص ومن شروطها أنها

وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهذا غير محال .
فيقال : لو جاز ذلك لجاز أن يقع الوجهان في حالتين يعني : كأن يقع الوجود بإيجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال إذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث حتى تصلح للإيجاد والاكتساب كان من أمحل المحال على أن الاكتساب للموجد محال والإيجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري وممن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ أبو طاهر : وإنما اختار الأشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما قال الشاعر:
إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا * فلا رأي للمضطر إلا ركوبها
قال : وقد توجهت على الأشعري ومن تبعه أسئلة أظهرها : إن كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك وإن لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فإن قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن فقال بعضهم: لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون : القدرة الحادثة لها أثر في المقدور وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني واستدل بأن الإنسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع إلى نفس الحركتين من حيث الحركة لأنهما مثلان بل ترجع إلى أمر زائد عليها وهو كون إحداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلو أن يكون تعلق القدرة بأحدهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تأثير فيؤدي إلى نفي التفرقة والإنسان يجد التفرقة بينهما أو يكون تعلق القدرة بأحدهما تعلق تأثير ثم لا يخلو ذلك من أمرين أيضا إما أن تكون راجعة إلى الوجود والحدوث وإما أن تكون راجعة إلى صفة من صفات الوجود فالأول باطل ، لأنه لو أثر في الوجود لأثر في كل موجود فتعين أن التأثير يرجع إلى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند أبي هاشم فإنها لا تؤثر إلا في حال الوجود فقالوا للقاضي : قد أثبت حالا مجهولة لا اسم لها ، ولا معنى فأجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الإفصاح عنه الآن بعبارة وأن التفرقة ترجع إلى اعتقاد

....

تحكم ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمي الرسن الذي يحكم بها الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو النعت ،

[الباب السابع والسبعون ومائة في معرفة مقام المعرفة]

وقال في الباب السابع والسبعين ومائة : ليس من شأن أهل الله أن يتصرفوا بلفظة كن إذا أعطوها فربما يكون ابتلاء ، واختبارا ، وجعلوا بدلها بسم الله في كل فعل أرادوه قال : وإنما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه ببعض أسرار الله في خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها وقال فيه : لم نعرف من الأسماء الإلهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة إلا الاسم الله على خلاف في ذلك لأنه اسم علم لا يفهم منه إلا ذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم

العبد تيسير العقل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى . وتقدم قول الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه لا أثر للقدرة الحادثة وقال خصومه : نفي الأثر عن القدرة يؤدي إلى نفي حقيقة القدرة فإن القدرة فارقت العلم بتأثيره في المقدور ولو أنه كان في عدم التأثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده . وأما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له : هذه الحال هي مقدورة لله تعالى أم ليست بمقدورة فإن لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وإن كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شيء البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ أبو طاهر : وقد غلا أبو المعالي إذ أثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود غير أنه لم يثبت للعبد استقلالا بالإيجاد ما لم يستند إلى سبب آخر ثم سلسل الأسباب في سلسلة الترقي إلى الباري جل وعلا المستقل بالإبداع من غير حاجة إلى سبب وقال في بعض كتبه : إن القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة لأنها من أثرها . وقال في " مدارك العقول " : العبد فاعل على الحقيقة وإن قدرته مؤثرة في إيقاع الفعل ومقدمة عليه ، وقال في موضع آخر منه : نحن نقول : بأن قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلها على شرط الاتصال . وقال في الفطامي : إن القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد في بيع ماله بإذن سيده في البيع قال الشيخ أبو طاهر : وحاصل الأمر أن أبا المعالي كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الأئمة في هذه المسألة العويصة المشكلة فمن تأملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها وملخص الأمر أن من زعم أن لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم أنه مستبد بالعمل فقد أشرك وابتدع وما بقي مورد التكليف إلا ما يجده العبد في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فإن العبد بين طرفي الاضطرار مضطر على الاختيار والله تعالى أعلم هذا أحسن ما وجدته من كلام المتكلمين . وأما كلام الصوفية في هذه المسألة فأكثر من أن يحصى ولكن نشير إلى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف على الحق فيها وزوال اللبس إن شاء الله تعالى فنقول وبالله تعالى التوفيق . ذكر الشيخ الأكبر في الباب الثاني والعشرين من " الفتوحات " : أن صورة مسألة خلق الأفعال صورة لام ألف في حروف الهجاء فإن الرائي لا يدري أي : الفخذين

....

وهذا في مذهب من لا يرى أنه مشتق من شيء ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أوليس بمقصود للمسمى كما إذا سمينا شخصا بيزيد على طريق العلمية وإن كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو في جسمه وعلمه مثلا وإنما سميناه به لنعرفه ونصيح به إذا أردناه فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فإذا قيلت على هذا فهي أعلام وإذا قيلت على طريق المدح فهي أسماء صفات وبهذا ورد جميع الأسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى وأما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وإن كانت فيه رائحة الاشتقاق كما قاله

هو اللام حتى يكون الآخر هو الألف ويسمى هذا الحرف الذي هو لام ألف حرف الالتباس في الأفعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ولكن إن قلت : هو لله صدقت وإن قلت : للمخلوق مع الله صدقت . ولولا ذلك ما صح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا إضافة العمل إليه بنحو قوله : اعملوا ا ه .

وقال الشيخ أيضا في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة : إنما أضاف تعالى الأعمال إلينا لأننا محل الثواب والعقاب وهي لله حقيقة ولكن لما شهدنا الأعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا أضافها تعالى إلينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لأجل الدعوى ثم إذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلها لله تعالى ولم نر إلا حسنا فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لا بد من القيام بالأدب فما كان من حسن شرعا أضفناه إليه خلقا وإلينا محلا وما كان من سئ أضفناه إلينا بإضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة في ذلك المسمى سوءا فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيئاتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى .

وقال أيضا في الباب التاسع والسبعين ومائتين : لولا النسبة بين الرب والمربوب يعني رابطة الاستمداد بالحق ما دل العبد على الرب ولا قبل التخلق بأخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالأمر والنهي وبها بعينها كان المخلوق مكلفا مأمورا منهيا قال فحقق ما نبهناك عليه فإني أظن أنه ما طرق سمعك قط وإن لم تكن كذلك فاتك أدب كثير .

وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين : كنت لم أزل أنفي التجلي الإلهي في الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف إذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح أن يقول تعالى لمن يعلم أنه لا يفعل : افعل إذ لا قدرة له على الفعل وقد ثبت الأمر الإلهي للعبد بالعمل مثل أقيموا الصلاة فلا بد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا وإذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلي في الفعل فهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق في غاية الوضوح يدل على أن القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك وحاصله أن العبد ما صحت له نسبة الفعل إلا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الأرض فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صح أن يكون خليفة ولما قبل التخلق بالأسماء . قال : وهذه الفائدة مما نبهني عليها تلميذي إسماعيل حفظه الله تعالى ولما أفادها لي لم يعرف أحد قدر ما دخل عليّ من السرور انتهى.

....

بعضهم . قال : وأما أسماء الضمائر فإنها تدل على الذات بلا شك وما هي مشتقة من لفظة هو ذا وأنا وأنت ونحن والياء من أني والكاف من أنك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وإما ذا فهي من أسماء الإشارة مثل قوله : ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ [الأنعام : 102] .

وكذلك لفظه ياء المتكلم مثل قوله : فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي [طه : 14] وكذلك لفظه أنت وتاء المخاطب مثل قوله:

كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ [المائدة : 117] ولفظة : نحن ولفظة : أنا مشددة . ولفظة : قوله إِنَّا من قوله : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ [الحجر : 9] وكذلك حرف كاف الخطاب نحو : إِنَّكَ أَنْتَ

وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة : اعلم أنه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصوري بفتحها ما كان للأسباب عين ولا ظهر عندها أثر وأنت تعلم أن استناد العالم أكثره إلى الأسباب فلو لا أن الله تعالى حاضر عندها ما استند إليها مخلوق فإنا لم نشاهد أثرا إلا منها وما عقلناه إلا عندها فمن الناس من قال بها ولا بد ومن الناس من قال عندها ولا بد ونحن من جرى مجرانا من أهل التحقيق يقولون عندها وبها أي : عندها عقلا . وبها شهودا وحسا ، فما طلب الحق تعالى من عباده إلا ما لهم فيه تعمل فلا بد من حقيقة تكون هنا تعطي صحة الإضافة في العمل إليك مع كون عملك خلقا لله وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ (96) [الصافات:
96] أي : وخلق ما تعملون قال : وبعض أهل الإشارة جعلوا ما هنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ فما أضافه تعالى إليك هو عين ما أضافه تعالى إليه لكن مع اختلاف المعنى وما فعل ذلك إلا ليعلمك أن الأمر الواحد له وجوه : فمن حيثما هو عمل هو لك وتجزى به ومن حيثما هو خلق هو لله تعالى ، فلا تغفل عن معرفة هذا فإنه لطيف خفي انتهى.
(قلت) : ونظير ذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام ، تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ [المائدة : 116] لأن المعنى تعلم ما في نفسي التي هي لك ملك ولا أعلم ما في نفسك التي خلقتها ونفختها في النفس في الموضعين مضافة إلى الله تعالى من وجهين : خلقا وإسنادا وإلى العبد إسنادا فقط والله تعالى أعلم . قال الشيخ أيضا في الباب التسعين وأربعمائة : اعلم أن الحق تعالى ما أضاف الفعل إلى العبد إلا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل إلا لله تعالى غير أن من عباد الله من أشهده ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى : فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ [النحل : 36].
فالقسم الذي هداه هو الذي حفظه من دعوى الفعل لنفسه حقيقة وأما القسم الذي لم تحق عليه الضلالة فهو الذي حار ولم يدر وهم القائلون بالكسب وأما من حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الأفعال لهم انتهى . وقال في الباب الأحد وثمانين وأربعمائة : اعلم أن مقام الإحسان هو العمل على شهود الحق تعالى ، في حال العبادة وفي ذلك تنبيه عجيب فإنه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى ، لا هو فإن العبد إنما هو محل لظهور العمل لا غير.

....
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة : 129] فهذه كلها أسماء ضمائر ، وإشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار إليه ومكنى عنه ، وأمثال هذه ومع ذلك فليست أعلاما ولكنها أقوى في الدلالة من الأعلام فإن الأعلام قد تفتقر إلى النعوت وهذه لا افتقار لها قال : وأما لفظة هو فهي أعرف عند أهل الله من الاسم الله في أصل الوضع لأنها تدل على هوية الحق التي لا يعلمها إلا هو وأطال في ذلك .
قلت : وذكر الشيخ أيضا في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة ما نصه اعلم أنه ثم أسماء الهيئة تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب ، والقادر ، والخالق ، والنافع . أو الضار ، والمحيي ، والمميت ، والقاهر ، والمعز ، والمذل . ونحو ذلك وثم أسماء الهيئة لا تطلب العالم

وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة : اعلم أن أعمالنا حقيقة لله وحده وإنما أضافها إلينا ابتلاء واختبارا لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل ندعيها لأنفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة أو نضيفها له فنقف موقف الأدب نظير قوله تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ [محمد : 31] .
فإنه تعالى إنما قال ذلك لينظر هل نضيف إليه تعالى ما أضافه إلى نفسه مع جهلنا بالكيف أم نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع في سوء الأدب انتهى . وقال في الباب السابع عشر وثلاثمائة : ومن أراد أن يعرف حقيقة أن الله تعالى هو الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر في خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق في تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق فيها فالأمر كذلك في صور العالم كله والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فهناك يعرف من أين أتى عليهم فالصغار في ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون أن الله تعالى ما نصب هذا إلا مثلا لعباده ليعلموا أن هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وأن هذه الستارة هي حجاب سر القدر الذي لا يجوز لأحد كشفه وأطال في ذلك .
وقال في الباب الخامس عشر وأربعمائة : مما يدلك على أن أفعال العبد لله حقيقة كونه جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب في حديث : كنت سمعه وبصره ويده ورجله ومعلوم أن العمل ليس هو بجسم الإنسان مما هو جسم حسا وإنما العمل فيه لقواه فما تصرف في باطن العبد إلا الرب وهذا من أسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادّعى المعتزلة أنهم يخلقون أفعال نفوسهم لحجابهم عن شهودهم مقوى قواهم انتهى .
وقال في الباب التسعين وأربعمائة : في قوله تعالى : كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (3) [الصف : 3] . اعلم أن للمقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه عند الله تعالى أكبر المقت إذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما إذا رأى غيره قد عمل بما سمعه منه وأطال في ذلك ، ثم قال : ومعنى الآية بلسان الإشارة : يا أيها الذين آمنوا من وراء حجاب لم تقولون أن الفعل لكم وما هو كذلك فإنه لي فكيف تضيفون إلى أنفسكم ما لا تفعلون حقيقة إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا [الصف : 4] . أي: يقاتلون في سبيله من ينازع الحق في إضافة الأفعال إلى نفسه ويقول : إن الفعل لي كالمعتزلة

....
ولكن تستروح منها نفس من أسماء العالم كالغني ، والعزيز ، والقدوس .
وأمثال هذه الأسماء.
قال : وما وجدنا لله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا فإنه ما ثم اسم إلا على أحد أمرين إما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد وإما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كون تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى أصلا إلا إن كان ذلك في علمه وما استأثر به في غيبه مما لم يبده لنا قال : وسبب ذلك أنه تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم أصلا . لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على

حتى يرجع إلى الحق ويترك النزاع فيضيف الأفعال كلها إلى الله تعالى . وقال في الباب الحادي والستين وثلاثمائة : اعلم أن الإنسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع أن جميع ما يظهر عنا من الأفعال يجوز أن يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر إلا بأيدينا إذ الأعمال أعراض والأعراض لا تظهر إلا في جسم وهذا إن كان صدقا فقد أنف أهل الله أن يصرحوا به وإنما قالوا : الأعمال لله خلقا وللعبد إسنادا مجازا انتهى .
وسمعت أخي الشيخ زين العابدين المرصفي رحمه الله يقول مرارا : اختيار العباد غير مفوض إليهم قطعا وأما قوله تعالى : فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف : 29] . فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى : إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً [الكهف : 29] وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ (96) [الصافات : 96] . لا يقال : إن كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذبهم لأنا نقول الثواب والعقاب إنما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب عليه لصرف الاستطاعة التي تصلح للطاعة إلى المعصية لا على إحداث الاستطاعة انتهى.
(وقال) : الشيخ محيي الدين في باب الوصايا : أنت محل للعمل لا عامل ، ولكن لولاك لما ظهر للعمل صورة لأنه عرض . وقال في " لواقح الأنوار " : أيضا محال من الحكيم أن يقول : امش يا مقعد أو افعل يا من لا يفعل ، فإن الحكمة لا تقتضيه فبقي نسبة الفعل إلى الفاعل ينبغي أن يعرف انتهى.
(وقال) : في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة : اعلم أنه لا أثر لمخلوق في الأعمال التي تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وإنما له فيها حكم لا أثر وأكثر الناس لا يفرقون بين الحكم والأثر ، فإن الله تعالى إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في موادها لأنها لا تقوم بنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الأمر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم في الإيجاد لهذا الممكن وما له فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والأثر إذا تحققته علمت أنه لا أثر للعبد جملة واحدة في الفعل فلماذا يقول : فعلت كذا مع أنه لا أثر له ولذلك يمقت نفسه عند الله إذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا أن ذلك الفعل الذي كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد إن الله تعالى يمقت العبد على نسبة الفعل لنفسه

....

المسمى لكنها أسماء أعلام المعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا هو المسمى بمعانيها والمعاني : هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الأسماء فلله الأسماء الحسنى وليست إلا المعاني لا هذه الألفاظ لأن الألفاظ لا تتصف بالحسن والقبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها ، فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا انتهى .
وذكر أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه اعلم أن الاسم الله بالوضع إنما مسماه ذات الحق تعالى عينها ، الذي بيده ملكوت كل شيء وأطال في ذلك ثم قال : فعلم أن كل اسم إلهي

فإن الله قد أضافه إليه وإنما المراد أن العبد يمقت نفسه ولو أنه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى في ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى : وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً (23) إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً (24) [الكهف : 23 ، 24] . فشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة : إذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة في الملك دون الشركة في الفعل ، لأجل صحة التكليف فإنه لولا أن للعبد شركة في الفعل ما صح تكليفه ، إذ لا بد من شركة العبد في الفعل من خلف حجاب الأسباب فعلم أن من نزه ربه عن الشركة مطلقا فإنه مقام الكمال . وقال في الباب الثاني والسبعين : حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الأعلى ونحوها : فإن الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال : وبهذا القدر الذي هو كأنه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة ولا دليل في العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالأفعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود أسبابها بالأصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل إلا من حيث كونه محلا لها . انتهى . وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى : وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ [الصافات : 96] . أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذي هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له لفظ في القرآن وأثبته ضمير التثنية في القرآن انتهى . وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم : اعلم أنه تعالى لا يصعب عليه شيء طلب إيجاده فإذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان تعويقا من قبله تعالى بمشيئة لا عجزا عن تنفيذه مثاله طلب من أبي جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه إلى ما طلبه منه فالظاهر من أبي جهل أن إبايته ما كانت إلا من حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع إنما كان منه تعالى إذ لم يعطه التوفيق وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ [النحل : 9] فعلم أنه تعالى لو قال للإيمان كن في محل أبي جهل أو خاطبه بالإيمان بلا واسطة لكان الإيمان في محل المخاطب فكونه واجدا إنما هو إذا تعلقت الإرادة بكونه وما عداكن فما هي حضرة الوجدان انتهى . وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الخالق : اعلم أن الخلق خلقان : خلق بتقدم الأمر الإلهي كما في قوله تعالى : أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ [الأعراف:

....

يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ، ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الأسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو إثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن وغيره من الأسماء الإلهية الحسنى وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال : في معرض الحجة على من نسب الألوهية إلى غير الله تعالى : قل سموهم فلو سموهم ما قالوا:
إلا بغير الاسم الله فقد علمت أن الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها وأطال في ذلك فتأمل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك . وقال : ليس في

. [54فإنه قدمه في الذكر وخلق إيجاد وهو الذي يساوق الأمر الإلهي فيكون عين قوله : كن عين قبول الكائن للتكوين فيكون على الأثر فالفاء جواب الأمر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب إلا في الرتبة لا في الأمر الباطن خلاف ما يتوهم من أنه لا يتكون إلا عند الأمر بقوله تعالى له : كن ولولا هذا القول لم يكن . والحق الذي نعتقده أنه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لمعلوم علمه تعالى فما حدث إلا ظهور المكون لعالم الشهادة بعد أن كان غيبا في علم الله تعالى والسلام . وقال في كتاب " لواقح الأنوار " لا يصح لعبد قط عصيان الإرادة الإلهية وإنما يعصي العبد الأمر من خلف حجاب الداعين إلى الله تعالى من الرسل وأتباعهم من العلماء قال تعالى : إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) [النحل : 40] . فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال أمر واجتناب نهي إلا إذا كان الأمر والنهي على لسان الوسائط من الخلق كما إذا قال الرسول أو نائبه للناس : صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع وأما إذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فإنه يقع ولا بد وتأمل قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : " أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ، ولا يقع من بعض الناس شيء من ذلك لتوقف امتثالهم على الإرادة وهي لم ترد لهم امتثال الأمر فكأنه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا بأنفسكم من غير إرادتي وليس من قدرتهم ذلك فكان المتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما إذا تعلق بهم كن الحية الذي هو الأمر الإلهي بلا واسطة فإنه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من أفعال العباد في حين توجه الإذن لهم وليس من شأن الأفعال أن تقوم بنفسها وإلا كانت الصلاة تظهر في غير مصل والجهاد في غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد من ظهورها فيمن ظهرت عنه فإذا ظهر ذلك فيمن ظهرت عنه من المصلي أو المجاهد أو نحوهما نسب الفعل إلى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه أو عدلا ولولا أن العمل نفسه كان محلا للتنعم أو التألم لكان هو أولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لأقرب نسبة إليه وهو العبد الذي هو الآلة قال : ولولا هذه النسبة التي جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قد حافى الخطاب والتكليف ومناهاة للحسن وكان لا يوثق بالحسن في شيء وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس والثمانين ومائتين . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله

....

أسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الإلهي بل ليس في الوجود كله تكرار جملة واحدة . وقال: في حديث إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة قد خرج بذلك ما أخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فإنها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسما لم تقدر على تعيينها من وجه صحيح لأن الأحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء وكل اسم إلهي يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده في كتاب وإن كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي إليه ذلك من الإنكار علينا وأطال في ذلك.

]الباب الثامن والسبعون ومائة في معرفة مقام المحبة[

وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة : معنى حبنا لربنا أن نحب الأشياء من أجله ونبغض الأشياء من أجله ، ليس غير

يقول : العبد محل ظهور الأفعال كالباب الذي يخرج منه الناس فليس الناس متولدين من نفس الباب وإنما ظهر بروزهم منه لا غير إذ الأعضاء الفعالة في الظاهر أبواب للحركات الربانية المستورة إذ الأكوان كلها سترة وهو الفاعل من خلف حجاب بهذا الستر فقوم لا يشعرون بأن الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون ويشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما أضافه الحق تعالى إليه فأخطأوا الشريعة وقوم لا يشهدون ويشعرون وهم الأشعرية منهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة إلا بالكشف.
قال : ولا ينبغي أن يقال : العبد مجبور في عين اختياره وإن كان ذلك القول صحيحا لأن في ذلك سوء أدب ويرجع إلى رائحة إقامة الحجة على الحق جل وعلا ا ه . وسيأتي بسط ذلك في المبحث عقبه . وقال في باب الأسرار من " الفتوحات " : ما طلب الحق تعالى من عباده أن يستعينوا به في عباداتهم وغيرها إلا لينبههم على عجزهم عن الاستقلال بالأفعال وكان الإمام الجنيد رحمه الله تعالى يقول : " إياك أن تقف في حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون عباده فتقع في مهواة من التلف ولا ترى لك من ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفي ذلك هدم للشرائع كلها " انتهى.
(فإن قلت) : فما منشأ الخلاف في مسألة خلق الأفعال بين الفرق.
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين : إن منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا لماذا يرجع ذلك التمكن الذي أعطاه الله تعالى للعبد ووجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع إلى كون القدرة الحادثة لها فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الإرادة المخلوقة فينا فيكون التمكن أثر الإرادة لا أثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبني كون الإنسان مكلفا لعين التمكين الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا أو لكونه مختارا وإن كان على قول بعضهم هو مجبور في اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه صح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى : لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها [الطلاق : 7] فقد أعطاها أمرا وجوديا ولا يقال : أعطاها لا شيء . وقال في الباب الأحد وتسعين وثلاثمائة في قوله تعالى : فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال : 17] . اعلم أن في هذه الآية إثبات القتل والرمي لمن نفاه عنه

....

ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا يقول الله عز وجل ، يوم القيامة لمن ادّعى محبته هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا كما ورد .
وقال في قوله تعالى : قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ [الأنعام : 149] .
في هذه الآية دليل على أن الله تعالى ما كلف عباده إلا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود إلى السماء بلا سبب ، ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول : فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ . وإنما كان يقول : فله أن يفعل ما يريد كما قال : لا يُسْئَلُ عَمَّا

ثم إنه لم يثبت على الإثبات بل أعقب الإثبات نفيا كما أعقب النفي إثباتا بقوله : وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وبقوله : وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة وإيضاح ذلك أن الله تعالى قال : فاقتلوا المشركين فأظهروا أمرا وآمرا ومأمورا في هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات ، قال : ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أي آلة كانت للقتل كما أن القتل وقع في المقتول بآلة ولم نقل فيها إنها القاتلة بل الضارب هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة إلينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة إليه هو فافهم . وقال في باب الأسرار : ما أجهل من قال : إن الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ : فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال : 17] فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد والسيف آلة له تعالى انتهى . وقال في الباب الخمسين : اعلم أن الحق تعالى ما كلفنا إلا بعد أن جعل لنا قدرة نجد أثرها في نفوسنا تعجز عنها العبارة وإذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام في الصلاة وهذه القدرة هي التي أظهرها النفخ الإلهي في الإنسان بواسطة الملك فلو لا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ولا قيل لأحدنا قل وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة : 5] فإن في الاستعانة إثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة في إضافتها الأفعال إلى العبد من وجه واحد بدليل شرعي وأخطأت في إضافتها الأفعال إليه بحكم الاستقلال وصدقت الأشعرية في إضافتها الأفعال إلى الله خلقا وإلى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعي وعقلي انتهى . وقال في الباب الثاني والسبعين من " الفتوحات " : اتفق النظار كلهم على أن خلق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده وإنها ليست من كسب العبد ولا من خلقه فكل إنسان معه اختيار لا أن له من نفسه اختيارا استقلالا . وقال في باب الأسرار : ما أمر الله تعالى عباده بنصره إلا وأعطاهم الاشتراك في أمره فمن قال : لا قدرة لي ويعني : الاقتدار فقد رد الأخبار وكان ممن نكث الحق وتكليف الحق تعالى ، بالميت انتهى . وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الخافض : اعلم أن حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث إلا إذا تنزل إليها فإذا تنزل إليها أضفنا إليه أحكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخفض في المحدث إلا الإتيان ولو كان قرآنا فإنه حدث عندهم بإتيانه ألا

....

يَفْعَلُ [الأنبياء : 23] لمن يقول في نفسه : كيف تأمرنا يا ربنا بأمر لم نقسم لنا فعله أو تنهانا عن شيء وقد قدرته علينا فهذا موضع لا يسأل عما يفعل . وقال : بلغني أن العصفور قال لزوجته:

حين راودها عن نفسها لقد بلغ بي من حبي لك أن لو قلت لي : اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فأرسل سليمان خلفه وقال : ما حملك على هذا القول الذي تعجز عنه فقال : مهلا يا نبي الله إن المحبين إنما يتكلمون غالبا بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل ، فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه.

ترى حروف الخفض هي الخافضة للأسماء مع أنها دونها في الدرجة وعلو الأسماء فيها بقول العبد : أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهي التي تخفض الهاء من الكلمة فأثرت فيما هو أعلى منها الذي هو الأسماء فالعالم وإن كان في مقام الخفض في الرتبة فبعضه لبعض كأدوات الخفض في اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة إلا بها كذلك ما يفعله الحق تعالى ، بواسطة الأسماء الإلهية لا بد من التنزل إلى رتبة الخفض ليتصرف في أدوات الخفض ثم إن حروف الخفض إذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليها منها أسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالإضافة كسائر الأسماء وأبقوا عليه البناء حتى لا يتغير عن صورته لأن الخافض أصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض المعنى غير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى : لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ [الروم : 4] قال : وهكذا يكون الأمر في الطريق التي نحن فيها إذا أثر المحدث في المحدث لم يشركه أثر فيه غير أن يكون محدثا فالحدوث له بمنزلة البناء للحرف والأثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالإجماع إلا الله فهذا فعل الخلق ظهر بصورة فعل الحق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق قال : ومن هذه الحضرة قال تعالى : كنت سمعه الذي يسمع به . وقال : فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ [التوبة : 6] مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ [النساء : 80] مع قوله : ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ [المائدة : 99] ا ه .
وقال في باب الأسرار : ما في الوجود إلا أفعاله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش انتهى .
وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول : في قوله تعالى : ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ [النساء : 79] . أي : إيجادا وإسنادا وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء : 79] ، يعني:
إسنادا لا إيجادا . وتأمل يا أخي قول السيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) [الشعراء : 80] كيف لم يقل وإذا أمرضني بل أضاف المرض إلى نفسه حيث كان مكروها للنفس وأضاف الشفاء إلى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تأمل قول أيوب عليه الصلاة والسلام : وَأَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) [الأنبياء: 83]، ولم يقل : أمسستني الضر فارحمني بل حفظ أدب الخطاب وكذلك تأمل قول الخضر عليه الصلاة والسلام ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها [الكهف : 79] فأضاف العيب إلى نفسه لما كان العيب مكروها وانظر كيف أضاف الأمر المحبوب للنفس إلى الله تعالى في قوله تعالى : فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ

....

(قلت) : وفي هذه عذر عظيم لنحو سيدي عمر بن الفارض وأضرابه في تغزلاتهم فلا ينبغي إقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لأنهم إنما تكلموا بلسان العشق فافهم وسلم تسلم.

[الباب الرابع والثمانون ومائة في معرفة مقام الكرامات]

وقال في الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الأولياء على قسمين : حسية ومعنوية ، فالحسية للعامة والمعنوية للخاصة قال : والحسية هي مثل الكلام على الخاطر والأخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والأخذ من الكون ، والمشي على الماء ، واختراق الهواء ، وطي الأرض والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك ، وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي : حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها

يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما [الكهف : 82].
(فإن قيل) : فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام ، فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما [الكهف : 81] بنون الجمع الشاملة للعبد ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين من " الفتوحات " أن قوله : أردنا تحته أمران : أمر إلى الخير وأمر إلى غيره في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر في ظاهر الأمر في نظر موسى في ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن لنون الجمع هنا وجهين لما فيها من الجمع وجه إلى الخيرية به أضاف الأمر إلى الله تعالى ووجه إلى العيب به أضاف العيب إلى نفسه ولو أن الخطيب الذي قال : ومن يعصهما فقد غوى كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم ، قال له : بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال : ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى [النجم : 3] وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [الأحزاب : 56] . فتأمل يا أخي فيما ذكرناه لك من آداب الأنبياء تجدهم أكثر أدبا من سائر الخلق وقد قالوا لأبي بكر رضي الله تعالى عنه ، لما مرض ألا ندعو لك طبيبا فقال : الطبيب أمرضني فهو وإن شهد الأمر من الله تعالى لم يراع أدب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام ، وأيوب انتهى.
(قلت) : الذي نراه أن السيد أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يقل ما قال من إسناد المرض إلى الله جهلا بمقام الأدب مع الله ، وإنما ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهود مقام الخليل الأعظم عليه الصلاة والسلام ، والله أعلم . وقال في الباب الأحد وعشرين ومائة : اعلم يا أخي أن مسألة خلق الأفعال وتعقل وجه الكسب منها من أصعب المسائل قال : وقد مكثت دهري كله أستشكلها ولم يفتح لي بالحق فيها على ما هو الأمر عليه إلا ليلة تقييدي لهذا الباب في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل أن يفتح علي بذلك يعسر علي تصور الفرق بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم وما كنت أعتقد

....

والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل للناس ، والحسد ، والحقد لهم وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالممر مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهذه كلها هي الكرامات عندنا فإنه لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامة وإيضاح ذلك ، أن الكرامة عند الخواص من لازمها العلم الصحيح والوفاء بالمعهود ومعلوم أن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلهي وليست الدنيا بمحل لخرق العوائد وإنما محل ذلك الدار الآخرة وأطال في ذلك.

[الباب الخامس والثمانون ومائة في معرفة مقام ترك الكرامات]

وقال في الباب الخامس والثمانين

إلا الخبر المحض والآن قد عرفت تحقيق هذه المسألة على القطع الذي لا أشك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاثة فيها وذلك أن الحق تعالى أوقفني بكشف بصيرتي على المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق إذ لم يكن ثم إلا الله وحده ، وقال لي : انظر هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة قلت : لا يا رب ، فقال لي : هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر ولا شيء من الخلق فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب فتتكون عن أمري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر قلت له : يا رب فنفسك إذن خاطبت بقولك : افعل ولا تفعل فقال لي : إذا طالعتك بشيء من علمي فالزم الأدب ولا تحاقق فإن الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له : يا رب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق ومن يتأدب إلا أن خلقت الأدب والمحاققة فإن خلقت المحاققة فلا بد من وقوعها وإن خلقت الأدب فلا بد من وجوده قال:
هو ذاك فاسمع وانصت . قلت : ذلك لك يا رب ، أخلق السمع حتى أسمع والإنصات حتى أنصت وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لي : ما أخلق إلا ما علمت وما علمت إلا ما هو المعلوم عليه حين تعلق به علمي في الأزل ولي الحجة البالغة انتهى . وسيأتي إيضاح ذلك في المبحث بعده إن شاء الله تعالى فتأمل يا أخي في هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فإن القلب المظلم من لازمه الاستشكال في الأمور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسألة وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله : هذه مسألة لا يزول إشكالها في الدنيا وهو معذور في قوله : والله تعالى أعلم.
(خاتمة) : إن قيل : ما المراد بإضافة الخلق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، مع أن عيسى في ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق أن لا يخلق ولا يقدر على ذلك ؟
(فالجواب) : قد صرح القرآن العظيم بأن خلق عيسى عليه الصلاة والسلام ، للطير إنما كان بإذن الله تعالى فكان عيسى في ذلك كالملك الذي يصور الجنين في الرحم بإذن الله ، فكان خلقه عليه الصلاة والسلام ، للطير من جملة العبادة التي يتقرب بها إلى الله تعالى لإذنه تعالى له في ذلك قال تعالى : أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ [فاطر: 40].
قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة في تفسير هذه الآية : اعلم أن

....

ومائة : اعلم أن ميزان الشرع الموضوعة في الأرض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكور مع وجود عقل التكليف أنكرنا عليه ذلك فإن غلب عليه الحال سلم له حاله ما لم يعارض نصا أو إجماعا ،
وأما مخالفته لما طريقهم الفهم فلا قال: فإن ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود ، ولا بد ، ولا يعصمه من إقامة الحد احتمال أن يكون كأهل بدر لأن المؤاخذة إنما سقطت عن أهل بدر في الدار الآخرة
ومن قيل له : افعل ما شئت فقد غفرت لك يقتضي أن ذلك الفعل ذنب ولذلك قال : غفرت لك دون أسقطت عنك الحدود فعلم أن القاضي الذي يقيم الحد على هذا

لفظة ما عامة لأنها لفظة تطلق على كل شيء ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع إليه في هذا الفن فإن بعض المنتحلين للفن يقولون : إن لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع ما لا يعقل جمع من يعقل وإطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى في هذا الخطاب وإن كان يعقل لأنه لا يقدر يخلق شيئا استقلالا ، قال : وقول سيبويه أولى والسلام . وتقدم قوله تعالى للشيخ قبيل الخاتمة خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر إلى آخره وهذا أمر لا إشكال فيه والله تعالى أعلم.

(فإن قيل) : فإذا أعطى الحق تعالى بعض خواصه في هذه الدار حرف كن هل يتصرف بها أم الأدب تركه ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة : إن من أدب أهل الله تعالى إذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن في هذه الدار لا يتصرفون بها لأن محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا.

(فإن قيل) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق أدبا وقد استعملها في بعض الغزوات.

(فالجواب) : إنما استعملها صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك بحضرة أصحابه بيانا للجواز ولأنه كان مأذونا له في إظهار المعجزات وهذه المسألة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم : " كن أبا ذر " فكان أبا ذر وقال لعسيب النخل : كن سيفا فكان سيفا.

(فإن قلت) : فهل يصح لأحد من الخلق أنه يخلق إنسانا بإذن الله تعالى أم غاية أمر الخلق أن يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام ، في خلقه الخفاش ؟

(فالجواب) : أن هذا السؤال أورده الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة ولفظه : إذا خلق الإنسان بإذن الله تعالى إنسانا لو فرض فهل هو إنسان أو حيوان في صورة جسم إنسان لأن الله تعالى أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن

....

الشخص مأجور ، وهي بعينها واقعة الحلاج وأطال في ذلك

[الباب السادس والثمانون ومائة في معرفة مقام خرق العادات]

وقال في الباب السادس والثمانين ومائة : لا يكون خرق العادة إلا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال : وهذا هو الكيد المتين قال:

واعلم أن خرق العوائد على وجوه منها : ما يكون عن قوى نفسية فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالفطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ، ومنها ما يكون عن نظم وحرف بطوالع وذلك لأهل الرصد ومنها ما يكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الأمر وهذه كلها

صورة إنسان التي هي أكمل الصور ولكن قد ذكر لنا في الفلاحة النبطية أن بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المني الإنساني بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان إنسانا بالصورة الآدمية وأقام سنة يفتح عينه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيئا فعاش سنة ومات قال الشيخ : فلا أدري أكان إنسانا حكمه حكم أخرس أو كان حيوانا في صورة إنسان انتهى والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس والعشرون : في بيان أن لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لأعمالهم

فلو قدر أن عبدا قال : يا رب كيف تؤاخذني بما قدرته عليّ قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى : وهل تعلق علمي بك إلا بما أنت عليه ولا افتتاح لعلمي ولا لمعلومي . قال تعالى:
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ [محمد : 31] . فأتى بمثل هذه الآية لإقامة الحجة على عباده مع أنه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك في علمه تعالى ولكن ما كل أحد يبلغ إلى ذوق هذا العلم الحجج إنما تقام في الأصل على المحجوبين لا على أهل الكشف لعدم نزاعهم للحق تعالى في شيء أضافه الحق تعالى إليه أو إليهم فيجب على العبد أن يقيم الحجة لله على نفسه إيمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لأنه لا يجري على العبد إلا ما كان هو عليه في العلم الإلهي فما فعل تعالى بالعبد إلا ما كان في علمه تعالى وما فوق إقامة الحجة هو موضع لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء : 23].
(فإن قيل) : فما وجه كونهم يسألون دون تعالى ؟
(فالجواب) : إنما كانوا يسألون لأنه تعالى إذا أطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التي كانوا عليها في علمه تعالى الذي لا افتتاح له تحققوا حينئذ أن علمه تعالى ما تعلق بهم إلا بحسب ما هم عليه وأنه تعالى ما حكم فيهم إلا بما كانوا عليه أنه خالق بالاختيار لا بالذات فافهم . وإياك والغلط وقد حكى عبد الله بن سلام شكا نبي من الأنبياء بعض ما أصابه من المكروه إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه كم تشكوني ولست بأهل ذم هكذا بدأ شأنك في

....

تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وإنما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان

[الباب السابع والثمانون ومائة في معرفة مقام المعجزة]

وقال في الباب السابع والثمانين ومائة : اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لولي ، فالجمهور أجازوا ذلك إلا الأستاذ أبا إسحاق الأسفراييني فإنه منع من ذلك قال : وهو الصحيح عندنا إلا أنا نشترط أمرا لم يذكره الأستاذ وهو أن نقول : إلا إن أقام الولي بذلك الأمر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي على ما قلناه ولو تنبه لذلك الأستاذ لقال به ولم ينكره فإنه ما خرج عن بابه قال : وهذا الذي

علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك إلى آخر ما ورد فعلم أن كل من أطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيي الدين في الجواب ثم قال : وأكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل يأخذونها على وجه الإيمان والتسليم ونحن وأمثالنا نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن أين أتى بها الحق تعالى واعلم أن من علامة من يأخذ الحجة على وجه الإيمان أن لا يتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول : لو أن الحق تعالى مكنني من الاحتجاج حين يسألني عن ذلك لقلت له : يا رب أنت فعلت بي ذلك ولكنك لا تسأل عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع إلا من جاهل بأحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد أن يقول لسيده : لا حجة لك عليّ ولو بقلبه فتأمل في ذلك وقد قال الشيخ في الباب السابع والخمسين وأربعمائة في تفسير قوله تعالى : قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ [الأنعام: 149] .
(فإن قيل) : ما وجه كون حجة الله تعالى على العبد بالغة ؟
(فالجواب) : وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وتميز الحق تعالى إنما هو برتبة الفاعلية إذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيئا من الأمور إلا وهو محكوم عليه بأنه يقوله:
وكان لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل ما تعلق علمي بك حال علمك الشخصي وأنت في عالم الغيب عن هذا العالم إلا على ما أنت عليه فإني ما أبرزتك إلى الوجود إلا على قدر ما قبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ أن ذلك هو الحق وهناك تندحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى أن كل واحد لله تعالى عليه الحجة ما هي عين ما يقام على عبد آخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها تعالى على عباده قال تعالى : وَهُوَ الْقاهِرُ . يعني: بالحجة فَوْقَ عِبادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [الأنعام : 18] أي : حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه ، فلو لا إطلاق التكليف ما كان خصما ولا عمل لنا معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى عباده ليطلب منهم النصف انتهى.
فليتأمل ويحرر ما فيه فإنه منزع دقيق وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة في قوله تعالى : قُلْ

....
ذهب إليه الأستاذ هو الذي يعطيه النظر العقلي إلا أن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما إن أطلقه فلا سبيل إلى ما قال له الأستاذ انتهى.

[الباب الثامن والثمانون ومائة في معرفة مقام الرؤيا وهي المبشرات]

وقال في الباب الثامن والثمانين ومائة في حديث " إن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها ، فإذا حدث بها وقعت " . اعلم أن لله تعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره ، وصور ما يحدث من تلك الصور من الأكون فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة ، أو فناء ، أو قوة إدراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته عن إدراك ما بيد هذا الملك من

فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ [الأنعام : 149] . اعلم أن هذه الآية دليلا على أنه تعالى ما كلف عباده إلا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود إلى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو أنه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وإنما كان يقول : فله أن يفعل ما يريد كما قال : لا يسأل عما يفعل يعني في أصل القسمة الأزلية فهذا موضع يسأل عما يفعل لفقد من كان هناك يسأل الحق تعالى انتهى .

وسيأتي أوائل المبحث التاسع والعشرين نظم بديع لبعض اليهود في تصوير وجه مخالفة العبد للقدرة الإلهية وإنما ذلك غير ممكن فراجعه . وقال الشيخ في باب الأسرار : من احتج عليك بما سبق في علم الحق فقد حاجك بالحق لكنها حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها إن عدل الشرع من مذهبها فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسألة لا يكون إلا جهارا ولا يتكلم بها إلا إشعارا مع أنه لو جهر بها لكانت علما ونفخت فيهما وأورثت في الفؤاد كلما دونه تجز القمم لما تؤدي إليه من درس الطريق الأهم الذي عليه جمع الأمم وإن كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم ، فصح قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44) [يونس : 44] .

وإيضاح ذلك لا يذكر إلا مشافهة لأهله فإنه من علوم سر القدر والكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله تعالى أعلم . وقال الشيخ في كتاب " لواقح الأنوار " : لو أن عبدا قال لربه : يا رب كيف تؤاخذني على أمر قدرته عليّ قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى أما أنت محل لجريان أقداري فلا يسعه إلا أن يقول نعم يا رب أنا محل لجريان أقدارك فإذا قال العبد ذلك قال له الحق : فإذن قد ذهب اعتراضك عليّ فإن شئت جعلتك محلا للثواب وإن شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب ، وإن قال العبد مذهب المعتزلة قلنا له:

فحينئذ يقام عليك ميزان العدل في قوله تعالى : لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ [البقرة : 286] انتهى . فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف ا ه.

(قلت) : وقد بلغنا أن إبليس قال : يا رب كيف تقدر على عدم السجود لآدم ثم تؤاخذني به فقال جلّ وعلامتي علمت إني قدرت عليك الإباية عن السجود بعد وقوع الإباية منك أو قبلها فقال : بعدها فقال له الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر حكمه حكم مكيدة الفخ الذي

....

الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه وذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الإذن الإلهي ما يشاء الحق أن يريه لهذا النائم ، أو الغائب ، أو الفاني من إدراك المعاني متجسدة ونحو ذلك ، فيرى الحق في صورة وأطال في ذلك .

ثم قال : فعلم أن كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزينا من شيطان إلى خيال العابر لها ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يري أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من

ينصب للطير وهو اللولب المدفون في التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الأرض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدي له وإنما يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو أنه عرف المكيدة ما لقط الحبة أبد فهكذا ابن آدم لا يقع في معصية إلا هو غافل عن شهود المكيدة والمؤاخذة ثم إذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فإذا كان نفس إبليس وقع ولم يدر بذلك الأمر الذي كان فيه هلاكه إلا بعد الوقوع فكيف بغيره . وكذلك بلغنا أن إبليس سأل في الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له صلى الله عليه وسلم ، بشرط أن يصدقه وحفت به الملائكة وهو في حال الزلة والصغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد إن الله خلقك للهداية وما بيدك منها شيء وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية لنفسي ولا لغيري شيء وأنزل الله تصديق ذلك إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ [القصص : 56] والله تعالى أعلم وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تحتج بأن إبليس أوقعك في المعصية من غير ميل منك سابق فإن الله تعالى قد حكى عن إبليس أنه يتبرأ في خطبته في النار ممن أطاعه في دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه الكذوب ويبين في تلك الخطبة جهل أهل المعاصي ويقول في آخرها : فلا تلوموني ولوموا أنفسكم فإني ما أغويتكم بوسوستي إلا بعد أن ملتم بنفوسكم إلى فعل ما نهاكم الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان قبل أن تميلوا فلا تلوموني ولوموا أنفسكم من حيث ملتم قبل وسوستي فإن نفسكم كلسان الميزان الذي في الفلك وأنا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان في فكها لم يخرج فأنتم محفوظون مني فإذا خرج لسان الميزان إلى جانب معصية خبث ، فنفذت إرادتكم بالوقوع فأنا تبع لكم وهناك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا إبليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له في ذلك الموضع ويتضح لهم أن إبليس لم يوقعهم في ذلك مستقلا وإنما أوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لإبليس عليهم كما أقاموا الحجة عليهم بالنظر للأقدار الإلهية وأكثر من ذلك لا يقال.

قلت : فحاصل هذا المبحث أن العبد هو الذي ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى : وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل : 118] .

فإنه تعالى لا يخبر إلا بالواقع ولما علم أهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على أنفسهم فنظروا بالكشف

....

الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه ، فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الأعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال : وإنما جعلها في صورة طائر لأنه يقال : طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى : طائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس : 19] .

أي: حظكم ، ونصيبكم معكم من الخير ، والشر ، وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهي عين الطائر فإذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لأنه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها وتتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال إما عرض أو جوهر وإما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين

الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هي معلوم علم الله تعالى ، وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه وإذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا شيئا ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذي قررناه ما وقعوا في قولهم : إن العبد يخلق أفعال نفسه فإنهم رأوا بعقولهم أنهم إذا جعلوا الفعل لله وحده خلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من إضافة ذلك إلى الحق قالوا : جعلنا أن العبد يخلق أفعال نفسه أخف من نسبة الظلم إلى الحق من باب الإضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فإن مثل الإمام الزمخشري لا يعتقد أنه يخلق أفعال نفسه حقيقة أبدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم إن القول في جزاء الأعمال يوم القيامة كالقول في الأعمال نفسه فلو قال قائل لله : لم تعذبني على ما ليس من خلقي لقال له الحق تعالى:
وهل تعلق علمي بك إلا معاقبا على أعمالك . فلا يسع العبد إلا أن يقول : نعم ما تعلق علمك بي إلا معاقبا وهناك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذي ذكرته لم أر له ذائقا من أهل عصري وغاية أمرهم أن أحدهم يقيم الحجة على نفسه أدبا فقط من باب قولهم لا بد تقدر أن تعصها قبلها ، فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما يستشهد بقول الشاعر:
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له * إياك إياك أن تبتل بالماء
ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة إقامة الحجة على الله تعالى ، فعلم أن الجبرية وغيرهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه إلا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو أنهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قديما في العلم الإلهي لأقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتأمل فإنه محل يتفلت من الذهن والله تعالى أعلم.
المبحث السادس والعشرون : في بيان أن أحدا من الإنس والجن لا يخرج عن التكليف ما دام عقله ثابتا ولو بلغ أقصى درجات القرب على ما سيأتي بيانه
اعلم يا أخي أن من المحال رفع التحجير عن كل عاقل ما بقيت الدنيا ولولا ذلك لكان

....

صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين وأطال في ذلك ثم قال : وإنما كان صلى الله عليه وسلم ، إذا أصبح يقول لأصحابه : " هل رأى أحد منكم رؤيا " . لأن الرؤيا من أجزاء النبوة لأنها مبتدأ الوحي فكان صلى الله عليه وسلم ، يحب أن يشهدها في أمته والناس في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء في هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع في النوم أو في الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به رأسا وقالوا بالمنامات : يريد هؤلاء أن يدركوا مدارك الصالحين ويستهزئون بالرائي إذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها قال : واعلم أن محل الرؤيا النشأة العنصرية فليس للملك رؤيا وذلك لأن مكان

كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لأنه حينئذ لا يرى فاعلا إلا الحق وحده ولا قائل بذلك من أهل السنة والجماعة ، وقول بعض العارفين : أن السالك يصل إلى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير يمل منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب لفعله قبل ذلك وقد مكثت أنا في هذا المقام لا أتكلف لأشق العبادات ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا أنوي بعبادة إلا بمشقة وكلفة كأني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد الذي كلفنا بها فيها ، وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من الغي ودخوله وذلك أني رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) [الشرح : 7] أي إذا فرغت من عمل متعب فانصب في عمل آخر أي : متعب وهذا أمر لا يذوقه إلا من سلك الطريق فأين الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالإقبال على الله تعالى في كل نفس . واعلم يا أخي أن من عباد الله من لا يصلي الصلوات الخمس إلا بمكة ومنهم من لا يصليها إلا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها إلا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها إلا بجبل " ق " ومنهم من لا يصليها إلا في قبة أرين ومنهم من لا يصليها إلا فوق سد إسكندر ومنهم من لا يصليها إلا على جبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما لأن الناس بمثل ذلك الفقير ويقولون : إنه تارك للصلاة وهو خطأ ولأهل هذا المقام أمارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا أو كسلا وقد قال لي مرة سيدي عبد القادر الدشطوطي : ولم تقول أهل مصر عبد القادر ما يصلي شيئا ونحن والله لا نقطع الصلاة ولكن لنا أماكن نصلي فيها فقلت ذلك لسيدي محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه فقال : صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلي فيها.

(وأخبرني) : الشيخ محمد أيضا : أن سيدي إبراهيم المتبولي ما رئي قط يصلي الظهر في مصر أبدا حتى كان بعض الناس يقول : كأن الله لم يفرض الظهر على إبراهيم والحال أنه كان يصليه في الجامع الأبيض برملة لد.

(وكذلك) : كان سيدي علي الخواص ، فكان يصلي في الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوي رحمه الله يقول له : يا شيخ الظهر فرض عليك فيسكت الشيخ.

....

الرؤيا ما تحت مقعر فلك القمر خاصة لو قدر أن شخصا خرج من مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك رؤيا لأنه لا يقوم به صفة النوم وأطال في ذلك.

(قلت) : ذكر الشيخ شروطا فيمن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الباب التاسع عشر وأربعمائة وكذلك في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة والباب الأربعين وخمسمائة ، ما له تعلق برؤية الله ورؤية رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذكر في الرؤيا والمبشرات ، وأن الرؤيا أعم والمبشرات أخص فإن الإنسان قد يرى ما يحدث به نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه ولو لم يكن ذلك أثر فيمن رآها

(وأخبرني) الشيخ يوسف الكردي : أنه صلى مع سيدي إبراهيم الظهر في الجامع الأبيض مرارا قال : ورأيت الذي يؤم فيه ، وهو شاب أمرد نحيف البدن أصفر اللون كأن لونه الزعفران انتهى . وقد حضرت أنا صلاة الظهر عند سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله فلما سمع الأذان اضطجع وقال : غطوني بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة أحدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يغلق باب حانوته بعد أذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه . وبالجملة فأرباب الأحوال ينبغي التسليم لهم وأما العارفون الذين هم قدوة للناس يجب عليهم حفظ ظاهرهم وإلا عدم الناس بهم النفع ، فعلم أن الله تعالى لا يحرم شيئا أو يوجبه على ألسنة رسله ثم يبيحه لأحد من أوليائه أبدا لأن الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة إلا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين أنه لا يجوز لولي قط المبادرة إلى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما أنه لا يجوز لمن كشف له أنه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان أن يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لأن الله تعالى ما شرع له الفطر إلا مع التلبس بالمرض أو غيره من الأعذار قال : وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل.
(فإن قيل) : فإذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الإقدام عليه ؟
(فالجواب) : لا يجوز له على أن الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وإن كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ في باب أسرار الصوم من " الفتوحات " . ويؤيد ما ذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة أهل بدر وما يدريك أن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال : افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فإنه لم يقل قد أبحت لكم وإنما قال : فقد غفرت لكم يعني : ذلك الذنب فأبقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد إلا على ذنب فافهم ، وقد سئل القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون : بإسقاط التكاليف ويزعمون أن التكاليف إنما كانت وسيلة إلى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه : صدقوا في

....

لنفسه أو رؤيت له ما أثبت الشارع لذلك الخوف من بلاء وهو أمر صاحب الرؤيا المفزعة أن يتفل عن يساره ثلاثا ويستعيذ بالله من شر ما رأى فإنها لا تضره ثم يتحول عن شقه الذي كان نائما عليه حين الرؤيا إلى شقه الآخر فإنها تتحول بتحولة ولا تضره وذلك كما يحول الإنسان رداءه في الاستقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله أعلم

[الباب الثامن والتسعون ومائة في معرفة النفس بفتح الفاء]

وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في حديث : " إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن " . المراد بالنفس هو العماء الذي هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السماوات والأرض وما بينهما وليس هو الهواء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفة العماء الذي كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل أن يخلق الخلق : " ليس تحته هواء وليس فوقه هواء " . يعني : أن له صفة الفوق ، والتحت ، أما الفوق فمن كون الحق

الوصول ولكن إلى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولو أني بقيت ألف عام ما نقصت من أورادي شيئا إلا بعذر شرعي انتهى . وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين : أول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز إلى حين يبلغ الحلم قال : وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبي في غير زمان تكليفه فلو قتل أحدا لم يقم عليه حد وإنما يحبس إلى أن يبلغ ويقتل بما قتل في صباه إلا أن يعفو ولي الدم فقد آخذه بما لم يفعله في زمان تكليفه وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن من حكم إنفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به إلا الخواص وجود التكليف وهو أول العذاب فإن به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسيا مؤلما وهو عقوبة ما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا من الأفعال التي تطرأ بين الصبيان من الأذى والشتم والضرب عن طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له حتى الحج ولوليه الذي حج به أجر المعونة التي لا يقدر الصبي على فعلها انتهى . وقد سبق في مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبي وإنفاذ الوعيد في حق البريء فراجعه . وقال الشيخ في الكلام على صلاة التطوع من " الفتوحات " الذي أقول به : إن من غلب عليه حال أو كان مجنونا أو صبيا فهو تحت خطاب الشارع خلافا لبعضهم وذلك لأنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف يخرج عن حكم الشرع بالكلية فإن الشارع قد أباح للصبي والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال : زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالإباحة وهي حكم شرعي فعلى هذا فما خرج عن حكم الشرع وأحكام الشرع مبنية على الأحوال لا على الأعيان انتهى.

(فإن قلت) : فما حكم البهاليل والمجاذيب ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائتين : أن كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فإنه يجب عليه معانقة الأدب ، والفرق أن من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات في حالة شهود ونعت استقامة لأن ذهاب عقله إنما هو من أمر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ، ينال جميع ما يطلبه حكم

....

نسب إلى نفسه أنه فيه وأما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان العماء هواء لكان مخلوقا والحديث أثبت أن العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته . وقال في قوله تعالى : أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ [النور : 43] فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ [الروم : 48] . اعلم أن السحاب إنما يثقله الماء فإذا أثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما يصعد بما فيه من الحرارة فإذا أثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلا فحك وجه الأرض فتقوت الحرارة في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود إلى الركن الأعظم فوجد السحاب متراكما فمنعه من العود فكاثفه فاشتعل الهواء

الحيوان ، ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كذا يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفي القبر انتهى.
(فإن قلت) : فلم سمي المجذوب مجذوبا ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر ومائتين من " الفتوحات " : أنه إنما سمي مجذوبا لجذب الحق تعالى له وأخذه بأعطافه ولولا أنه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى أنه نقله إلى ما هو أحلى وألذ فإن أحوال المجاذيب في لذاتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية في غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هي أعلى وأجل.
(فإن قلت) : هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب إلى موته أم تزول ؟
(فالجواب) : تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيي الدين : وكل جذب لا يمنح صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فتح.
(فإن قلت) : فما الفرق بين المجاذيب والمجانين ؟
(فالجواب) : ما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين : أن الفرق بينهما هو أن المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن أمر كوني من غذاء أو جوع أو فزع ، ونحو ذلك وأما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلي الإلهي الذي جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم مخبوءة عند الحق تعالى منعمة بشهودة عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول سمي هؤلاء عقلاء المجانين أي : المستورين عن تدبير عقولهم قال : والمجاذيب على ثلاثة أقسام:
(الأول) : من يكون وارده من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه يصرفه الحال ولا تدبير له في نفسه وكان أبو عقال المغربي من أهل

....
فخلق الله من تلك الشعلة ملكا فسماه برقا فأضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقا وبقي العين كونا يسبح الله ثم يصدع الوجه الذي يلي الأرض من السحاب فإذا مازجه كان كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك فكل برق لا بد أن الرعد يعقبه لأن الهواء يصعد مشتعلا فيخلقه الله ملكا يسميه برقا وبعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد فيسبح بحمد ربه لما أوجده وأطال في ذلك ثم قال : وقد خلق الله ملك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء ، وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد يسبحه وفي ذلك الوقت يوجده

"275"
هذا المقام.

(الثاني) : من يمسك عليه عقله في حضرة الله تعالى ويبقي عليه عقل حواسه فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويتناول العيش الطبيعي كسائر الحيوانات.
(الثالث) : من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال ورجع إلى نفسه بعقله فهو يدبر أمره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرف عن رؤية وتدبير مثل كل إنسان وذلك هو الكامل من الأولياء وأطال في ذلك ثم قال : واعلم أن أكبر من جذبه الحق تعالى إلى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولولا أن الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الأمة لذهب بعقولهم لتعظيم ما شاهدوه من جلال الله وعظمته فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً [الأعراف : 143] وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا جاءه الوحي ونزل به الروح الأمين على قلبه يؤخذ عن حسه ويسجي بثوبه ويرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ما جاء به الملك فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين ومعلوم أن مواجيده صلى الله عليه وسلم ، التي كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة بيقين من نزول ملك أو وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستندا لذلك الهول فعلم أنه لولا أن الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم ، ما رد الله عليهم عقولهم فلذلك أعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فإن هناك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين في كل عصر فافهم . وعلم أيضا أن ما ثم وارد يرد على قلب أحد من الخواص وقد غلط في ذلك بعض أهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولي والنبي وقالوا : النبي يصرف الأحوال عنه والولي تصرفه الأحوال فجعلوا الأنبياء مالكين أحوالهم والأولياء مملوكين تحت أحوالهم والحق ما ذكرناه من أن الرسل يؤخذون عن إحساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولي صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لا يحس بجوع ، ولا عطش ، ولا حر ، ولا برد . بل ربما ذهب عمره كله كلمحة بارق . واعلم أن حاله أيام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التي جذبه الحق تعالى عليها فإن جذبه في حال قبض فعمره كله قبض وإن جذبه في حال بسط فعمره كله بسط وضحك أو تبسم وإن جذبه في حال كلام دنيوي ، فكذلك أو أخرى ، فكذلك ، حتى إني رأيت بعض القضاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول : لاحقا ولا

....

الله فعينه نفس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الأذناب قال : وحقيقة الرعد تنشأ من هبوب الهواء فتصدع أسفل السحاب إذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب إذا شق فليتأمل ، ويحرر . وقال : أرجى آية للمشرك وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ [المؤمنون : 117] فمن نظر في الدلائل جهد الطاقة فأداه ذلك إلى تخيل شبهة أنها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال : والمراد بالبرهان هنا في زعم الناظر وإلا فمن المحال أن يكون ثم دليل في نفس الأمر على إله آخر ، فلم يبق إلا أن تظهر الشبهة بصورة برهان فيعتقد أنها البرهان وليس

استحقاقا ، ولا دعوى ، ولا طلبا . إلى آخره ورأيت بعض النحاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول : باب النعت النعت تابع المنعوت في نصبه وخفضه إلى آخره فتأمل في هذا البحث فإنك لا تجده مجموعا في كتاب والله يتولى هداك.

المبحث السابع والعشرون : في بيان أن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولا يقال إنها بالحكمة

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لا يصح أن يكون محكوما عليه لأنه تعالى أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ [هود : 45] فعلم أنه لا ينبغي أن يعلل أفعال الحق بالحكمة.

وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين وثلاثمائة في قوله تعالى : وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ [الحجر : 85] . الباء في قوله : بالحق بمعنى اللام أي:

للحق قال : وهي عين اللام في قوله تعالى : وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: 56] . فإن الله تعالى لا يخلق شيئا بشيء في الغالب وإنما يخلق شيئا عند شيء وعلم أيضا أنه تعالى إذا أخبر أنه خلق شيئا بشيء فتلك اللام لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة إذ خلقه تعالى لا يعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى . وعلم أيضا أنه تعالى إن أنعم فنعم فذلك فضله وإن أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال:

هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثم سواه.

(فإن قيل) : فما معنى قوله تعالى في الحديث القدسي : ولا أبالي ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة أن معناه : رحمتي سبقت غضبي في حق أهل الجنة وحقت كلمتي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [هود : 119] ويصح أن يكون سبق الرحمة أيضا في حق المشركين من حيث رحمة الإيجاد من العدم إذ هي سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بعصيانهم أيام التكليف فلذلك كان تعالى لا يبالي بالفريقين ، واعلم أن الاسم الرب مع أهل الجنة لأنها دار أنس وجمال وتنزل إلهي لطيف

....

في قوته أكثر من هذا وأطال في ذلك بنحو ثلاثة أوراق . ثم قال : وإنما نكر إلها لأنه لم يكن ثم إذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على أن من ادعى مع الله إلها آخر فقد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم لأنه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق إلا من له الوجود المحقق وأطال في ذلك.

(قلت) : وهذا الكلام من أقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم إنه لا يتمشى إلا على مذهب من يقول إن المخطىء في الأصول لا وزر عليه كما لو أخطأ في الفروع وهو

والاسم الجبار مع أهل النار لأنها دار جلال وجبروت وقهر فلا يزال هذان الاسمان مع أهل الدارين أبد الآبدين ودهر الداهرين.

(فإن قلت) : فهل يتجلّى الحق لأهل النار إلا بالجلال الصرف أم بالجلال الممزوج كما في دار الدنيا ؟

(فالجواب) : لا يتجلّى الحق تعالى لأهل النار إلا بالجلال الصرف لفقد الرحمة بخلاف الدنيا فإنه يتجلّى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق.

(فإن قلت) : فإذا ليس المراد بعدم المبالاة بأهل النار ما يتبادر إلى الأفهام من عدم التهمم بأمرهم.

(فالجواب) : وهو كذلك خلاف ما يفهمه من لا معرفة له بالحقائق لأنه لولا المبالاة بأمرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدي عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والتهمم بأمرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللأمور والأحكام مواطن إذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه.

(فإن قلت) : فإذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الإمام أبي القاسم بن قسي: لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله ؟

(فالجواب) : إن معناه أن كلا من النعتين ليس محلا لحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى أنه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وإنما يحكم فيهم بفضله ولا يقال في هذا إنه حكم فضله في عدله ، إذ محل حكم الصفة إنما هو في المفضول عليه أو المعدول عنه فعلى هذا يجب تأويل كلام ابن قسي فإنه هو اللائق بمقامه فإنه كان من الراسخين والله تعالى أعلم.

المبحث الثامن والعشرون : في بيان أنه لا رازق إلا الله تعالى

خلافا للمعتزلة في قولهم : من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له

....

مذهب بعضهم خلافا للجمهور وقال : إذا تلوت القرآن فاعلم عمن تترجم فإن الله تعالى تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الأول قوله : لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا [التوبة : 40] ومثال الثاني : قوله عن فرعون يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً [غافر : 36] فإنه إنما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الأمور إذ وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظا أو معنى كل لسان بما هو عليه فقول الله : وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ

بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مأوى . وليس في ذلك دليل لهم لأن المراد به إنما هو عدم تسهيل الرزق لا منع الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ، قال أهل السنة : ورزق العبد هو ما ينتفع به في التغذي وغيره ولو كان حراما بغصب أو سرقة أو نحوهما . وقالت المعتزلة : ليس الحرام برزق حملا للرزق على الملك ، والجواب لا وجه للحمل عليه لأن من الدواب ما لا يملك والله تعالى رازقها وعندهم أن العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم أيضا أنه لا يكون رزق الله تعالى إلا حلالا لاستناده إلى الله تعالى في الجملة وما أسند إليه من حيث انتفاع عباده به يصح أن يكون حراما يعاقبون عليه وقال أهل السنة لا قبح بالنسبة إليه تعالى فإنه تعالى فعال لما يريد وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسبابه . قال أهل السنة : ويلزم المعتزلة أن المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو مخالف لقوله تعالى : وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها [هود : 6] . ولا يترك تعالى قط ، ما أخبرنا أنه عليه وإن كان لا يجب عليه شيء لإطلاق حضرته وما أوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم أشياء في نحو حديث:
إني حرمت الظلم على نفسي إلا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا بأخلاقه تعالى وإلا فالحق أن جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاستناده إلى الله تعالى في الجملة أي : لأن الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند إلى الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وقال بعضهم : الذي يظهر لي أن خطأ الفرق الإسلامية كله خطأ إضافي لا مطلق ويحتمل أن يكون أكابر المعتزلة ما نفوا إضافة الرزق الحرام إلى الله تعالى إلا من باب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب أنه لا يقال : سبحان خالق الخنازير وإن كان تعالى خالقا لها فالمعتزلة يعتقدون أن الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشري وفي الحديث : والخير كله في يديك والشر ليس إليك . أي : لا يضاف إليك على وجه التشريف ويضاف إليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم أغنني بحلالك عن حرامك . قال : وكثيرا ما ينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لا

....

لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا [آل عمران : 81] وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجما عنهم أَقْرَرْنا [آل عمران : 81] وكذلك قوله : وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا [البقرة : 14] : إلى هنا انتهى . قول الله : آمَنَّا . حكاية قولهم : وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا [البقرة : 14] : إلى هنا قول الله : إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ [البقرة : 14] حكاية قول المنافقين وقس على ذلك.
(وقال) : في قوله تعالى : وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ [الأنبياء:

سيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة إن أرادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله ، الأدب اللفظي فلا يأمن به وإن أرادوا غير ذلك فهم مخطئون بإجماع ا ه . وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى : وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها [هود : 6] : اعلم أن الحق تعالى يوصل لكل مخلوق رزقه الذي قسمه له وليس ذلك من إهانته عليه ولا كرامته فإنه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف ، وغير المكلف ، ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى : بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ [هود : 86].
وهي ما أحل للخلق تناوله من جميع الأشياء التي تقويهم على طاعة ربهم ، قال : وليس رزق العبد إلا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه انتهى . وقال أيضا في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى:
وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى [طه : 131] . اعلم أن رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك . فإن كان لك فلا بد من وصوله إليك وما ليس لك فلا يصل إليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع ومرادنا بقولنا إن كان لك أنك تأخذه على الحد المشروع فإن ما أخذ من حرام لا ينبغي إضافته إلى الله تعالى أدبا وإنما يضاف إلى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض إلى نفسه حيث كان مكروها لها والشفاء إلى الله تعالى حيث كان محبوبا لها وكما قال أيوب عليه الصلاة والسلام : أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ [الأنبياء : 83] . ا ه . وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق إلى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا أبيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغي إضافة الحرام إلى الله تعالى أدبا وما ورد في حديث : " أغنني بحلالك عن حرامك . . . " السابق فإنما هو بيان الجواز.
(خاتمة) : في بيان أن الاكتساب لا ينافي التوكل ولا ينبغي نصب خلاف في أن السعي أفضل من التوكل على هذا لأن الحق تعالى جعل الرزق على حالتين فما سبق في علم الله أنه يأتيك محمولا بلا سعي لا يقال فيه : إن السعي أفضل وما سبق في علم الله أنه لا يأتيك إلا بالسعي في تحصيله لا يقال : فيه ترك السعي أفضل فإن الرزق في طلب صاحبه دائر والمرزوق

....

[87] . أي : لن نضيق عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك سمى قوله : لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء : 87] .
توحيد الفم والتنفيس ، لأنه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله في أمته فنفعها إيمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها إذ كان غضبه لله ومن أجلّ الله فأمد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الألم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من أجله بما لم يخص به أمة قبلها قال الشيخ : وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالأندلس

في طلب رزقه حائر وبسكون أحدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج إلى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعي وعدمه وغالب الخلق يقولون : كل شيء رأيناه يحتمل أن يكون قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين أنه له كالزقاق الذي يدخله الجاهل فإن رآه ينفذ خرج منه وإن رآه مسدودا رجع ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكي والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان في توكله خاليا عن التسخط إذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه إلى ما في أيدي الناس فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب في حقه أرجح من التسخط والتطلع . وقد سئل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه ، عن شخص يريد أن يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول : أنا متوكل على الله تعالى فقال : إن كان له يقين كيقين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فليفعل وإلا فليخرج إلى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا انتهى . وقال الشيخ محيي الدين في باب الجنائز من " الفتوحات " : اعلم أن اضطراب قلب المؤمن في أمر رزقه لا يقدح في أصل إيمانه وإنما يقدح في كماله فقط وذلك لأن هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في أن الله لا يرزقه وإنما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والإحساس بألم الفقد فإن العبد يعلم بالإيمان أن الله يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه إنما أعلمه أنه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون فزعه من الموت أم رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع أو من دوامه إن كان وقع فهذا سبب الاضطراب انتهى . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي وإن لامه أحد على ذلك يقول : سعيي لأجل العيال لا لأجل نفسي ، فمثل هذا يجب عليه أن يمتحن نفسه بأن يفرق جميع ما يكتسبه على العيال أولا ، فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيئا وينظر فإن وجد في نفسه رائحة اضطراب فليعلم أنه غير متوكل على الله وإنما هو مدع كذاب فإن القوم ما سعوا في الرزق إلا امتثالا لأمر الله تعالى حتى لا تتعطل الأسباب فهمتهم امتثال الأمر لا

....

حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الأرض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار ، وثلثي شبر . وقال : إنما كنت أذهب إلى تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على خواص البشر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعطاني الدليل على ذلك في واقعة وقعت لي وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب في هذه المسألة إلى مذهب جملة واحدة.

(قلت) : وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله أن الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من أهل السنة انتهى . وتقدم

الاعتماد على الأسباب انتهى . والله تعالى أعلم (انتهت مباحث الألوهية وتوابعها) . فلنشرع في مباحث النبوة والرسالة فنقول : وبالله التوفيق.
المبحث التاسع والعشرون : في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسألة ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي
اعلم أن الحق تعالى ما أرسل الرسل إلا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم وذلك أنه ما بعث رسول إلا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعقولهم فمنّ الله تعالى عليهم بأن أقام الحق تعالى لهم شخصا ذكر أنه جاء إليهم من عند الله تعالى برسالة يزيل بها حيرتهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا أن الأمر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه : هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في إرساله لك فإنه لا فرق بيننا وبينك إلا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر .
فعلم أن كل نبي لم يظهر له شيء من الآيات إلا بقدر إقامة الحجة على قومه لا غير فإن جميع الآيات إنما وقعت على يد الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من أمته وحجة على الكافر ألا ترى إلى قصة الإسراء لما خرج إلى الناس صباح تلك الليلة وذكر لأصحابه ما جرى له في إسرائه وما وقع له مع ربه كيف أنكر عليه بعض الناس لكونهم ما رأوا لذلك أثرا في الظاهر إنما زادهم حكما في التكليف وانظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام ، لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادّعاه فما رآه أحد إلا عمي فكان يمسح وجهه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون إليه إذا رأوه .
قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة : وكان شيخنا أبو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة فكان لا يراه أحد إلا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا أبو مدين لما رحل إليه فمسح أبو مدين عينه بثوب أبي يعزى فرد الله

....
ذلك أيضا عنه في الباب الثالث والسبعين . ولكن سيأتي في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة.
قوله : بعد كلام طويل:
وليس يدرك ما قلنا سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
وهام فيما يظن الخلق أجمعه * تحصيله وسها عن نفسه وسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة في أوصافه كملا
فصرح بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل وسكت عما عداه ، وتقدم

عليه بصره . قال الشيخ محيي الدين : وكان أبو يعزى هذا في زماني ولكن لم أجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الأولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في الحال والعلم والقرب الإلهي لا يعرفه أبو يعزى ولا غيره . قال الشيخ : من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير وكان ممن اصطفاهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الأبصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة انتهى . فقد بان لك أن الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات إلا تأسيسا لانقياد قومهم لهم إذ من شأن البشر أن لا ينقاد لبعضه بعضا إلا بظهور برهان وقد حد جمهور الأصوليين المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل إليهم بأن لا يظهر بينهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعده والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلنا تنبيه على أنه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الإتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وإنما المراد أنه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له : إن كنت رسولا فأتنا بمعجزة فأظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا بمنزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف : وأصل التحدي أنه تفعل من الحداء أي:
تكلف الحداء على وجه يباري فيه الحادي شخصا آخر انتهى . وخرج بقولنا : مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين إرهاصا أي : تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط إذا أسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج أيضا الخارق من غير تحد ككرامات الأولياء وخرج أيضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج أيضا السحر والشعبذة من المرسل إليهم إذ لا معارضة بذلك فعلم أن مرادهم بالخارق للعادة أن يظهر على خلافها كإحياء ميت وإعدام جبل وانفجار ماء من بين الأصابع ونحو ذلك.
(فإن قلت) : فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الألوهية وإحياء الموتى وإمطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه في دعواه الألوهية في غاية الأشكال وهو من أكبر القوادح فيما قرره أهل الأصول في العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لأنه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في

....

قوله في الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ فلعل ما ذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله في الباب التاسع والستين ليس يصح لأحد منا دخول مقام الرسالة إنما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن في الأرض فراجعه والله تعالى أعلم . وقال نجم الثريا سبعة أنجم : والصرفة اثنان ، والذراع ثلاثة ، والبطين أربعة ، والجبهة خمسة ، والدبران ستة ، والنعائم تسعة . قال : ولم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولا لا ينتفع بنفسه بخلافه إذا ولد في سبعة أو تسعة وذلك لأن الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد

الدليل الذي أوجب السعادة للعباد ؟
(فالجواب) : جميع ما يقال على يد الدجال ليس هو بأمور حقيقية وإنما هي أمور متخيلة يفتن بها ضعفاء العقول بخلاف ما يقع على يد الأنبياء فإنها أمور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ، يستعيذ تشريعا لأمته من فتنة المسيح الدجال فإن الدجل هو التمويه بإظهار الباطل في صورة حق وما كل أحد يخرق بصره حتى يدرك الأمور المموهة ويميزها عن غيرها إنما ذلك للأنبياء وكمل ورثتهم فإن العقول السليمة إذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك في أن ما جاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل ، وأما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ، ولهذا قال الشيخ محيي الدين في " لواقح الأنوار " : نحن لا نشترط المعجزة عليه الصلاة والسلام لأنها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق إلا بإيجاد الممكنات وإذا أتى الرسول بالممكن فإنما يكون المعجز في ذلك عدم الإتيان ممن أرسل إليهم بمثل ذلك الذي تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه في نفس الأمر ثم إذا نظرنا إلى الذين انساقوا بالمعجزة إلى الإيمان فرأينا ذلك إنما كان لاستقرار الإيمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف إيمانهم وأما غيرهم فما احتاج إلى ظهور ذلك بل آمن بأول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الإيمان فاستجاب بأيسر سبب وأما من ليس له نصيب في الإيمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها ، قال تعالى : وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ [الأنعام : 125] انتهى . وقد نظم بعض اليهود بالشام أبياتا وأرسلها للشيخ صدر الدين القونوي وطلب الجواب عنها . فأجابه الشيخ رحمه الله وهي:

أيا علماء الدين ذمي دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم * ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب دوني فهل إلى * الدخول سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذي فيه شقوتي
فإن كنت بالمقضي يا قوم راضيا * فربي لا يرضى بشؤم بليتي
وهل لي رضا ما ليس يرضاه سيدي * وقد حرت دلوني على كشف حيرتي

....

واليبس وهو طبع الموت وأطال في ذلك .
وقال : العرش مستدير الشكل وكل ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر إلى التشبيه النبوي بأن الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة فشبهه بكل مستدير وهي الحلقة . وكذلك شبه السماوات في الكرسي كحلقة قال : واعلم أن العرش يوصف تارة بالعظيم ، وتارة بالكريم ، وتارة بالمجيد .
فهو من حيث الإحاطة عظيم لأنه أعظم الأجسام ومن حيث إنه أعطى ما في قوته لمن هو في حيطته وقبضته فهو كريم ومن حيث نزاهته أن يحيط به غيره من الأجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الأجسام قال : فإن قلت إذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش لأن

إذا شاء ربي الكفر مني مشيئته * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي
فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله:
صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وما قد يكون وفق المشيئة
وهذا إذا حققته متأملا * فليس يسد الباب من بعد دعوة
لأن من المعلوم أن قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كما ترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كما الري بعد الشرب والشبع الذي * يكون عقيب الأكل في كل مرة
فليس ببدع أن يكون معلقا * قضاء إله الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطي أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الأسباب مما رفضته * مع الأمن والإيمان لفظ الشهادة
فأنت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعي إذا قضى لي بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب أوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم في مبحث خلق الأفعال أن هذه المسألة من أشكل الأمور فراجعه والله أعلم . ورأيت في كتاب " سراج العقول " للشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله ما نصه : اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الأنبياء هو المعجزات وهو فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعي النبوة معترفا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له أنت رسولي تصديقا لما ادعاه مثاله قال الإنسان في ملأ من الناس بحضرة ملك مطاع ، فقال يا معشر الحاضرين إني رسول هذا الملك وإن آية صدقي أن الملك يقوم ويرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك في الحال ويرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعي أليس هذا الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت أنت رسولي قال : وإنما يراعي في ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة إذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعي فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعي للرسالة نازلة منزلة التصديق بالقول وهو مثل

....

العرش قد عمر الخلاء فالجواب أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش وبين الاستواء على العرش فإن من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال ، والانفصال فعلم أن هذا العرش الذي تحف به الملائكة هو الذي يأتي الله فيه للفصل ، والقضاء يوم القيامة ، وليس هو الجسم الذي عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن أما تراه تعالى يقول : وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (75) [الزمر : 75] عند الفراغ من القضاء . وقال : زيارة العبد لربه في الجنة تكون على عدد صلاته في دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه وقال : ينبغي لقارىء القرآن إذا لم يكن من أهل الكشف أن يبحث

حصول العلم لسائر الأشياء من شواهد المقال وقرائن الحال.
(فإن قلت) : اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لأن نفس الاقتران بالإضافة إلى دعواه وإلى غير دعواه من طريق الأقوال والأفعال بمثابة واحدة.
(فالجواب) : إن سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى ألوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة : إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [البقرة : 30] وتصديقه بالفعل كما علم آدم الأسماء كلها ثم قال للملائكة أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [البقرة : 31] وعلم محمدا القرآن ثم قال : فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ [البقرة : 23] فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام ، كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم ، بالقرآن فدلت الأسماء هنالك والقرآن هنا على صدق النبي الذي هو أول الأنبياء وعلى صدق النبي الذي هو آخر الأنبياء ، فعلى هذه الصفة صح أن المقترن بدعواه له تأثير وينهض دليلا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه انتهى كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : تعرف نبوة النبي بأمور منها أن يدعو إلى طاعة الله وينهى عن معاصيه . ومنها : أن لا يخالف ما يدعو الناس إليه ويعرف هو نبوة نفسه . ومنها أن يخلق الله له علما ضروريا فيعرف أنه رسول . ومنها أن يظهر الله له آيات وكرامات فيضطر إلى العلم أنه من عند الله وأن البشر يعجزون عن مثله . ومنها أن يخبره الله بما في قلبه وصدره فيضطر النبي إلى معرفة كلامه إذ الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى . واعلم يا أخي أن خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا إلا خرق العادة من ثبتت استقامته على الشرع المحمدي وإلا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه ، وقد ذكر الشيخ في الباب السادس والثمانين ومائة أن من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك أن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الأمر فيها ، وقد تكون أيضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لأهل الرصد وقد يكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في ناظر عين المرائين لا في نفس الأمر وأطال في ذلك ، ثم قال : وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال : ولا يكون خرق العادة على

....
ويسأل علماء الشريعة عن كل شيء ثبت عندهم أنه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات في الجنة حين يقال له يوم القيامة : اقرأ وارق . قال : وقد زعم بعض أهل الكشف أنه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال : ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان هو الذي تولى جمع القرآن لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة قال : ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير أهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضي الله عنه ، قال : وأما ما استقر في مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه.

وجه الكرامة إلا لمن خرق العادة من نفسها بإخراجها عن مألوفها الطبيعي إلى الانقياد للشرع في كل حركة وسكون . قال : وليس خرق العادة إلا أول مودة فإذا عاد ثانيا صار عادة وفي حقيقة الأمر جديدا بدا وما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة وإنما هو أمر يظهر زي مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجبت الناس عن هذه الحقيقة بل ما رأيت أحدا اطلع عليها من أهل عصري وقد نبهتك على ما هو الأمر عليه إن كنت تعقل ما أقول فإن الله تعالى إذا كان خلاقا على الدوام فأين التكرار انتهى.

(فإن قيل) : فكم الإعجاز على ضرب ؟

(فالجواب) : هو على ضربين كما قاله الشيخ في الباب السابع والثمانين ومائة : (الأول): أن يمكن صرفه فيدعي في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة إذا أتيت به دليل على صدق دعواي ، فإن الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان في قدرته ذلك يجد العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على إتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أنفع للنفس من الصرف . (الضرب الثاني) : أن يأتي بأمر لا يكون في مقدور البشر ولا يقدر عليه إلا الله كإحياء الموتى ولكن الوصول إليه على طريق العلم أنه حي في نفس الأمر عزيز لا يدركه إلا أهل الكشف منا فإذا رأينا عصا موسى حية وعصى السحرة حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين فلهذا كان الوصول إلى علم ذلك عزيزا جدا انتهى.

(فإن قلت) : فما المراد بتلقف عصا موسى لما صنعوا ؟

(فالجواب) : أن المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب الأربعين من " الفتوحات " : انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون أن تلك الحيات حبال وعصي لا حيات حين ظهرت حجة موسى عليهم لأن الحبال والعصي انعدمت إذ لو انعدمت لدخل عليهم اللبس في عصا موسى فكانت الشبهة تدخل عليهم في عصا موسى كذا وإيضاح ذلك أن عصا موسى إنما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط ، فبدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الأمر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه ويظهر بطلانها ولو أنه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة

....

(قلت) : ذكر الشيخ محيي الدين في " الفتوحات المصرية " إن الذي يتعين اعتقاده أنه لم يسقط من كلام الله تعالى شيء لانعقاد الإجماع على ذلك والله أعلم .

وقال : لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور إلا أهل الكشف والوجود فإنها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف .

قال : وقد اجتمعت بهم في واقعة وما منهم ملك إلا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جمله أشياخي من الملائكة فإذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه بقول القارئ : ألم فيقول : هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون : صدقت إن كان خيرا ويقولون : هذا مؤمن حقا نطق حقا وأخبر حقا

في عصا موسى والتبس عليهم الأمر فكانوا لم يؤمنوا فتنبه يا أخي لذلك فإن الله تعالى يقول: تَلْقَفْ ما صَنَعُوا [طه : 69] وما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصي . وعلى ما توهمه بعضهم يكون المعنى الذي جاء به موسى من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أن سحره أقوى من سحرهم.

(فإن قلت) : فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية ؟

(فالجواب) : إنما خاف موسى من عصاه ليعلم السحرة أن ذلك ليس هو بسحر منه فإن أحدا لا يخاف من فعل نفسه لأنه يعلم أنه لا حقيقة له في نفس الأمر.

(فإن قلت) : فما وجه من قال : إن من سحر غيره كفر ؟

(فالجواب) : إن في ضمن السحر الكفر لأن الأرواح الكافرة التي هي المعينة له على السحر إنما تجيبه إذا خرج عن دين الإسلام.

(فإن قلت) : فلم سمي السحر سحرا ؟

(فالجواب) : لأنه مأخوذ من السحر الذي هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا بسكون الحاء ما هو باطل محقق فيكون عدما فإن العين أدركت أمرا ما لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفس الأمر كما تشهده العين ويظنه الرائي والله أعلم ، فعلم أن معجزة كل نبي إنما تكون بحسب ما هو غالب على قومه كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام ، بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى بإبراء الأكمه والأبرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم ، بالقرآن الكريم المعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة.

(فإن قلت) : قد شرطتم في المعجزة أن تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم أن القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن القرآن كلام الله والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز أن تكون صفة الكلام معجزة لجاز أن تكون صفة العلم والقدرة معجزة.

....

فيستغفرون له وهكذا القول في ألف لام م صاد وأخواتها وهم أربعة عشر ملكا آخرهم نون والقلم وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد ومنازل ظهر فيها اثنان مثل طس و يس و حم . وهكذا وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد إلى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الأرواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبما بيدها من شعب الإيمان تمده وتحفظ عليه إيمانه . وقال في قوله تعالى : وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها

(فالجواب) : كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله ، أنه لا يخفى أن المعجز حقيقة إنما هو الله تعالى فإنه خالق العجز والقدرة وإنما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على الحقيقة كمن نظر إلى صاعقة تقع من السماء فيقول : انظروا إلى قدرة الله تعالى وإنما هي من آثار قدرته وذلك أن العجز إنما يكون عن مقدور عليه وليس إحياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال : إن فلانا عجز عن إحياء الموتى والإنسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما أن عدم العلم ليس بجهل إذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لأنه فاقد شرط العلم والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لأن العجز لا بد أن يقارن المقدور عليه فعلم مما قررناه أن مرادهم بقولهم : القرآن معجزة أن نظمه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والأساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس مرادهم أن كلام الله الذي هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد أعجز الله تعالى جميع الخلق عن الإتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ، ولفظ القرآن في العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه في مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى أعلم ، ثم اعلم أن جمهور العلماء قائلون بأن ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي وخالف في ذلك المعتزلة والشيخ أبو إسحاق الإسفرايني فقالوا: لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبي أن يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق وإنما مبالغ الكرامة إجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية لا ماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثمانين بعد المائة من " الفتوحات " : وهذا الذي قاله الأستاذ هو الصحيح عندنا إلا أني أشرط شرطا آخر لم يذكره الأستاذ وهو : أنا نقول : لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولي إلا أن يقوم ذلك الولي بذلك الأمر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الأولياء ، اللهم إلا أن يقول ذلك الرسول في وقت تحديه بمنع وقوعها في ذلك الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما إن أطلق ذلك النبي ولم يقيد فلا سبيل إلى ما قاله الأستاذ انتهى . قال

....

مَنْ يَشاءُ [الرعد : 13] الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشيء إلا أثرت فيه ولولا الأثير الذي هو نار بين السماء والأرض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الأرض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا ، فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم . قال : واعلم أن الأثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فيما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الأذناب لأنها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى شرر النار إذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأي العين ثم تنطفىء كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله

اليافعي اليمني رحمه الله : ولا يرد على قولهم ما جاز أن يكون معجزة لنبي إلى آخره القرآن العظيم للزوم التحدي فلا يجوز وقوع مثله لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف الكرامة.

(فإن قلت) : ما الفرق بين الكرامة والمعجزة ؟

(فالجواب) : الفرق بينهما ظاهر وذلك أنه إذا توقفت الإجابة على المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولي إظهارها لأنه إنما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج إلى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف النبي وكان اليافعي رحمه الله يقول : يجب على الولي إخفاء الكرامة إلا عن ضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل ، أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذي غرف عسلا من الهواء ووضعه بين يدي مريده انتهى . وقد فرق الأئمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم : من الفرق بينهما : المعجزة تقع عند قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحديه وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي ، وقال بعضهم : يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولي وإنما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها الولي ، وقال بعضهم : يجوز للولي أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته إذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم إلى الحق وإنما الفرق الصحيح بينهما هو أن المعجزة لا تكون إلا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك أن الولي إذا ادعى بفعل خارق للعادة أنه ولي فإن ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما إذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على أنه نبي فإنه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدي الأنبياء والأولياء ، قال الشيخ أبو طاهر : وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ : المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدي الأولياء عند دعواهم النبوة لأنها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال انتهى.

(فإن قلت) : هذا الفرق بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة ؟

(فالجواب) : كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله : إن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه

....

تعالى . قال واعلم أن الهواء لا يسمى ريحا إلا إذا تحرك ، وتموج فإذا اشتدت حركته كان زعزعا وإن لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهبوبه تسبيحه تجري به الجواري ، ويطفأ به السراج ، وتشعل النار وتتحرك المياه ، والأشجار ويموج البحر وتزلزل الأرض ويزجي السحاب قال : واعلم أن روح المياه من الهواء ، ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شيء في العالم متنفس وتأمل الإنسان إذا حمي بدنه في زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده ما يجده من الحرارة لما في الهواء من برودة الماء فإن صورة الهواء من الماء وقال في قوله تعالى : وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا [فاطر : 12] . اعلم أن الله تعالى ما

أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال . وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو أن المعجزة يظهرها النبي على رؤوس الأشهاد وعظماء البلاد والشعبذة إنما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس . قال القزويني رحمه الله وقد اختلف الناس في السحر وأثره فقيل : إنه يمكن به تبديل الصورة فيقلب الإنسان كلبا أو تمساحا أو حمارا قال : والظاهر أن أمثال هذه خرافات العوام وأسمار النسوة وأطال في ذكر النيزنجيات والقلفطيريات في كتابه " سراج العقول " قال : والسحر في اللغة إراءة الباطل في صورة الحق ومنه وقت السحر للفجر الكاذب وأما الشعبذة فهي منسوبة إلى رجل اسمه شعبان وهو معرب وأصله خفة اليد في تقليب الأشياء . والسحر عندنا حق على معنى أنه ثابت واقع وأنكر المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته إجماع الأمم سلفا وخلفا وإجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيي الدين في الباب الأحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى : فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ [البقرة : 102] : اعلم أن الله تعالى إنما كره التفريق وذم فاعله ندبا إلى الألفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الإذن في جميع أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد أبغض الحلال إلى الله الطلاق . وذلك لأنه رجوع إلى العدم إذ بائتلاف الطبائع أظهر وجوب التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الأسماء الإلهية عن التأثير في أهل حضراتها فلأجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع انتهى.

(فإن قلت) : فما الفرق بين المعجزة والكهانة ؟

(فالجواب) : أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول كما مر ، وأما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبي لا يكون قط إلا كامل الخلق والخلق وأما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق مزورا فإن ادّعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فإن النبي إذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لا يجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا أن المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون

....

جعل تكوين دواب البحر الملح إلا في العذب منه خاصة فإن الله تعالى أجرى في قعره عينا وأنهارا عذبة وجعل للأرض نفسا من الهواء فيطرأ التعفين من ذلك فكون حيوانات البحر الملح في الماء العذب ولولا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكون فيه حيوان ألا ترى البخار الصاعد من الأنهار ، والبخار الصاعد من الأرض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الأعظم فيستحيل منه ما يستحيل ويلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج وإليه يعود . وقال في قوله تعالى : اللَّهُ

تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى أعلم.
(فإن قلت) : فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب ؟
(فالجواب) : وجه ذلك أن الناس قد أشبعوا القول في استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالإجماع على استحالتها.
(فإن قيل) : إذا جوزتم إضلال الله تعالى الخلق وإغواءهم فما يشعركم أنه تعالى يظهر الآيات على أيدي الكاذبين إضلالا وإغواء ومعلوم أن ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب إضلال الخلق وهدايتهم.
(فالجواب) : أننا إنما جوزنا الإضلال لنصوص القرآن مثل قوله : يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً [البقرة : 26] وقوله : وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ [إبراهيم : 27] وغيرهما من الآيات وإنما نجوزه فيما لا يؤدي إلى المحال فإن كل ما أدى إلى المحال فهو محال والمحال ، لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه : إما أن يقع على خلاف المعلوم وإما أن يتناقض الدليل والمدلول فيه وإما أن يلتبس الدليل بالمدلول وإما أن يؤدي إلى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه أربعة وجوه تؤدي إلى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملته لأن المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول : صدقت وأنت رسولي . كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه إذ كل من قال له : أنت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله أعلم . وقد ذكر الشيخ أبو طاهر أن بعض الأئمة قال : إظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على أن ما علم الله أنه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذي نقول به:
إن ذلك ولو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا وأطال في ذلك في كتاب " سراج العقول " فراجعه إن شئت وحاصله أن شرط المعجز أن يكون ناقضا للعادة لأن الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وأن يكون في أيام التكليف لأن الذي يظهر في القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لأن الآخرة ليست بدار تكليف وأن يكون مقرونا بالتحدي لأنه قد يحصل أحيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق

....
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [الطلاق : 12] .
اعلم أن طبقات الأرض سبع كطبقات السماوات في كونها واحدة فوق واحدة قال صلى الله عليه وسلم : " فيمن غصب شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين " وذلك أنه إذا غصب شيئا من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا إلى منتهى الأرض السابعة ولو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض من أن يظهر الله ذلك الموضع بسجدته إلى سبع أرضين وقوله : يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ [الطلاق : 12] أي : بين السماوات والأرضين ولو كانت أرضا واحدة ، لقال بينهما . قال : وهذا الذي قررناه هو الظاهر ، وهو الذي أعطاه كشفنا والله أعلم . وقال في

وليست بمعجزة لأنها لم تكن مقرونة بذلك وأن يكون على وجه الابتلاء لأنه لو تلقن إنسان سورة من القرآن ثم مضى إلى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى أعلم ، فتأمل في هذا المبحث فإنه نفيس والله أعلم.

المبحث الثلاثون : في بيان حكمة بعثة الرسل في كل زمان وقع فيه إرسال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

اعلم أن الأصل في هذا المبحث قوله تعالى : وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: 15] . فما عاند بعد إرسال الرسل إلا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الأبدي . قال الشيخ محيي الدين رحمه الله : واعلم أن جميع الحدود التي حدها الله . أي: قدرها الرب سبحانه وتعالى هذه الدار لا تخرج عن قسمين : قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء ، وقسم يسمى شريعة وكلاهما إنما جاء لمصلحة بقاء الأعيان الممكنات في هذه الدار وسلامتها من الفساد فأما القسم الأول : فطريقه الإلقاء بمثابة الإلهام عندنا ، وذلك لعدم وجود شريعة بين أظهر أهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يلقي في نظر نفوس الأكابر من الناس الحكمة فيحدون الحدود ويضعون النواميس في كل مدينة وجهة وإقليم بحسب المزاج الذي تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لأن الناموس في الإصلاح هو الذي يأتي بخير عكس الجاسوس فهذه هي النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن إلهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لأجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه انتهى . وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة: اعلم أنه إنما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية في أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال : وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك إجراما من باب إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [التوبة : 120] . قال : وأما استعمال النواميس والقوانين في زمن الشرائع فلا ينبغي استعمالها إلا إذا وافقت الشرائع لأنه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ [المائدة : 47].

....

قوله تعالى : وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء : 30] . اعلم أن العالم كله في قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض في المقبوض يبس بلا شك فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله : أَ فَلا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء : 30] أفلا يصدقون . بذلك لجواز خلافه عقلا الذي هو ضد الواقع فإنه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له شفاء يحيا به إلا الحرارة واليبس ، فكان يقال في ذلك الحال وجعلنا من النار كل شيء حي ولو غلب عليه البرد ، واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شيء حي ولو أفرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال في هذه الحالة : وجعلنا من

وقال أيضا في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة : اعلم أن الشرع شرعان : شرع منزل إلهي وشرع حكمي سياسي عند فقد هذا الشرع فلا تخلو أمة عن نذير يقوم بسياستها لبقاء المصلحة في حقها سواء كان ذلك الشرع إلهيا أو سياسيا.

(فإن قلت) : فهل كان لواضعي هذه النواميس علم بأنها مقربة إلى الله تعالى أم لا ؟

(فالجواب) : أنه لم يكن لهم علم بذلك كما أنه لم يكن لهم علم بأنه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شيء من أحوال الآخرة جملة لأن ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم في أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء في كل زمان على إبقاء الصلاح في هذه الدار لا غير وغاية علمهم أنهم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية من توحيد الله تعالى وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل أشغالهم في ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا في البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا أن الصورة الجسدية إذا ماتت ما نقص من أعضائها شيء فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسم أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فأورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من إثبات المعرفة ونفيها في حق العالم فلما أورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بإرسال الرسل وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع وثلاثين وثلاثمائة فراجعه والله تعالى أعلم . وأما القسم الثاني : المسمى بشريعة حقيقة هو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الأحكام التي ليس للعقل فيها مدخل إلا من حيث قبولها والإيمان بها لا غير ، كما مر في مبحث المعجزات إذ لو اشتغلت العقول بأمور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا ، ومعلوم قطعا أن كل إنسان منا يجهل بالضرورة مآله وإلى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته إن سعد أو شقاوته إن شقي وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريده به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة إلى التعريف الإلهي له بذلك ولولا إرسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز أحد من أهل القبضتين عن الآخر . فعلم أن إرسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد إلا بالقسمة الإلهية وما شقي من شقي إلا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام أثر في ذلك إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ [الشورى: 48] إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ [القصص : 56] وكذلك ليس لإبليس أثر في الإضلال إنما هو موسوس للناس أن يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخطب في النار ويقول : وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ [إبراهيم : 22] وذلك مكان

....

التراب كل شيء حي . وأطال في ذلك . وقال حيثما أضيف الرزق إلى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لا حجر عليه فعلم أن الحرام لا ينبغي إضافته إلى الله تعالى أدبا.

يصدق فيه الكذوب وكذلك إذا أمر الرسول أمته بفعل شيء مثلا فلسان حالهم يقول : هل نفعل ما قسمه الحق لنا أم لم يقسمه فلا يسع الرسول أن يقول : افعلوا ما قسمه لكم فإذا قالوا : هل نفعله في الوقت الذي قسم لنا الحق تعالى فعله فيه أو قبله يقول لهم الرسول : في الوقت الذي قسم لكم أن تفعلوه فيه ولكن سلطان الأمر الإلهي متوجه عليكم أن تفعلوا ذلك في الوقت المضروب لكم شرعا لا وقت إرادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم.
(فإن قلت) : فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والإنس كما قيل ؟
(فالجواب) : ليس للحيوانات رسل منهم وإنما ذلك خاص بالجن والإنس وقد أفتى المالكية بكفر من قال : إن في كل جنس من الحيوانات نذيرا منها لها.
(فإن قلت) : فما تقولون في قوله تعالى : وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ [فاطر : 24].
وفي قوله : إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ [الأنعام : 38] ؟
(فالجواب) : إن هذا عام مخصوص بالجن والإنس فإنه قد ورد في الكلاب أنها أمة من الأمم وكذلك النمل والفيران ولم يرد لنا دليل قاطع بأن لها نذيرا منها فإياك والغلط.
(فإن قلت) : فمتى ينقطع حكم التكليف في حق الأمة ؟
(فالجواب) : ينقطع التكليف في حق أهل الجنة وأهل النار بالموت ما عدا أهل الأعراف إلا أن يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فإنه لولا أن تكليفهم باق إلى ذلك الوقت ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها.
(فإن قلت) : فما أول وقت كان فيه تكليف الروح ؟
(فالجواب) : هي مكلفة من يوم أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ [الأعراف : 172] فلو لا أن تكليفها وفعلها موجود ذلك اليوم ما خوطبت ولا أجابت وعلى ما ورد في الحديث من الامتحان للأطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل إليهم فيقوم بعث ذلك الرسول في ذلك اليوم مقام بعث الرسول إليهم في دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه

....

(قلت) : ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا إلا عند الجوع لتخف الشبهة في الشبهات وليكونوا في حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الأكل من غير الجوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتغال الأمعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطبيعة التي بها غذاؤها والله أعلم . وقال في قوله تعالى : إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف : 27] ، الآية.
اعلم أن الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب . قال : واعلم أن الشياطين من الجن هم الأشقياء البعداء من رحمة الله خاصة وأما السعداء فأبقى عليهم اسم الجنس وهم

وخالف أمره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى في عباده بعد إقامة الحجة والله أعلم.
وقد رأيت في كتاب سراج العقول للإمام أبي طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين منه ما نصه : اعلم أن الله تعالى قد خلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن للكون أثر ولا للمكون خبر ثم أنه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع إلى مصالحهم في الأمور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجيء إليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث إليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا إلى أسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال:
ولما تعذر أن نلتقي * وزاد النزاع وجد القدم
سعيت إليك برجل الرسول * وناجاك عني لسان القلم
قال تعالى : رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [النساء: 165] . إن الحق تعالى من جملة فضله علينا إرسال الرسل إلينا كما أنه خلقنا بفضله من العدم إذ لا يجب عليه تعالى شيء البتة.
(فإن قلت) : فما حقيقة النبوة ؟
(فالجواب) : هو خطاب الله تعالى شخصا بقوله : " أنت رسولي واصطفيتك لنفسي " . كما مر في المبحث قبله الله أعلم حيث يجعل رسالته.
(فإن قلت) : فهل النبوة مكتسبة أو موهوبة ؟
(فالجواب) : ليست النبوة مكتسبة حتى يتوصل إليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فإن الله تعالى حكى عن الرسل بقوله : قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ [إبراهيم : 11] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يقول : سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا [الإسراء : 93] فالنبوة إذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم : بوجوب النبوة عقلا من جهة اللطف والحق أنها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا ينتهي إلى المعاينة وهي من فضل الله ورحمته وتدبيره في الملك والملكوت بأوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة إلى اصطفاء الله شخصا بخطابه

....

الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الإنسان وهو عنصري ، ولهذا تكبر فلو كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخي النشأة له وجه إلى الأرواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه إلينا أيضا به كان عنصريا ومارجا فأعطاه الاسم اللطيف أن يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال في ذلك ثم قال:
فالاسم اللطيف هو الذي جعل الجان يستتر عن أعين الناس فلا تدركهم الأبصار إلا متجسدين والله أعلم.

[الباب الثاني ومائتان في حال الأدب]

وقال في الباب الثاني ومائتين ما نصه اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع إلى ما نذكره وهو أن لا يتعدى العبد في الحكم موضعه في جوهر كان ، أو في عرض ، أو في زمان ،

ولو بواسطة الملك ولا ترجع إلى نفس ذلك الشخص الذي هو النبي حتى إنه يقال : استحق النبوة لذاته وإذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة من قال : أن النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر إذ هو المخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له : حكم النبوة باق عليه أبدا حيا وميتا كما أن حكم نكاحه كذلك . وفي الحديث : " زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة " . وفي الحديث أيضا : " الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون " . وقد أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال : إن النبوة مكتسبة والله أعلم.

(فإن قيل) : هلّا أرسل الله تعالى الملائكة فإنهم كانوا بهيئتهم الملكية أدعى إلى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول : أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ [القمر : 24].

(فالجواب) : أن هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى : قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا (95) [الإسراء : 95] وقال تعالى : وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ (9) [الأنعام : 9] . والمعنى في ذلك أن في الرسالة امتحانا واختبارا فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك أن الحسد موضوعه أن يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد ولذلك طلب كفار مكة أن يكون الرسول إليهم ملكا لعدم الحسد بينهم وبين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فإن عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة بأعيانهم وصفاتهم في صورهم فضلا عن أخذ الكلام عنهم وإنما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمي من صورة الملك الذي يسد الخافقين بنشر جناح واحد . ولقد بلغنا أن الله تعالى خلق عجائب في أعالي الهند وأقاصي بلاد الصين وجزائرها أناسا إذا أبصروا أحدا منا خروا لوجوههم ميتين ولو أبصر منا واحد صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفي القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم إلا ترامى فمات لوقته ولقد ربطوا إنسانا بحبال وثيقة وقالوا له : انظر ونحن نمسك فنظر إليهم فتمزع من الحبال ونزل إليهم قطعا قطعا . وحديث بدء الوحي مشهور فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولا بحراء قاعدا على كرسي بين السماء والأرض ، وله صوت هائل

....

أو في مكان ، أو في وضع ، أو في إضافة ، أو في حال ، أو في مقدار ، أو عدد ، أو في مؤثر ، أو في مؤثر فيه فأما أدبه في الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع في ذلك فيجريه فيه ، بحسبه وأما أدب العبد في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب ، وحظر ، وإباحة ، ومكروه ، وندب وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق إلا بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه في المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما أدبه في الوضع فلا يسمى الشيء بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرما

امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل إلى الأرض وجاء إلى بيت خديجة وهو يقول : زملوني فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلا إلى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا سماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى : وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ [الأنعام: 8] . أي : لماتوا من هيبته في الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل إليهم وهو تمكنهم من الأخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ [الجمعة : 2] . وقال تعالى أيضا : وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [إبراهيم : 4] .

(فإن قلت) : فما التحقيق في قوله : أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ [البقرة : 87] هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه أم بعضه موافق لهواها ؟

(فالجواب) : كما قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين : إن الشرع لم يجئ لنا إلا بمساعدة الطبع فلا ندري من أين جاء الإنسان المشقة والكلفة وإيضاح ذلك أن الصفات التي جبل عليها الإنسان لا تتبدل فإنها ذاتية له في هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن ، والبخل ، والشح ، والحسد ، والتكبر ، والغلظة وطلب القهر وأمثال ذلك ثم لما سبق في علم الحق تعالى أن هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وأمر بصرفها إليها حكما مشروعا فإن تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلا ، عن إتيان المحارم لم تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشجت كذلك بدينها أن تقع في شيء ينقصه وحسدت من أنفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الإخلاص وحرصت على الخير أيضا وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن أمر الله وأغلظت القول والفعل في المواطن التي أمرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوأ الحق وقاواه فقد بان لك أن صفات النفس لم تتغير في حد ذاتها وإنما صرفت تلك الصفات في المصارف التي ندب الحق تعالى إليها ليحمدها ربها وملائكته ورسله وبيان ذلك أيضا أن الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وإنما حجر عليه البعض وما أهلك الناس إلا سلطان الأغراض فإنه الذي أدخل الألم عليهم والمكروه ولو أنهم كانوا صرفوا أغراضهم إلى ما أراده لهم خالقهم

....

ويحرم ما كان محللا كما في حديث سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها أي : فتحا لباب استحلالها بالاسم ، وقد تفطن لما ذكرناه الإمام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال : هو حرام فقيل له : إنه من جملة سمك البحر

فقال : أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لأجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو تريزا فاستحلوها بالاسم وقالوا : إنما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الإضافة فهو مثل قول الخضر فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها [الكهف : 79] وقال : فأردنا أن يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد

واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ في ذلك.
(فإن قلت) : قوله تعالى : نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ [النور : 35] . هل هو نور العقل مع نور الشرع أو غير ذلك ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ محيي الدين : أن المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية ، فلو لا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لأن النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولكن الأعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيئا في ضوء النهار ولذلك من أعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم إدراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور لم يدر صاحب نور البصيرة أين يسلك ولا كيف يسلك لأنها طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهي إليه . فعلم أن الماشي في هذه الطريق إن لم يحفظ سراجه من الأهواء وإلا هبت عليه رياح زعازع أطفأته وأذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شيء يؤثر في نور توحيده وإيمانه فإن هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعني : السراج حتى يحار في الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى في فروع الشريعة وهي المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان ولا تقدح في توحيده وإيمانه انتهى.
(فإن قلت) : فهل يشترط في وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده ؟
(فالجواب) : كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة ، نعم يشترط ثبوت رسالتهم عنده ذلك حتى يبني عليه وجوب امتثال أمره واجتناب نهيه.
(فإن قلت) : فما صورة ثبوت الرسالة ؟
(فالجواب) : أن تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث إليهم سواء كانت بواسطة التواتر وبإشراق نور في القلب ، فرب آية يكون فيها غموض أو احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلا بد أن يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا في غاية الوضوح عن كل من قام له حتى يثبت عنده أنه رسول وحينئذ إن جحد بعد ما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى : وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء : 15] . ولم

....

ويذم وقال : فأراد ربك لتخليص المحمدة فيه فأفاد أن الشيء الواحد يكتسب ذما بالنسبة إلى جهة ويكتسب حمدا بالإضافة إلى جهة أخرى ، وهو هو بعينه وإنما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الأحوال كحال السفر في الطاعة ، وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الأدب في الأعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذا القول في أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما أدبه في المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغضب مثلا إلى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه

يقل : نبعث شخصا لأنه لا بد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه إليه كما مر ، وفي هذه الآية رحمة عظيمة للأمة لما الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدي ذلك إلى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك إلا ليفتح باب الرحمة على من يريد أن يرحمه من عباده.
(فإن قلت) : فما السبب الذي منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاء إلى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فإنه تعالى قال:
وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (21) [الأنفال : 21] . أي : فإنهم سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لأنه بلسانهم ، ثم قال تعالى : وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ . أي : حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا.
(فالجواب) : إن قرائن الأحوال تشهد بالعقوبة لمن يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الإمكان لا يرتفع في نفس الأمر في حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيئات جميع الموحدين إلا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا : سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا.
(فإن قلت) : فهل الأولى دعاء الرسول بالإلحاح للمدعو أو من غير إلحاح ؟
(فالجواب) : أن من شروط الداعي إلى الله تعالى نفوذ البصر إلى باطن المدعو وإن رأى المدعو يمكنه الإجابة دعاه بالإلحاح وإلا دعاه بغير الإلحاح لإقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الأنبياء بالأمر بالتوحيد إلا للمشركين فقط ، كما ذكره الشيخ في آخر الباب الثاني والسبعين من " الفتوحات " قال : وذلك لأنهم أبعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا إليهم بالتوحيد ليهدوهم إلى طريق الهدى وهذا هو سر إهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن إلى الكعبة مع ذكره فيها أنها شياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك أن مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وإنما أشعرها في صفحة سنامها الأيمن الذي هو أرفع ما فيها لينبه على كبرياء المشركين التي كانوا عليها في نفوسهم ، وأيضا فإن الصفحة مشتقة من الصفح فكان في ذلك إشعار من الله تعالى أن يصفح عمن هذه صفته إذا أراد التقريب من حضرة الله تعالى ، وإنما جعل في رقابها النعال إشارة إلى

....
في المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها ،

[الباب الثالث ومائتان في حال الرياضة]

وقال في الباب الثالث ومائتين : من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه ، وذلك لأن الرياضة تذليل للنفس شيئا بعد شيء حتى يلتحق بدرجة العبيد الخلص لله تعالى ولذلك سميت الأرض ذلولا يطؤها البر والفاجر ، ولا تمييز عندها في ذلك بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضي سيده وتحمل الفاجر حمل الله تعالى إياه بكونه يرزقه على كفره به وجحده إياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك.

زوال الكبرياء والشيطنة التي كانت في البدن إذ لا يصفع بالنعال إلا أخو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي عنده كبرياء تظهر وأهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهي من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك إشارة منه إلى تقريب الموحدين في ترقيهم في مقامات التوحيد فقد علمت أن من حكمة بعثة الرسل أن يردوا الشاردين عن حضرة الله إليها ويرقوا أهلها في درجاتهم والله أعلم.

(خاتمة : في آثار بعثة الرسل) : اعلم أن من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من أهل الفترات فلا قرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لأن ناصيته بيد ربه خاصة ، فكل ما تمنى في ذلك الزمان من أحوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم وأما من كان في أمة بعث فيها رسول أو خلق في أمة بعث فيها رسول فإن القرينين يلزمانه من حين ولادته لأجل وجود الشرع.

(فإن قلت) : إن المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقرن به هذان القرينان وهو لم يكلف ؟

(فالجواب) : إن الله تعالى ما جعل هذين القرينين في حق المولود نفسه وإنما ذلك من أجل تربية والديه أو من كان فيهمزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيئا مما يكره والداه فساده أو غيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف شيئا مثيرا في الغير ضجرا أو سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الإثم فلهذا قرن بالصغير الشيطان لا لأجل نفسه فإنه ليس له حركة نفسية ولا ربانية حتى يبلغ الحلم.

(فإن قلت) : فإذا كان المولود في زمن لا شرع فيه فهل يقال : إن حركته نفسية أم لا ؟

(فالجواب) : إذا لم يكن المولود في أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته إلا أن يموت ما لم يرسل إليه رسول أو يدخل هو في دين إلهي يتعبد به ، أي دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان إذ لم يكن للعقل وحده أن يشرع القربات.

(فإن قلت) : فما حكم من يكون على مكارم الأخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع المدركة بالعقل ؟

....

(قلت) : فعلم أنه كلما اتسعت دائرة العبد في المعارف كلما طولب بتحمل الأذى من جميع العالم على اختلاف طبقاتهم وأنه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيان أتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة ،

وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو أنهم عصوه أيام ضيق حاله لنفر ولم يصبر وتفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع أن أسباب المخالفات في زيادات لا تنفك حتى تقوم الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم ، والعارف متخلق بأخلاق الحق في ذلك ،

ويؤيد هذا الذي قررناه أن الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزءا من الرحمة عن أهل الدنيا ثم

(فالجواب) : مثل هذا لا يحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فإن العقل لا يدرك أن ثم آخرة ولا جنة ولا نارا ولا حشرا بعد الموت ولا يعرف هذا المدبر لبدنه ما هو وإنما يدرك ذلك من جهة إخبار الشارع عن الله عز وجل ، كما مر في مبحث المعجزات.
(فإن قلت) : فهل القرينان خاصان بالجن والإنس في دار التكليف أم يكونان لهما ولغيرهما حتى في الجنة ؟
(فالجواب) : أن القرينين خاصان بالجن والإنس في دار التكليف فقط ، فإن كل مخلوق سوى الإنس والجن مفطور على تعظيم الله والتسبيح بحمده لا يعصي الله ما أمره وكذلك أعضاء جسد الإنسان وجسد الجني ، ولكن تسبيح هؤلاء الأعضاء لا على جهة للتقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل ينتعشون بذلك كالأنفاس الداخلة والخارجة وكما يسبح الجن والإنس في الجنة والنار ، فإنه لا على طريق القربة المكلف بها ولا تنسخ لهم قربة لانقضاء زمن التكليف ، فكل واحد من الخلق هناك على مقام معلوم في تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هناك طبيعية تقتضيها حقيقة كل أحد ويرتفع التكليف والوقوع في المخالفات فلا يصير القرين يجد شيئا يكتبه والله تعالى أعلم.

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله المبحث الحادي والثلاثون).

....

ينشر جميع أجزاء الرحمة في الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الأجزاء علينا وما قارب الشيء أعطي حكمه فافهم والله أعلم.

[الباب السابع ومائتان في حال العلة]

وقال في الباب السابع ومائتين : اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم حتى يقعوا في المعاصي بحكم الشهوة الطبيعية ، وإنما تكون معاصي الخواص بالخطأ في التأويل وإيضاح ذلك أن الحق تعالى إذا أراد إيقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأول لأن معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فإن العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبدا ثم إذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام ، فإنه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لأجل شبهة التأويل كما أن المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة لا يوصف بخطأ ثم في ثاني الحال إذا ظهر له بالدليل أنه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم أنه لا يمكن لعبد أن يعصي ربه على الكشف من غير تأويل ، أو تزيين ، أو غفلة ، أو نسيان أبدا قال : وأما قول أبي يزيد لما قيل له : أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف فقال : نعم ؟ وكان أمر الله قدرا مقدورا فلا ينافي ذلك . أي : لأن من أدب

[فهرس المحتويات]

*

تم بحمد الله تعالى رب العالمين
عبدالله المسافر بالله

.